الفكر الإسلامي ودوره في المجتمع العراقي ١٩٧٠ ـ ٢٠٠٠م

" الوسطية والتصوف أنموذجاً "

٢٠٢٢

رسالة ماجستير

العلوم الإسلامية الأساسية

OMAR RADHI SALIM

Danışman

Dr. Öğr. Üyesi Mohamad Ali ALAHMAD

الفكر الإسلامي ودوره في المجتمع العراقي ١٩٧٠ ـ ٢٠٠٠م

" الوسطية والتصوف أنموذجاً "

Omar Radhi SALIM

Danışman

Dr. Öğr. Üyesi Mohamad Ali Alahmad

جامعة كاربوك

معهد الدراسات العليا

أطروحة لنيل درجة الماجستير

قسم العلوم الإسلامية الأساسية

KARABÜK

2022\HAZIRAN

المحتويات

فهرست المحتويات **١**

صفحة الحكم على الرسالة **٤**

التعهد **٦**

شكر وتقدير **7**

الإهداء **8**

ملخص الرسالة **٩**

معلومات سجل الأرشيف **١٢**

قائمة الاختصارات **١٥**

المقدمة **٦١**

الفصل الأول **٢٦**

الفصل الأول: تعريف الفكر الإسلامي، مصادره وتطوره والتعددية فيه **٢٧**

المبحث الأول: تعريف الفكر الإسلامي، مفهومه ونشأته **٢٨**

المطلب الأول: تعريف الفكر الإسلامي ٢٨

المطلب الثاني: مفهوم الفكر الإسلامي ٣٣

المطلب الثالث : نشأة وتطور الفكر الإسلامي ٣٩

المبحث الثاني: مصادر الفكر الإسلامي، خصائصه، والعوامل المؤثرة فيه ٤٧

المطلب الأول: مصادر الفكر الإسلامي ٤٧

المطلب الثاني: خصائص الفكر الإسلامي ٥٢

المطلب الثالث: العوامل المؤثرة في تكوين الفكر الإسلامي ٥٨

المبحث الثالث: مفهوم التيار وتطوره وتعدد تيارات الفكر الإسلامي ٦٤

المطلب الأول: تعريف التيار لغةً واصطلاحاً، أنواعه ونشأته ٦٤

المطلب الثاني: تعدد تيارات الفكر الإسلامي ٦٨

المطلب الثالث: مراحل تطور الفكر الإسلامي ٧٥

الفصل الثاني ٨٤

الفصل الثاني: الفكر الوسطي، تعريفه وبيانه، ودوره في المجتمع العراقي ٨٥

المبحث الأول: تعريف الوَسَطِيّةِ وبيان مفهومها والألفاظ المقاربة لها ٨٧

المطلب الأول: تعريف الوَسَطِيّةِ لغةً واصطلاحاً ٨٧

المطلب الثاني: مفهوم الوَسَطِيّةِ في الإسلام ٩٠

المطلب الثالث: الألفاظ المقاربة للوسطية ٩٣

المبحث الثاني: معنى الوَسَطِيّةِ وبيان أدلتها من القرآن والسنة ١٠٠

المطلب الأول: معنى الوسطية ومنهجها ومقتضياتها في الإسلام ١٠٠

المطلب الثاني: الوسطية في القرآن الكريم ١٠٤

المطلب الثالث: الوسطية في السنة النبوية ١٠٨

المبحث الثالث: بيان دور الوسطية وتأثيرها وأقوال العلماء فيها ١١٠

المطلب الأول: دور الوسطية في مواجهة الغلو والتطرف وطرق علاجها ١١٠

المطلب الثاني: تأثيرات الوسطية في شخصية المسلم ١٢٢
المطلب الثالث: أقوال العلماء في بيان أهمية الوسطية ١٢٥
الفصل الثالث ١٢٩
الفصل الثالث: الفكر الصوفي تعريفه نشأته ودوره في المجتمع العراقي ١٣٠
المبحث الأول: تعريف التصوف وبيان أسسه وأهميته ١٣١
المطلب الأول: تعريف التصوف لغةً واصطلاحاً ١٣١
المطلب الثاني: أهمية التصوف وأقوال العلماء فيه ١٣٣
المطلب الثالث: أهم الأسس التي يقوم عليها التصوف ١٣٧
المبحث الثاني: تاريخ التصوف في العراق وأبرز طرقه ١٤٠
المطلب الأول: تاريخ نشأة التصوف في العراق ومدارسه ١٤٠
المطلب الثاني: الطريقة القادرية ١٤٧
المطلب الثالث: الطريقة الرفاعية ١٥٠
المبحث الثالث: بيان دور التصوف ومقاماته وموقف الفكر الإسلامي منه ١٥٥
المطلب الأول: دور التصوف التربوي وأثره في المجتمع العراقي ١٥٥
المطلب الثاني: مقامات التصوف ١٥٨
المطلب الثالث: موقف الفكر الإسلامي من التصوف ١٦٤
النتائج والتوصيات ١٦٦
الخاتمة ١٦٨
المصادر والمراجع ١٧٠
السيرة الذاتية ١٨٥

صفحة الحكم على الرسالة

أصادق على هذه الأطروحة التي أعدت من قبل الطالب: **عمر راضي سالم**، بعنوان (**الفكر الإسلامي ودوره في المجتمع العراقي ١٩٧٠ –٢٠٠٠م**) "**الوسطية والتصوف أنموذجاً** " في برنامج العلوم الإسلامية الأساسية هي مناسبة كرسالة ماجستير.

Dr. Öğr.Ü. Mohamad Ali ALAHMAD (KBÜ) ……..

مشرف الرسالة، العلوم الإسلامية الأساسية

قبول

تم الحكم على رسالة الماجستير هذه بالقبول من قبل لجنة المناقشة بالإجماع بتاريخ 2022/06/13

التوقيع	لجنة المناقشة	
……..	Dr. Öğr.Ü. Mohamad Ali ALAHMAD (KBÜ)	رئيس اللجنة
.....	Doç. Dr. Fikret SOYAL (İÜ)	عضوا
……..……	Doç. Dr. Mustafa YILDIZ (KBÜ)	عضوا

تم منح الطالب بهذه الأطروحة درجة الماجستير في قسم العلوم الإسلامية الأساسية من قبل مجلس إدارة معهد الدراسات العليا في جامعة كاربوك.

Prof. Dr. Hasan SOLMAZ

..... مدير معهد الدراسات العليا

TEZ ONAY SAYFASI

Omar Radhi SALIM tarafından hazırlanan **"İSLAM DÜŞÜNCESI VE IRAK TOPLUMUNDAKI ROLÜ 1970-2000 "VASATÎ VE SUFÎ ÖRNEKLERI"** başlıklı bu tezin Temel İslam Bilimleri olarak uygun olduğunu onaylarım.

Dr. Öğr.Ü. Mohamad Ali ALAHMAD (KBÜ) .....

Tez Danışmanı, Temel İslam Bilimleri

Bu çalışma, jürimiz tarafından Oy Birliği Seçiniz ile Temel İslam Bilimleri Anabilim alanında Yüksek Lisans tezi olarak kabul edilmiştir 13.06.2022

Ünvanı, Adı SOYADI (Kurumu) İmzası

Başkan : Dr. Öğr.Ü. Mohamad Ali ALAHMAD (KBÜ) .....

Üye : Doç. Dr. Fikret SOYAL (İÜ) .....

Üye : Doç. Dr. Mustafa YILDIZ (KBÜ) .....

KBÜ Lisansüstü Eğitim Enstitüsü Yönetim Kurulu, bu tez ile, Yüksek Lisans derecesini onamıştır.

Prof. Dr. Hasan SOLMAZ .....

Lisansüstü Eğitim Enstitüsü Müdürü

DOĞRULUK BEYANI

Yüksek lisans tezi olarak sunduğum bu çalışmayı bilimsel ahlak ve geleneklere aykırı herhangi bir yola tevessül etmeden yazdığımı, araştırmamı yaparken hangi tür alıntıların intihal kusuru sayılacağını bildiğimi, intihal kusuru sayılabilecek herhangi bir bölüme araştırmamda yer vermediğimi, yararlandığım eserlerin kaynakçada gösterilenlerden oluştuğunu ve bu eserlere metin içerisinde uygun şekilde atıf yapıldığını beyan ederim.

Enstitü tarafından belli bir zamana bağlı olmaksızın, tezimle ilgili yaptığım bu beyana aykırı bir durumun saptanması durumunda, ortaya çıkacak ahlaki ve hukuki tüm sonuçlara katlanmayı kabul ederim.

Adı Soyadı: Omar Radhi SALIM

İmza:

التعهد

كتبت هذا العمل ، الذي قدمته كأطروحة ماجستير، دون استخدام أي طريقة تتعارض مع الأخلاق والتقاليد العلمية ، وأنني كنت أعرف الاقتباسات التي يمكن اعتبارها انتحالا اثناء إجراء بحثي، وأنني لم أقم بتضمين أي قسم يمكن اعتباره سرقة ادبية في بحثي ، وأن الأعمال التي استخدمتها تتكون من تلك الموضحة في الببليو غرافيا أصرح بموجب هذا أنه تم الاستشهاد به بشكل صحيح قبل أن أتحمل جميع التبعات الأخلاقية والقانونية التي ستنشأ في حال تم تحديد موقف مخالف لهذا البيان الذي أدليت به بخصوص أطروحتي من قبل المعهد ، بغض النظرعن وقت .

Adı Soyadı: **OMAR RADHI SALIM**

İmza:

شكر وتقدير

كن عالماً أو متعلماً ولا تكن الثالثَ فتهلك، ألا وهو الجهل ومصاحبة الجهلاء.

بعد رحلة بحث وجهد واجتهاد تكللت بإنجاز هذا الدراسة، أحمد الله الذي له الفضل والمنة على نعمته التي مَنَّ بها عليَّ أن أكملت هذا العمل العلمي بمنه وفضله، فهو العلي القدير، كما وأنني أخص بأسمى، عبارات الشكر والتقدير الدكتور الفاضل أستاذي المشرف "محمد علي الأحمد"، لما قدمه لي من جهد ونصح وتصوياتٍ طيلة إنجاز هذه الدراسة، أسأل الله تعالى أن يجازيه بالإحسان إحساناً، وأن ينفعنا الله تعالى بعلمه في الدارين، وأن يحشرنا الله جميعاً تحت لواء سيد الخلق وإمام النبيين محمد ﷺ، بأبي وأمي أنت يا رسول الله، عليك الصلاة والسلام.

كما أتقدم بالشكر والتقدير إلى أعضاء لجنة المناقشة الكرام على جهدهم الطيب في مناقشة هذه الدراسة، وأرجو أن تكون لتوجهاتهم السديدة الأثر البالغ في إعلاء هذه الدراسة ورفع شأنها، ولا أنسى أن أشكر جامعة كارابوك، ومعهد الدراسات العليا، وقسم العلوم الإسلامية الأساسية، إدارةً وأساتذة في كلية الإلهيات جامعة كارابوك، لإتاحتهم الفرصة لي للدراسة في هذه الجامعة الغراء الشامخة، كما أشكر جميع من مدَّ لي يد العون خلال هذه الرحلة العلمية، فجزاهم الله عني خير الجزاء.

وأسأل الله العلي القدير أن يسدد خطاهم للحق، وأن يجنبنا وإياهم الزلل، وأن يغفر لنا ولهم بمنه وكرمه، على ما بذلوه لي من مساعدة لإخراج هذا العمل بحلته العلمية، إنه سميع مجيب.

الاهداء

إلى من بلَّغَ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

إلى من وقفوا إلى جانبي في مسيرتي العلمية.

إلى رفقاء دربي وسندي في الحياة.

إلى والدي ووالدتي قرة عيناي اللذان شجعاني وكانا عوناً لي، وظللاني برعايتهم وعنايتهم، وأكرماني بأسمى ما تجود به النفوس من سخاءٍ، وإلى جميع أهلي.

إلى أصدقائي الأعزاء.

إلى مشايخي وأساتذتي اسأل الله عز وجل أن يرحم المتوفى منهم وأن يطيل عمر المتبقي منهم بالخير.

إلى كل من علمني حرفاً، وكان سبباً في وصولي إلى هذا المقام العلمي.

أهديكم ثمرة هذا الجهد العلمي.

الملخص

هذه الرسالة هي دراسة في الفكر الإسلامي، ودوره وتأثيراته على المجتمع العراقي خلال المدّة الممتدّة بين سنة ١٩٧٠م وسنة ٢٠٠٠م، وقد جعل الباحث الفكر الوسطي والفكر الصوفي أنموذجاً لهذه الدراسة التي تتألّف من فصول ثلاثة:

تناول الباحث في الفصل الأول الفكر الإسلامي بشكل عام من حيث التعريف والمفهوم والنشأة، ثم تعرض للأصول التي يتكون منها الفكر الإسلامي في بداياته، متمثلاً بالكتاب والسنة النبوية، وسائر أصول الدين التي كانت أساساً لهذا الفكر ولتشكله في بداياته.

وفي الفصل الثاني تحدث الباحث عن الفكر الوسطي، وأماط اللثام عن منهجه وعن جوانبه الفكرية، وتأثيراته على المجتمع العراقي.

وفي الفصل الثالث تناول أبرز التيارات التي تمثل الفكر الإسلامي، وهو الفكر الصوفي الوسطي، تحدث أيضاً عن تأثيرات ذلك الفكر في المجتمع العراقي في فترة الدراسة.

الكلمات المفتاحية: فكر إسلامي- تيار وسطي- تيار صوفي.

ÖZET

Bu tez İslam düşüncesi ve onun Irak toplumu üzerindeki rolü ve tesiri hakkında bir araştırmadır. Araştırmanın incelediği zaman dilimi 1970-2000 yılları arasıdır. Araştırmacı vasatî düşünceyi ve sufî düşünceyi bu araştırmada örnek olarak almıştır. Çalışma üç bölümden müteşekkildir.

Araştırmacı ilk bölümde İslam düşüncesini tarif, anlam ve kaynağı itibarıyla genel olarak ele almıştır. Daha sonra, Kitap ve Sünnet'in temsil ettiği İslam düşüncesini başlangıcında oluşturan ilkeleri ve bu düşüncenin temeli olan dinin tüm ilkelerini sundu.

İkinci bölümde araştırmacı vasatî düşünce üzerinde durmuştur. Bunun yöntemini, fikrî yönlerini ve Irak toplumu üzerindeki etkilerini ortaya koymuştur.

Üçüncü bölümde İslam düşüncesini temsil eden en belirgin akımları yani tasavvuf düşüncesini ve vasatî düşünceyi ele almış ve çalışma boyunca bu düşüncenin Irak toplumu üzerindeki

etkilerinden bahsetmiştir.

Anahtar Kelimeler : İslam Düşüncesi ; Vasatî Akım ; Sûfî Akım.

ABSTRACT

This letter is a study of Islamic thought, its role, and its effects on Iraqi society between 1970 and 2000, and the researcher made centrist thought and Sufi thought a model for this study, which consists of three chapters::

In the first chapter, the researcher addressed Islamic thought in general in terms of definition, concept, and origin, and then presented the origins that make up Islamic thought in its beginnings, represented by the Book and the Prophet's Sunnah, and other origins of religion that were the basis of this thought and its formation in its beginnings..

In the second chapter, the researcher spoke of centrist thought and revealed his approach, intellectual aspects, and its effects on Iraqi society..

In the third chapter, he addressed the most prominent currents representing Islamic thought, Sufi thought, and also talked about the effects of that thought on Iraqi society during the study period..

key words: Islamic Thought ; Centrist Current ; Sufi Current.

معلومات سجل الأرشيف

عنوان الرسالة	الفكر الإسلامي ودوره في المجتمع العراقي ١٩٧٠-٢٠٠٠م " الوسطية والتصوف أنموذجاً"
مؤلف الرسالة	عمر راضي سالم
مشرف الرسالة	الدكتور" محمد علي" الأحمد
درجة الرسالة	ماجستير
تاريخ المناقشة	٢٠٢٢/٠٦/١٣
مجال الرسالة	العلوم الإسلامية
مكان المناقشة	جامعة كرابوك
عدد صفحات الرسالة	185
الكلمات المفتاحية	فكر إسلامي- تيار وسطي- تيار صوفي

ARŞİV KAYIT BİLGİLERİ

Tezin Adı	İSLAM DÜŞÜNCESI VE IRAK TOPLUMUNDAKI ROLÜ 1970-2000 "VASATÎ VE SUFÎ ÖRNEKLERI"
Tezin Yazarı	OMAR RADHI SALIM
Tezin Danışmanı	Dr. Öğretim Üyesi Muhammed Ali ALAHMAD
Tezin Derecesi	Yüksek Lisans
Tezin Tarihi	9.02.2022
Tezin Alanı	Temel İslam Bilimleri
Tezin Yeri	Karabük Üniversitesi
Tezin Sayfa Sayısı	185
Anahtar Kelimeler	İslam Düşüncesi – Vasatî Akım – Sûfî Akım

ARCHIVE RECORD INFORMATION

Title of the Thesis	ISLAMIC THOUGHT AND ITS ROLE IN IRAQI SOCIETY1970- 2000 "MODERATION AND SUFISM AS A MODEL."
Author of the Thesis	OMAR RADHI SALEM
Advisor of the Thesis	Dr. Muhammed Ali ALAHMAD
of the Thesis	Master
Disceussion date	13.06.2022
Field of the Thesis	Islamıc Science
Place of the Thesis	Karabuk University
Total page Number	185
key words	Islamic Thought - Centrist Current - Sufi Current

قائمة الاختصارات

الاختصار	المعنى
ص:	صفحة.
ت:	توفي.
ج:	جزء، إذا كان بعد اسم الكتاب، مقروناً برقم يبين عدد أجزاء الكتاب.
جـ:	جزء، إذا اقترن برقم الصفحة الذي يدل على الجزء الذي وثق منه الباحث، عند توثيق المصدر والمرجع.
د.ت:	دون تاريخ نشر.
د. م:	دون مكان نشر.
د. ط:	دون طبعة.
د.ن:	دون دار نشر.
ط:	طبعة.
هـ:	هجري.
م:	ميلادي.
الخ:	إلى آخره.
ﷺ:	صلى الله عليه وسلم.
ﷻ:	الله عز وجل.
رضي الله عنه:	رضي الله عنه.

المقدمة

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على سيّدنا محمّد سيّد الأوّلين والآخرين، وعلى آله وأصحابه أجمعين، وبعد:

فإنّ في دين الإسلام منهجًا متكاملًا ينظم جوانب أربعة هي: العقيدة والعبادة والأخلاق والمعاملة، فالعقيدة تعتني بها كتب العقائد، والعبادة تعتني بها كتب الفقه باب العبادات، والأخلاق تعتني بها كتب التربية والتصوّف، وأمّا المعاملات فتختص بها كتب الفقه في باب المعاملات، وهذه الجوانب الأربعة مجتمعة هي التي تشكّل الفكر الإسلامي عند المسلمين، ومن المعلوم أنّ كلّ مجتمع يتألّف من مجموعة من الأفراد الذين يختلفون في عقولهم وآرائهم، فمنهم الذي يجنح إلى اليمين، ومنهم الذي يجنح إلى اليسار، وبين ذلك المتوسّط في آرائه وأفكاره بلا إفراط ولا تفريط، وقد جاء الإسلام ليصنع المسلم الوسطيّ الذي لا ينحرف نحو اليمين ولا نحو اليسار وإنما يلتزم بمنهج الله الذي ارتضاه للمسلمين قال تعالى: ﴿...وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ...﴾[المائدة: ٣]، وكذلك قوله تعالى:

﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗاۗ... ﴾ [البقرة: ١٤٣] .

لقد دخل الإسلام إلى العراق منذ وقت مبكّر في عهد الخليفة الراشد الثاني عمر بن الخطاب ﷺ، وقد كان هذا البلد ملتقىً لكثير من الحضارات العريقة، فحكمته الدولة الأمويّة ثمانين عاماً، وفي القرن الثاني الهجري أصبحت بغداد بعد تأسيسها عام (١٤٥هـ) عاصمة للدولة العبّاسية ما يقارب الخمسة قرون، فكانت ملتقى الفقهاء والأدباء والمفكّرين، وانتشرت فيها المذاهب الفقهيّة، والمدارس الفكريّة، والطرق الصوفيّة، وبعد ذلك حكمها السلاجقة وغيرهم، وأخيرًا خضعت للخلافة العثمانية التي استمرّت ما يقارب الستة قرون، وبعد سقوط الدولة العثمانية بدأ الخلل يتسرّب إلى جسد الأمّة الإسلاميّة، فتفرّقت، وكانت أيادي الاستعمار تعمل على تمزيق هذه الأمّة، فكان من كيد هؤلاء المستعمرين بث الفرقة والجهل بين المسلمين، وكانوا يسعون دائماً لتحريف الفكر الإسلامي من خلال الدسائس والتشويه في جوانبه الأربعة؛ العقيدة، والعبادة، والأخلاق والمعاملات.

وفي العراق كذلك انتشرت خلال القرن العشرين تيارات ومذاهب فكريّة كثيرة بسبب الأوضاع غير المستقرّة، ولم تكن هنالك دولة ترعى هذه التيارات كما كان الحال حين كانت الخلافة الإسلامية تحكم العراق، ولذلك حصل الخلاف، فكان هنالك من يتطرّف في أفكاره، وكانت هناك الغالبية التي تسلك مسلكاً وسطياً في فهم وتطبيق المبادىء والقيم الإسلامية، ونظراً لهذا التنوع في الفهم والتطبيق للفكر الاسلامي في تلك الفترة، فقد اختار الباحث هذا الموضوع ليكون مجال بحثه لمناقشته من مختلف جوانبه من خلال فصول ثلاثة.

يتناول الفصل الأوّل التعريف بالفكر الإسلامي، وبيان مصادره، وتطوّره عبر الزمن، وبيان التعدّدية فيه.

أمّا الفصل الثاني فهو عبارة عن تعريف بالفكر الوسطي، وبيان للمقصود منه وأثره على المجتمع العراقي كفكرة ومنهاج.

وأمّا الفصل الثالث فهو عبارة عن تعريف بالفكر الصوفي الذي كان له الأثر الكبير سلبًا أو إيجابًا على المجتمع العراقي كتيار ومنهج له استقلاليّته ورجاله المتمسكون به.

إنّ لدراسة هذا الموضوع أهميّته الكبرى إذ يمكن من خلال مثل هذه الدراسات تحديد أمراض المجتمع، ووصف العلاج الناجع لها، والبحث عن حلول للمشاكل الاجتماعية، وذلك من خلال بيان المنهج الوسطي الذي تميز به الفكر الإسلامي، وهو أبرز مزاياه وخصائصه كما قال الله ﷻ فيه: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

ويعود اختيار الفترة الممتدّة بين سنة (١٩٧٠م، وسنة ٢٠٠٠م)، موضوعاً للدراسة إلى ما شهده العراق خلال هذه الفترة من تيّارات عديدة منها ما هو منسوب إلى الإسلام وعقيدته، ويمثل المنهج الوسطي خير تمثيل، ومنها ما هو متناقض مع فكر الإسلام ومنهجه، ومنه ما هو بين هذا وذاك.

الدوافع:

يمكن إجمال الدوافع التي لفتت انتباه الباحث للكتابة بهذا الموضوع في قلة الدراسات التي تناولته رغم أهميته الكبيرة، ولما له من تأثيرات على المجتمع العراقي، وكذلك لدوره في بيان المنهج الوسطي المعتدل الذي يعد من أبرز خصائص الفكر الإسلامي، وبيان منهج التصوّف الحقّ بعد أن تسللت إلى هذين المنهجين كثير من الأمور التي تتنافى وحقيقة الفكر الإسلامي، ولذلك سعى الباحث من خلال هذه الدراسة إلى بيان طبيعة هذا الفكر في العراق كما هو عليه الحال في المجتمع العراقي من خلال الفترة التي عنيت بها هذه الدراسة.

مشكلة البحث:

يرى الباحث أنّ الظروف السياسية غير المستقرة التي سادت في العراق بعد الفترة الاستعمارية منذ بداية الربع الثاني من القرن العشرين وحتى نهايته، أدّت إلى نشوء تغيّرات في المجتمع العراقي كان لها التأثير البالغ على المنهج الوسطي، وعلى بنية المجتمع العراقي وعلى استقراره ومستقبله، بالإضافة إلى منهج التصوّف المعتدل، ولهذا أراد الباحث تسليط الضوء على هذه الأمور من أجل الوصول إلى العلاج والحلول التي توفر للمجتمع مزيداً من التماسك والاستقرار، وذلك من خلال التمسك بالمنهج الإسلامي الوسطي، والالتزام بالقيم والمبادئ الإسلامية الربانية التي جاءت لأجل ذلك .

أسئلة البحث:

١- هل اشتملت الساحة العراقية على تيارات فكرية إسلامية في الفترة التي قصدتها الدراسة؟

٢- ما هي حقيقة المنهج الفكري الوسطي وطبيعته، وما هي حقيقة الفكر الصوفي وطبيعته في العراق في مدّة الدراسة؟

٣- ما مدى قرب الفكر الوسطي، والفكر الصوفي وبعدهما عن منهج الإسلام وفكره ومبادئه؟

٤- ما هي تأثيرات الفكر الإسلامي الوسطي والفكر الصوفي المعتدل على المجتمع العراقي في مدّة الدراسة؟

أهداف البحث:

١- التعريف بالفكر الإسلامي، وبيان مفاهيمه العامّة ونشأته وتأثيره في المجتمع العراقي.

٢- التعريف بالفكر الوسطي، وبيان تأثيراته على المجتمع العراقي فكرةً ومنهاجاً.

٣- التعريف بالفكر الصوفي المعتدل، وبيان ودوره وتأثيره في المجتمع العراقي.

أهمية البحث:

تكمن أهمية هذا البحث في أنّه يبيّن الفكر الإسلامي الوسطي، والفكر الصوفي المعتدل اللذين ينبغي لأفراد المجتمع العراقي وكلّ مجتمع آخر الالتزام بهما، لما له من تأثير ودور حيوي في تكوين المجتمع وفي استقراره.

منهج البحث:

اعتمد الباحث في إعداد الدراسة على المناهج العلمية التي تمكنه من جمع المادة والآراء المختلفة من مصادرها ومظانها، كالمنهج التاريخي، وكذلك على المنهج الوصفي الذي يساعد في التأمل والدراسة للمادة الفكرية المتوفرة، لاستخلاص الآراء والنتائج التي تنسجم مع أهداف هذه الدراسة.

حدود البحث:

للبحث ثلاثة حدود:

١- الحد الموضوعي إذ يتناول موضوع الفكر الإسلامي متمثّلًا بالفكر الوسطي والفكر الصوفي في العراق خلال فترة الدراسة.

٢- الحد الزماني إذ يبحث الموضوع في المدّة المحصورة بين عام ١٩٧٠م وعام ٢٠٠٠م.

٣- الحد المكاني إذ يتناول البحث بلد العراق.

الدراسات السابقة:

من خلال استقراء الباحث لما كتب من دراسات حديثة، وما أُلِّفَ من كتب عن هذا الموضوع، تبين أن هناك بعض المؤلفات الحديثة التي تناولت هذا الموضوع بشكل عام، وتطرق البعض منها إلى بعض جوانب الموضوع مناط هذه الدراسة دون وجود أي دراسة أكاديمية علمية رصينة تناولت الموضوع من جوانبه العديدة التي حددها الباحث في خطته، وأراد الباحث معالجتها ومناقشتها، ويمكن أن يشار هنا إلى بعض تلك الكتب التي تطرقت إلى هذا الموضوع، أو إلى بعض أجزائه وجوانبه، فمن تلك الكتب والمؤلفات:

– كتاب مدخل لدراسة الفكر الإسلامي، للمؤلف محمد هادي التِكريتي المذكور آنفاً، وفيه تناول المؤلف في الفصل الأول المبحث الثالث المطلب الأول الفكر الإسلامي في بعض أجزائه، وتطرق إلى لمحة مختصرة عن خصائص التصور الإسلامي، ولكن الباحث تكلم عن عدة مواضيع مهمة في الفكر الإسلامي لم يتطرق المؤلف لها في كتابه المذكور.

– كتاب إتجاهات فكرية معاصرة، دراسة منهجية، للمؤلف محمد هادي التِكريتي، وقد تناول هذا الكتاب في الفصل الأول المبحث الثالث أبرز الاتجاهات والتيارات الفكرية المعاصرة على الساحة الإسلامية بشكل عام، وذُكِر في المطلب الثاني من هذا المبحث التيار الصوفي الوجداني بشكل عام، ولكن الباحث تطرق إلى التيار الصوفي الوسطي بشكل خاص وإلى دوره وتأثيره على المجتمع العراقي، وأما المطلب الثالث ففيه تكلم المؤلف عن الوسطية ودورها في المجتمعات الإسلامية، ولكن الباحث أراد التكلم عن الوسطية كفكرة ومنهاج، وتأثيراتها على المجتمع العراقي.

– كتاب نشأة التصوف الإسلامي وتطوره في العراق، من تأليف عبدالقادر موسى المِحمدي، وقد تطرق هذا الكتاب إلى دور التصوف في العراق دون مدة زمنية، ولكن لم يستوف جميع أجزاء الموضوع ولا المدة الزمنية التي قصدتها هذه الدارسة، إذ أراد الباحث الكتابة في هذا الموضوع من الجوانب التي تضمنتها خطته في بداية الدراسة، ومن خلال تقييم الدراسات آنفة الذكر، تبين للباحث أن هذه الدراسات قد عالجت جوانب محددة من الموضوع، وبعضها تطرق إليه بشكل عام، والبعض الآخر تحدث عنه بشكل

علمي استفاد الباحث منه في بعض مباحث رسالته، كما هو الحال في الاستفادة من كتاب اتجاهات فكرية معاصرة، لكن المؤلف لم يعطي الموضوع حقه من جوانبه المتعددة.

أما الدراسات الأخرى التي أشير إليها آنفاً فيستفاد منها في بعض جوانب البحث، لكنها لم تناقشه بطريقة علمية متكاملة تغطي جوانبه المختلفة، لذلك يجد الباحث نفسه أمام هذا الموضوع من أجل مناقشته مناقشة علمية موضوعية رصينة، تتناول كافة جوانبه للوصول إلى النتائج التي يهدف البحث الوصول إليها.

والجدير بالذكر هنا أن هناك دراسات تناولت الفكر الإسلامي بشكل عام، دون التطرق إلى طبيعة هذا الفكر في العراق في الفترة التي أراد الباحث مناقشتها ومعالجتها في دراسته، وهو بصدد الاستفادة منها في ثنايا رسالته في الجوانب التي تتقاطع مع موضوعاته التي تضمنتها خطته.

خطة البحث:

الفصل الأول: تعريف الفكر الإسلامي، مصادره وتطوره والتعددية فيه.

المبحث الأول: تعريف الفكر الإسلامي، مفهومه ونشأته.

المطلب الأول: تعريف الفكر الإسلامي.

المطلب الثاني: مفهوم الفكر الإسلامي.

المطلب الثالث: نشأة وتطور الفكر الإسلامي.

المبحث الثاني: مصادر الفكر الإسلامي، خصائصه والعوامل المؤثرة فيه.

المطلب الأول: مصادر الفكر الإسلامي.

المطلب الثاني :خصائص الفكر الإسلامي.

المطلب الثالث: العوامل المؤثرة في تكوين الفكر الإسلامي.

المبحث الثالث: مفهوم التيار وتطوره وتعدد تيارات الفكر الإسلامي.

المطلب الأول: تعريف التيار لغةً واصطلاحاً أنواعه ونشأته.

المطلب الثاني: تعدد تيارات الفكر الإسلامي.

المطلب الثالث: مراحل تطور الفكر الإسلامي.

الفصل الثاني: الفكر الوسطي، تعريفه وبيانه، ودوره في المجتمع العراقي.

المبحث الأول: تعريف الوسطية وبيان مفهومها والألفاظ المقاربة لها.

المطلب الأول: تعريف الوسطية لغة واصطلاحاً.

المطلب الثاني: مفهوم الوسطية في الإسلام.

المطلب الثالث: الألفاظ المقاربة للوسطية.

المبحث الثاني: معنى الوسطية وبيان أدلتها من القرآن والسنة.

المطلب الأول: معنى الوسطية ومنهجها ومقتضياتها في الإسلام .

المطلب الثاني: أدلة الوسطية من القرآن الكريم.

المطلب الثالث: أدلة الوسطية من السنة المطهرة.

المبحث الثالث: بيان دور الوسطية وتأثيرها وأقوال العلماء فيها.

المطلب الأول: دور الوسطية في مواجهة الغلو والتطرف وطرق علاجه.

المطلب الثاني: تأثيرات الوسطية في شخصية المسلم.

المطلب الثالث: أقوال العلماء في بيان أهمية الوسطية.

الفصل الثالث: الفكر الصوفي، تعريفه، نشأته، دوره في المجتمع العراقي.

المبحث الأول: تعريف التصوف وبيان أسسه وأهميته.

المطلب الأول: تعريف التصوف لغةً واصطلاحاً.

المطلب الثاني: أهمية التصوف وأقوال العلماء فيه.

المطلب الثالث : أهم الأسس التي يقوم عليها التصوف.

المبحث الثاني: تاريخ التصوف في العراق وأبرز طرقه.

المطلب الأول: نشأة التصوف في العراق ومدارسه.

المطلب الثاني : الطريقة القادرية.

المطلب الثالث: الطريقة الرفاعية.

المبحث الثالث: بيان دور التصوف ومقاماته وموقف الفكر الإسلامي منه.

المطلب الأول: دور التصوف وأثره في المجتمع العراقي.

المطلب الثاني: مقامات التصوف.

المطلب الثالث : موقف الفكر الإسلامي من التصوف.

النتائج.

التوصيات.

الخاتمة.

المصادر والمراجع.

السيرة الذاتية.

الفصل الأول

تعريف الفكر الإسلامي، مصادره وتطوره والتعددية فيه.

الفصل الأول

تعريف الفكر الإسلامي، مصادره وتطوره والتعددية فيه.

المبحث الأول: تعريف الفكر الإسلامي، مفهومه ونشأته.

المطلب الأول: تعريف الفكر الإسلامي.

المطلب الثاني: مفهوم الفكر الإسلامي.

المطلب الثالث: نشأة وتطور الفكر الإسلامي.

المبحث الثاني: مصادر الفكر الإسلامي، خصائصه والعوامل المؤثرة فيه.

المطلب الأول: مصادر الفكر الإسلامي.

المطلب الثاني :خصائص الفكر الإسلامي.

المطلب الثالث: العوامل المؤثرة في تكوين الفكر الإسلامي.

المبحث الثالث: مفهوم التيار وتطوره وتعدد تيارات الفكر الإسلامي.

المطلب الأول: تعريف التيار لغةً واصطلاحاً أنواعه ونشأته.

المطلب الثاني: تعدد تيارات الفكر الإسلامي.

المطلب الثالث: مراحل تطور الفكر الإسلامي.

الفصل الأول: تعريف بالفكر الإسلامي، مصادره وتطوره والتعددية فيه.

تمهيد:

يتميز الفكر الإسلامي بالنقاء وصفاء المصدر، وينفرد بخصائص ومزايا عديدة، ولأجل هذا فقد تعدَّدت استعمالات الكلمة لدى الباحثين العرب والمسلمين، وحتَّى المستشرقين، وبالنظر إلى ذلك فهو لا يكاد يرسوا على تعريف واحد لدى العلماء، لذا فإن مناقشة وتتبع هذا التعريف ومُحاولة الوقوف على حده وموضوعه يستدعي منَّا أوَّلاً الرّجوع إلى الاشتِقاقات اللغوية لمادَّة فِكر، ثمَّ البحث في الفكر الإسلامي كمصطلح مركَّب تبيناً لمعانيه القريبة والبعيدة، وبالرغم من حداثة مفهوم الفكر الإسلامي في التراث الفكري العربي والإسلامي على السَّواء، إلاَّ أنَّ الباحث يجِد أن مصطلح فكر متقدِّم وواسع في الاستِعمال اللغوي والاصطلاحي.

المبحث الأول: تعريف الفكر الإسلامي، مفهومه ونشأته.

المطلب الأول: تعريف الفكر الإسلامي.

أولاً: الفكر عند علماء اللغة العربية:

وردت في اللغة معاني عدة لكلمة الفكر منها: إعمال العقل في أمر معين، للنظر فيه لحل مشكلةٍ معينة.

قال ابن فارس: الفكر بكسر الفاء والكاف " تردّد القلب في الشيء، يقال: تفكَّر، إذا رَدَّدَ قلبه معتبرًا، ورجل فِكِّيرٌ: كثير الفكر" والجمع أفكار[1].

وقيل: أن الفكر هو إعمال الخاطر في الشيء والتفكير [2] .

وجاءت كلمة فكَّرَ : " يفكِّر، تفكيرًا، فهو مُفكِّر، والمفعول مفكَّر فيه وفكَّر الشخصُ: مارس نشاطه الذِّهنيّ وفكّر في الأمر: تفكَّر فيه، تأمّله، أعمل العقل فيه ليصل إلى نتيجة أو حلّ أو قرار "فكّر في المستقبل- يفكِّر في حل مشاكله بهدوء"[3].

ولهذا فإن للتفكير معنى عاماً وآخر خاصاً، ويطلق بمعناه العام على ما يقابل الوجدان والنزوع، وبمعناه الخاص على العقل من حيث أنه يدرك موضوعه إدراكاً أعلى من الإدراك الحسي والتخيل والتذكر[4] .

---

[1] - ابن فارس، احمد بن فارس ، ت:٣٩٥هـ، **معجم مقاييس اللغة**،(٦ ج) ، تحقيق: عبدالسلام هارون، (دار الفكر، ط ١، ب م، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩ م)، جـ ٤، ص ٦٤٦.

[2] - ابن منظور، محمد بن مكرم، ت: ٧١١ هـ، **لسان العرب**،(١٥ ج)، (دار صادر، ط ٣، بيروت ، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م)، جـ٥، ص٣٤٥١.

[3] - أحمد مختار، **معجم اللغة العربية**،ت:١٤٢٤هـ، (٤ ج)، (عالم الكتب، ط ١، القاهرة،١٩٢٤هـ - ٢٠٠٨م)، جـ ٣، ص ١٧٣.

[4] - الجوهري، إسماعيل بن حماد،ت:٣٩٣هـ، **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**، (٦ ج) ، تحقيق: أحمد عبدالغفور العطار، (دار العلم، ط ٤، بيروت،١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م)، جـ ٥، ص ٣٤٥١.

ويستنتج من ذلك، أن الفكر هو إعمال العقل في شيء والنظر فيه، لأجل الوصول إلى المعلوم وحل المشكلات التي تعرض الإنسان.

ثانياً: الفكر عند الغرب:

من خلال البحث يتبين أن تعريف الفكر عند الغرب يمكن فهمه من خلال ما عبر عنه المفكر الفرنسي الفيلسوف ديكارت بقوله" إن للأفكار وجوداً غير وجودها الذي تتلقاه وتستفيده، من التفكير بوصفها نحواً من أنحائه أو شكلاً من أشكاله"[١].

ثالثاً: الفكر عند الفلاسفة:

جاء الفكر عند الفلاسفة على عدة تعريفات منها:

إن الفكر يطلق على الفعل الذي تقوم به النفس عند حركتها في المعقولات، أو يطلق على المعقولات نفسها، فإذا أطلق على فعل النفس دل على حركتها الذاتية، وهي النظر والتأمل، وإذا أطلق على المعقولات دل على المفهوم الذي تفكر فيه النفس[٢].

أما صاحب الموسوعة الفلسفية فقد ذكر الفكر بعدة تعريفات، منها:

يعد الفكر النتاج الأعلى للدماغ كمادة ذات تنظيم عضوي خاص، وهو العملية الإيجابية التي بواسطتها ينعكس العالم الموضوعي في مفاهيم وأحكام ونظريات والخ وهو الشرط الجوهري لأي نشاط آخر، طالما أن هذا النشاط هو نتيجة المجملة والمتمثلة، والكلام هو صورة الفكر[٣].

رابعاً: الفكر عند علماء الإسلام:

---

[١] – ديكارت، توم سوريل، **مقدمة قصيرة جداً**، ترجمة أحمد الروبي، (مؤسسة هنداوي للتعليم، ط ١، القاهرة، ٢٠١٤م)، ص ٧٨.

[٢] - جميل صليبا، **المعجم الفلسفي**، (٣ج)، (دار الكتاب، ط ١، بيروت، ١٩٨٢م)، جـ ٢، ص ١٥٦.

[٣] - نخبة من الباحثين السوفيات، **الموسوعة الفلسفية**، ترجمة سمير كرم، (دار الطليعة، ط ٦، بيروت، ١٩٨٧م)، ص ٣٣٢.

الفكر هو مصطلح يطرق الأسماع كثيراً، وباستقراء معناه في اللغة والاصطلاح، يجد الباحث أنه يدل على إعمال العقل في مقدمات معلومة، وترتيبها بشكلٍ يُوصل إلى كشف المجهول، ولهذا فإن الباحث لا يرى اختلافاً كبيراً في تعريفه بين معناه اللغوي والاصطلاحي كما جاء عند العلماء والمفكرين، ومن هنا فإن الإمام الغزالي يعرف الفكر على أنه : " إحضار معرفتين في القلب ليستثمر فيهما معرفة ثالثة "[١] .

وعند العريبي أن الفكر جاء بمعنى "التأمل" ليدل على معنى الفكر"[٢] .

وعرف آخرون الفكر بأنه: " ظاهرة تاريخية واجتماعية ، نمت بالعمل البشري والممارسة الاجتماعية، وتطورت خلال المراحل المختلفة في تاريخ التطور الإنساني، وليست اللغة إلا تعبيراً عن المنهج الاجتماعي الخارجي لعمليات الفكر الداخلية "[٣].

أما التفكير فهو :"اكتشاف المجهولات من طريق المعلومات ، والمفكر مكتشف، ما دام مفكراً، ولما امتاز الإنسان عن سائر الحيوانات بالعقل والتفكير، امتاز عنه بالتنقل والتحول في أطوار حياته، ونظم معيشته بمكتشفاته، ومستنبطاته، فمن المشي على الأقدام، إلى التحليق في الجو مثلاً، إلى غير ذلك من الأحوال الكثيرة التي تعتبر في حياته، فهو كذلك، أما سائر الكائنات الحية فستبقى على الحال التي خلقت عليها دون أي انتقال"[٤] .

---

[١] – الغزالي، محمد بن محمد، ت:٥٠٥هـ، **إحياء علوم الدين**، (٤ ج)، (دار المعرفة، ط ١، بيروت، ١٤٣١هـ – ٢٠١٠م)، جـ٤، ص ٤٢٥.

[٢] – العريبي، محمد مجيد، **المنطلقات الفكرية عند الإمام الفخر الرازي**، (دار الفكر، ط١، بيروت، ١٤١٣هـ – ١٩٩٢م)، ص ١٣٢.

[٣] الفخر الرازي، محمد بن عمر، ت:٦٠٦هـ، **التفسير الكبير**، (دار إحياء التراث العربي، ط ٣، بيروت،١٤٣١هـ – ٢٠١٠م)، ص ٤٥١.

[٤] – ابن باديس، عبدالحميد بن محمد، ت:١٣٥٩هـ، **تفسير بن باديس**، تحقيق: أحمد شمس الدين، (دار الكتب، ط ١، بيروت، ١٤١٦هـ – ١٩٩٥م)، ص١٥١.

أما الفكر الإسلامي فيمكن في هذا السياق تعريفه بالاستعانة بما يقوله أحد المفكرين المعاصرين :" إن الفكر الإسلامي إفراز فكر المسلمين في ظل الإسلام من أفكار اجتهادية بشرية، من الفلسفة والكلام والفقه وأصوله والتصوف والعلوم الإنسانية الأخرى منذ عصر الصحابة إلى اليوم في إطار الفهم الإسلامي، وذلك أنه يضم كل ما أنتجه العقل الاسلامي في كل المجالات ولكن من وجهة إسلامية، فالمنهجية الإسلامية تحفظ للفكر هيبته عندما يتم الالتزام بها ، ومن هذا المنطلق نُبعد جميع الفلسفات والمعتقدات المخالفة للإسلام ليبقى الفكر نقياً خالياً من الشوائب"[1] .

ولهذا فإن الفكر الإسلامي هو معبر عن التصورات الإسلامية، وينتج عنه الثقافة الإسلامية التي تحتوي كل ما نتج عن فكر المسلمين منذ مبعث الرسولﷺ إلى يومنا هذا، في المعارف الكونية العامة المتصلة بربنا ﷻ والعالم والإنسان، والذي يعبر عن اجتهادات العقل الإنساني في تفسير تلك المعارف العامة في ضوء المبادئ الإسلامية عقيدةً وشريعةً وسلوكاً[2] .

و من ناحية أخرى يرى الباحث أن الفكر الإسلامي هو أيضاً اتجاه يرتبط به الإنسان بعد تفكير لاختيار توجه يقيم على أساسه نهج حياته، وأن القيم الإسلامية والإنسانية التي يسير عليها والاتجاهات الفكرية تتقاطع فيما بينها بشكل كبير، كما أنه يمكن لأي إنسان اتخاذ مجموعة من المبادئ التي لا تنتمي لتوجه فكري معين، ويمكن اعتبارها توجهاً فكرياً خاصاً. ومن التعريفات الأخرى للفكر الإسلامي: أنه نتاج التأمل العقلي عن نظرة الإسلام العامة للوجود، والمتوافق مع قيمه ومعاييره ومقاصده[3].

---

[1] – التكريتي، محمد هادي، **مدخل لدراسة الفكر الإسلامي**، (دار غيداء، ط ١، عمان، ٢٠١٩م)، ص٩.

[2] – انظر، محسن عبد الحميد، **تجديد الفكر الإسلامي**، (دار التفسير، ط ٢، أربيل،١٤٣٩هـ – ٢٠١٨م)، ص ١٨.

[3] - أحمد حسن، **مصطلح الفكر الإسلامي**، (معهد الدراسات المصطلحية، ط ١، المغرب، ١٩٩٦م)، ص ٦٩٣.

ويعرف أيضاً بأنه يضم كل ما أنتجه العقل الإسلامي في كل المجالات وبالخصوص كل الإشكاليات والقضايا المرتبطة بالوجود والطبيعة والحياة[1].

ويستنتج من التعريفات السابقة أن الفكر الإسلامي يرتبط بأمور عدة أبرزها:

١- يحث على إعمال العقل في محاولة فهم الدين الإسلامي .

٢- يعتمد على النصوص الشرعية والمبادئ الإسلامية.

٣- يدعو إلى استنباط الأحكام الشرعية من المصادر الأصلية، والسعي لمعالجة مشاكل الأمة ومواجهة التحديات التي تواجهها بحلول ومعالجات متنوعة وأساليب عديدة وناجعة.

٤- يهدف إلى نشر الدين الإسلامي وتبليغه للناس وفق ذلك الفهم.

وانطلاقاً مما سبق يجد الباحث أن إعمال العقل هو أحد وسائل الفكر الإسلامي، وإعمال العقل لا يعني إطلاق العنان للعقل في تحديد الضوابط الإسلامية وجعله حكماً على النصوص الشرعية، وإنما إعمال العقل ليكون متفكراً بالمصادر الأصلية الإسلامية، ومسترشداً ومهتدياً ومنضبطاً بالثوابت الشرعية المستمدة من القرآن الكريم والسنة النبوية، فالثوابت الشرعية المتمثلة في الكتاب والسنة هي أصول الدين الإسلامي التوقيفية المنزلة من عند الله بالوحي، وبالتالي لا مجال ليكون العقل حكماً أو متحكماً فيها، فالإسلام نظام رباني لا مجال لتحكيم العقل فيه، من حيث إضافة شيء عليه أو حذف شيء منه، أو إحداث تغيير أو تبديل أو نحو ذلك، وما مجال العقل فيه إلا فهم النصوص القطعية الدلالة والإنسجام معها وتبليغها وشرحها وتوضيحها للناس.

[1]- انظر: عبدالعزيز انميرات، **مفهوم الفكر الإسلامي**، جريدة العلم العدد ١٠، سنة ١٩٩٧م، ص ٦.

المطلب الثاني: مفهوم الفكر الإسلامي.

يعد الفكر الإسلامي من المفاهيم التي تناولها علماء الإسلام، ودار حول هذا المفهوم محاولات فكرية وجهود علمية التي بذلت من قبلهم، وخاصةً بعد انتقال الرسول ﷺ إلى الرفيق الأعلى، بعد أن رسخ هذه المفاهيم في الأمة.

وهناك استعمالات عدة لمفهوم الفكر الإسلامي، منها ما وسع دائرته، حتى أدخلت فيها فلسفات غريبة عن الإسلام وتيارات منحرفة عن صراطه المستقيم، لأن تلك الفلسفات والتيارات ذات أصول هندية ومجوسية وثقافات يهودية ونصرانية مثل الغنوصية[1]، والهرمسية[2]، ونحوهما، والهدف من ذلك إعطاء إيحاءات بأن الإسلام وفكره ملفق من تلك الأصول الفلسفية والثقافية الأجنبية، وأنه ثمرة طبيعية للتراث اليهودي دون أدنى احترام للمنهج العلمي في النظر والبحث والمقارنة، لذلك، ولكون الفكر عامة والفكر

[1] – **الغنوصية** أو **العرفانية** أو **المعرفية**) بالإنكليزية ة(Gnosticism : هي مصطلحات حديثة تطلق على مجموعة من أفكار ومعارف من الديانات القديمة التي انبعثت من المجتمعات اليهودية في القرنين الأول والثاني الميلاديين. وبحسب تفسيرهم للتوراة، اعتبر (الغنوصيون أو العرفانيون) أن الكون المادي هو انبثاق للرب الأعلى الذي وضع الشعلة الإلهية في صلب الجسد البشري. ويمكن تحرير أو إطلاق هذه الشعلة عن طريق معرفتها، أي "أغنصتها، انظر: أحمد سليمان، **موسوعة محاسن الإسلام ورد شبهات اللئام**، (١٢ج)، (دار الإيلاف، ط ١، مصر، ٢٠١٥م)، ج ١، ص ٥٢٩.

[2] –**الهرمسية** هي: تقليد ديني وفلسفي مستقاة من كتاب منحول ينسب إلى هرمس)المثلث العظمة (والتي أثرت على التعاليم الباطنية الغربية بشكل كبير والتي تعتبر من أهم العوامل خلال عصري النهضة والإصلاح،يزعم هذا التقليد أنه مستقًى من لاهوت قديم، وهو المبدأ الذي يؤمن بوجود لاهوت واحد حقيقي أعطى للإنسان في الزمن الغابر ومنه تطورت بقية الأديان .معظم أهمية الهرمسية هي في تأثيرها الكبير في ظهور ونمو الفكر العلمي بين سنة ١٣٠٠ و ١٦٠٠ ق.م. فالأهمية التي أعطتها لفهم والتحكم بالطبيعة جعلت العلماء يهتمون بعالم السحر ومؤثراته مثل الخيمياء والتنجيم، والتي اعتقد بالقدرة على امتحان الطبيعة عن طريق التجارب. وبالتالي، فإن الكتابات حول هرمس جذبت اهتمام العلماء، انظر: الفيومي، محمد ابراهيم، **تاريخ الفكر الديني الجاهلي**، (دار الفكر العربي، ط ٤، بيروت، ١٩٩٤م)، ص ٢٩٨.

الإسلامي خاصة له أصالته، وله وجوده في المصادر العربية الإسلامية فإنه ينبغي تأصيل وبيان هذا المفهوم[1].

وبناء على ما سبق ذكره يعد مصطلح الفكر الإسلامي من المصطلحات الأصيلة التي انبثقت عن العقيدة والتصورات الإسلامية منذ فجر الإسلام، ثم تبلور مع مرور الزمن حتى صار المصطلح من المصطلحات الراسخة في عالم الفكر في الوقت الراهن وبذلك يمكن تعريفه على أنه[2]: "كل ما أنتج من فكر المسلمين منذ مبعث الرسول الله صلى الله عليه وسلم إلى اليوم في المعارف الكونية العامة المتصلة بالله سبحانه وتعالى والكون والعالم والإنسان، والذي يعبر عن اجتهادات العقل الإنساني لتفسير تلك المعارف العامة في إطار المبادئ الإسلامية عقيدة وشريعة وسلوكاً، وفي حدود أصوله و قواعده ومقاصده، والنظر في مجالات تطبيقية "[3].

بالإستناد إلى هذا المفهوم فإن كل فكر بشري نتج عن فكر مستقل، ولم ينطلق من مفاهيم الإسلام الثابتة القاطعة في القرآن الكريم و السنة النبوية الصحيحة، لا يمكن وصفه بأنه فكر إسلامي، لأن القول فكر إسلامي لأنه ليس من المنطق السليم أن يُنسب فكر ما إلى الإسلام وهو ليس منبثقاً عنه، بل يوصف بأنه فكر عام لم ينطلق من الإسلام، وإنما انطلق من أديان وعقائد ومناهج أخرى، تقترب من الإسلام في جانب وتبتعد عنه في جوانب أخرى.

---

[1]- شوكت محمد، **الثقافة الإسلامية وتحديات العصر**، (دار المتنبي، ط١، بغداد، ٢٠١١م)، ص ٦٢.

[2]- البوطي، محمد سعيد، **كبرى اليقينيات الكونية**، (دار الفكر، ط ٣٥، بيروت، ٢٠١٩م)، ص ٦٤.

[3] – محسن عبد الحميد، **تجديد الفكر الإسلامي**، ص ٤٣.

وهذا الفكر الإسلامي ليس هو الإسلام نفسه، من حيث هو وحي إلهي ثابت في مصدريه المعصومين، ولذا فإن ذلك الفكر ليس له عصمة الإسلام نفسه، ويجب ألا يخلط به، لأن خلطه به يؤدي إلى إقحام الفكر البشري في الوحي الإلهي، وقد جر ذلك كثيراً من الالتباسات التي أدت إلى نتائج في غاية الخطورة خلال التاريخ، إذ أضيفت أفكار بشرية منحرفة إلى الإسلام نفسه، وانتهى بها الأمر إلى إعاقة المسلمين والحضارة الإسلامية عن مواكبة التطور الحضاري للأمم الأخرى، وإنه من أخطر الأمور أن تتحول أفكار بشرية في نواحي الحياة إلى دين مقدس ينزل منزلة الدين السماوي المنزل من الخالق سبحانه، يُحاسَبُ الناس عليه، فالنتيجة بهذه الحالة هو إدخال فساد كبير على مبادئ الدين الإسلامي وتشويهه وتحريفه عن مبتغاه وعن الغاية الحقيقية التي جاء من أجل تحقيقها في المجتمع الإسلامي[1].

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ... ﴾ [آل عمران: ١٩]، ويقول ﷺ (مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ فِيهِ، فَهُوَ رَدٌّ)[2].

كذلك يجب فصل الفكر الإسلامي عن الإسلام حتى لا ينتج عنه تقييد الفكر عن الحركة والاجتهاد أمام تلك القضايا التي توسم بأنها مبادئ معصومة لا يجوز الاجتهاد فيها، فينتهي الأمر إلى الجمود والتأخر في مجال الإجتهاد، ولقد سبق لكثير من الباحثين في الفكر الإسلامي قديماً وحديثاً الوقوع في هذا الخطأ، إذ أنهم عندما يتحدثون عن الفكر الإسلامي يخلطونه بمبادئ الإسلام، القرآن الكريم و السنة الشريفة،

---

[1] – الكيلاني، رعد شمس الدين، **الفكر الإسلامي**، (دار الأندلس، ط ١، بغداد، ٢٠١٧م)، ص ٨٨.

[2] - البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، ت:٢٥٦هـ، **الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري**، (٩ ج)، تحقيق: محمد زهير، (دار طوق النجاة، ط:١، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م)،كتاب الصلح، باب إذا اصطلحوا على صلح جور فالصلح مردود،٣ جـ، ص ١٨٤،حديث(٢٦٩٧).

دون أن يضعوا فاصلاً بين الأصول الإسلامية التي هي ثوابت لا مجال للإجتهاد فيها والفكر المنتج منها أو التفاسير التي تدور حولها، والتي هي مبدأ واسع للإجتهاد وإبداء الرأي والإبداع العلمي والتطوير[1] .

وبهذا الصدد يقول محسن عبد الحميد " إن الفكر الإسلامي الذي نقصده لابد له أن ينطلق من ضوابط الإسلام، ولكنه بالرغم، من ذلك فإنه عبارة عن مواقف اجتهادية لعلماء الإسلام ومفكريه، فعند تصنيفه والحديث عنه وعن مراحله، لا بد أن يدرك كل قارئ لذلك الفكر، ذلك الفصل الحاسم بينه و بين أسسه و ضوابطه وقواعده "[2].

وينبغي على المسلم أن يعرف أن الدين الإسلامي ليس فكراً أو تصوراً أو فلسفة ، لأن مصطلحات الفكر والتصور و الفلسفة إنما هي إفرازات العقل الإنساني في تاريخه الطويل، سواء تم ذلك الإفراز في المجتمع الإسلامي أم في المجتمعات الأخرى، غير أن الفكر المفرز إذا اهتدى بهداية الإسلام في إطار ضوابط فهمه و قواعده، فإن إمكانية الخطأ فيه تقل كثيراً عن إمكانية الخطأ في الفكر التائه الذي لا يضبطه ضابط يستند إلى عصمة الوحي الإلهي و أصوله العامة لسببين وهما:

السبب الأول : إن الإسلام يضع الحقائق الإلهية الكاملة أمام العقل في المجالات التي ليس له أن يجهلها، لكون ذلك العقل وجد أصلاً لكي يكون عقلاً عملياً يتحرك عبر عالم المادة، فيحاول الكشف عن قوانينه و أسراره، ولذلك يجد الباحث أن العقل الإنساني، كلما حمَّل نفسه في تفصيلات قضايا عالم الغيب – ما وراء المادة – أكثر مما يتحمل، ضل وتاه وكثر اضطرابه ولم يصل قط إلى اليقين، والدليل القاطع على ذلك آراء الفلاسفة والمفكرين في تلك التفصيلات الغيبية منذ أقدم العصور إلى اليوم، فهي عبارة عن مجموعة من الأفكار المضطربة المتصارعة والمتناقضة في كثير من الأحيان والتي تدل على قصور

---

[1] – الكيلاني، **الفكر الإسلامي**، ص ٩٠.

[2] – محسن عبد الحميد، **تجديد الفكر الإسلامي**، ص ٤٤.

ذلك العقل المحدود في المجال المذكور، ومن جهة أخرى، فإن العقل الإنساني كلما عرف قدره و مجاله واشتغل في إطار كشف أسرار عالم المادة، أنتج بل أبدع في هذا الإنتاج، والدليل القاطع على ذلك ثمرات الحضارة في جانبها المادي والتنظيمي التي حقق بها الإنسان جزءاً من خلافته على الأرض، وكلما ادعى العقل المعرفة المطلقة في حل أسرار العالم الأول، ضل وانتهى إلى الإلحاد أو التيه والانحراف، وارتمى في أحضان التفسير المادي، وأنتج حضارة غير متوازنة، بعيدة عن تمثيل الفطرة الكونية والإنسانية بعداً كبيراً[1].

السبب الثاني : إن الهوى المعبر عن حركة الانفعالات الغريزية لدى الإنسان يعيق العقل عن حركته السليمة، ويحجبه عن الإدراك السليم لحقائق الأشياء، بل يعطله أحيانا تعطيلاً كاملاً، فيستعين الإنسان به، ويعتمد عليه، فلا يضع الأمور في أماكنها الصحيحة، فينتهي إلى إلحاق الضرر والظلم بنفسه وبغيره[2].

ولهذا يرى الباحث أن التفكير أهم مظهر من مظاهر وجود الإنسان، وهو الذي أعطاه المرتبة العلمية، التي تميزه عن عالم الحيوان، وكرمه بهذه المكانة التي رفعه إليها عن سائر الكائنات، وجعله سيداً لها، وقد أشار القرآن الكريم إلى هذه الحقيقة بقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء: ٧٠]، فبالتفكير يواجه الإنسان كل ما حوله ليكتشف فيه ما يساعده على التكيف والبقاء وإنشاء الحضارة، ولقد جعل الله الإنسان خليفة في الأرض وحمله الأمانة الكبرى من أجل أن يحقق مسؤوليته من خلال التفكير، ويقوم بالتكاليف التي فرضت عليه عند قبوله تلك الأمانة،

---

[1] – البهي، محمد عامر، **الفكر الإسلامي في تطوره**، (دار الفكر، ط ١، مصر،١٩٩٧م) ، ص٨، بتصرف.

[2] – انظر، البهي، **المرجع السابق**، ص٩.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ [الأحزاب: ٧٢].

فالتفكير إذاً فطرة، والإسلام دين الفطرة، فلا يرفضه بل يدعو دائماً إلى استعماله وعدم تعطيل طاقته وفسح المجال الواسع أمامه، ولقد وبّخ الله الإنسان الذي يعطل مَلَكةَ التفكير وذمه في آيات كثيرة قد وردت في القرآن الكريم ومنها قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ١٦٤].

وقوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ﴾ [ق: ٦]، وغيرها من الآيات القرآنية التي توضح قدرة الخالق وعظمته، الذي نضم هذا الكون في معرفة قدرة الله ومعرفة حكمته في خلق الكون وسائر المخلوقات.

المطلب الثالث : نشأة وتطور الفكر الإسلامي.

عاش العرب في مكة حياةً بسيطة، فبعث الله النبي ﷺ فيهم، وكانوا بعيدين عن الحضارة، وليس لهم معارف سوى الشِّعر وأخبار أيامهم وبعض المعارف المتواضعة، ولكن كانت لهم قيمهم وأخلاقهم الطيبة التي كانوا يعتزون بها مع سلوكيات أخرى تحمل كثيراً من السوء، مثل وئد البنات وأكل الميتة وعبادة الأوثان والحروب التي بينهم، فلما جاء الإسلام اختلف الأمر، فإذا بهؤلاء العرب ينشئون حضارة عريقة لها أسسها العميقة ومعالمها الواضحة، وقواعدها الثابتة، لينبثق عنها فكر رصين هو الفكر الاسلامي[1].

ولقد كان عصر النبوة مستنيراً بالوحي، وكانت آيات القرآن تتنزل لتعليم الناس الدين الحنيف، فنزل القرآن الكريم متدرجاً على مدى ثلاث وعشرين سنة في مكة والمدينة، ولهذا كانت عملية تنزل الوحي تأتي تباعاً لتحقق منهاجاً تربوياً لإعداد أمة وسطية، وتغير العالم بأنوار الرسالة الكاملة على وجه الأرض.

فكان ﷺ، يعلم الصحابة الكرام ويقرر المبادىء الأساسية التي يبنى عليها الإسلام كقوله: (صلوا كما رأيتموني أصلي) [2]، وكما قال أيضاًﷺ: (خذوا عني مناسككم) [3]، وغيرها من الأحاديث الشريفة التي بينت الأسس التي وضعها ﷺ للفكر الإسلامي.

وبناءً على هذه الحقيقة فإن السمة العامة لعصر النبوة كانت التفاعل مع الوحي بما يتنزل به من آيات الكتاب العزيز، وبما يقوله ﷺ وما يفعله أو يقرره وهو السنة، وتحويل تعاليم القرآن إلى واقع عملي وخطوات، وإلى بناء لمشروع حضاري يمثل الإسلام ويقدمه للناس كافة ديناً حضارياً يواجه الحضارات

---

[1]- ابن الأثير، محمد بن مكرم، ت: ٧١١هـ، **الكامل في التاريخ**، (١٠ج)، تحقيق: عمر عبدالسلام، (دار الكتاب، ط ١، بيروت، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م)، جـ ١، ص ٥١٣.

[2]- البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب أخبار الآحاد، باب ما جاء في إجازة خبر الواحد الصدوق في الأذان والصلاة والصوم والفرائض والأحكام ، جـ٩، ص٨٦،حديث(٧٢٦٤).

[3]- البيهقي، احمد بن الحسين، ت: ٤٥٨هـ، **السنن الكبرى**، تحقيق: محمد عبد القادر عطا،(١٠ج)، (دار الكتب العلمية، ط ١، بيروت، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م) كتاب الحج،باب الإيضاح، جـ٥، ص٢٠٤،حديث(٩٥٢٤).

المادية التي كانت سائدة، وهناك الكثير من الآيات الكريمة التي تثني على جيل الصحابة من المهاجرين والأنصار الذين بايعوا وجاهدو مع رسول الله ﷺ لبناء هذه التجربة العظيمة[1].

قال تعالى: ﴿لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [الفتح:١٨].

وقال تعالى: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾ [الحشر: ٨].

ولهذا كان عصر النبوة عصر تأسيس ونهضة وعمل ولم يكن عصر جدل، وكان جيل الصحابة يتلقى القرآن وتوجيهاته ﷺ، بسعادة غامرة وإيمان عميق وفهم دقيق ورغبة صادقة بالاتباع، فلم يجرؤ الصحابة على كثرة الأسئلة، وقد وردت في القرآن الكريم آيات قليلة تحمل إجابات عن أسئلة سألها الصحابة الكرام، وكانت الآيات تستفتح بقوله تعالى : ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ...﴾ [البقرة: ٢١٨]، وقوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ... ﴾ [البقرة: ١٨٩]، وقوله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ... ﴾ **[البقرة: ٢٢٢]**، وهكذا وأعظم من طبق القرآن الكريم وحوله إلى سلوك هو الرسول عليه الصلاة والسلام، فقد ورد في الحديث (أنه كان خلقه القرآن) [2] .

---

[1] - الكيلاني، **الفكر الإسلامي**، ص ٨٨.

[2] - أحمد، أحمد بن محمد بن حنبل ، ت: ٢٤١هـ، **مسند الإمام أحمد بن حنبل،(٤٥ ج)**، تحقيق: شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد، (مؤسسة الرسالة،ط١، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠١ م)، مسند الصديقة عائشة، جـ٤٣، ص١٥، حديث(٢٥٨١٣)، صحيح الأسناد.

أما عن مهمة الصحابة فكانت تلقي الوحي والاجتهاد في تطبيقه، والتسليم بما ورد فيه من حقائق. قال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥]، وبعد وفاة الرسول ﷺ عاشت الأمة صدمة عنيفة ذُهل على أثرها أكثر الصحابة، فعاشوا الصحابة في فترة الخلفاء الراشدين وساروا على القواعد التي وضعها النبي ﷺ، فازدادوا في الشرح والتفسير والتوضيح والتبليغ والنشر لما ورد في السنة[١]، ومن هنا بدأت تجربة تطور الفكر الإسلامي بالظهور في عصر غاب فيه الوحي، وأُطلق العقل الذي تربى على تلقي الوحي في النبوة لكي يمارس دوره في الاستدلال واستنباط الحلول للمشكلات التي ستواجهه، ومن حيث المبدأ أن العقل البشري لديه استعداد للاختلاف، وإن هذا الإختلاف قد يكون مذموماً، وقد يكون اختلافاً إيجابياً يشحذ الهمم وينمي القدرات العقلية، ويحقق تفاعلا متوازناً بين الواقع والنصوص[٢].

وبناء على ذلك يؤكد الباحث أن الصحابة، لم يختلفوا فيما بينهم في مجالات ترسخت في البناء التربوي الذي حققه سيدنا رسول الله ﷺ، ولم يختلفوا في مسائل الإيمان بالله تعالى وتوحيده، ولم يختلفوا في القرآن الكريم ودور الرسول في بيان الشريعة، وكذلك لم يختلفوا في مسائل الإيمان العملية في الصلاة والزكاة والحج والصيام، وإن كانت هناك آراء فقهية متنوعة لفهم النصوص لم تؤدي إلى تنازع وتصارع بين الصحابة، بل كان خلافهم في مسائل السياسة وأصول بعض التطبيقات العملية للنصوص الشرعية ، وكانت قليلةً جداً والحقيقة أن الاختلاف ملازم للطبيعة البشرية.

---

[١]- الدمشقي، عبدالرحمن حسن، **الحضارة الإسلامية أسسها ووسائلها**، (دار القلم، ط ١، دمشق، ١٩٩٨م)، ص ٢٧١.

[٢] – أبو زهرة، محمد بن أحمد، **تاريخ المذاهب الإسلامية**، (دار الفكر العربي، ط ١، القاهرة، ٢٠٠٩م)، ص ١١.

وبناءً على ذلك، فإن نشأة وتطور الفكر الإسلامي مرت بعدة مراحل منها ما يأتي:

المرحلة الأولى: عهد النبوة:

أحدث الإسلام انقلاباً في الفكر العربي، إذ نقل العرب من الجاهلية المتمثلة بالخضوع لأعراف القبيلة إلى أعراف الإسلام المتمثل بالخضوع التام لمنهج الله تعالى، وكان المنبع الرئيسي لهذا الفكر هو القرآن الكريم، وأقوال النبي ﷺ، وقد أقرَ الإسلام ما كان عليه العرب من قيم وأخلاق طيبة، لكنه ربطها بالعقيدة والإيمان، ففي مبدأ الصدق قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩]، وفي الكرم والإحسان إلى الجار والكلام الحسن قالﷺ: (مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلَا يُؤْذِ جَارَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُحْسِنْ قِرَى ضَيْفِهِ)[1].

فعصر النبوة كان الأساس لبناء وتطور الفكر الإسلامي، وحتى النبي ﷺ منع القيم التي كانت تحمل السوء.

المرحلة الثانية: عهد الخلافة الراشدة:

وبعد وفاة النبي ﷺ وفي زمن الخلافة الراشدة انقطع الوحي، وبدأ عصر الإجتهاد في الأمور المستجدة التي لم تكن على عهد النبي ﷺ، فاحتاج الأمر إلى أن يجتهد علماء الصحابة لبيان عدة أحكام مستنبطة من القرآن والسنة وفق ما فهموه من مقاصد الشريعة[2].

---

[1]- البخاري، صحيح البخاري، كتاب الادب، باب**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره**،، جـ ٨، ص١١،حديث(٦٠١٨)؛مسلم، صحيح مسلم، كتاب الايمان، باب الحث على إكرام الجار والضيف، ولزوم الصمت إلا عن الخير وكون ذلك كله من الإيمان، جـ ١، ص٦٨، حديث(٤٧).

[2]- الجويني، عبدالملك بن عبدالله، ت: ٤٧٨هـ، **نهاية المطلب في دراية المذهب**، تحقيق: عبدالعظيم الديب، (دار المنهاج، ط ١، د. م، ١٤٢٨هـ – ٢٠٠٧م)، ص ٧٧.

ومع أن مرحلة الإجتهاد بدأت إلا أنها كانت على نطاق ضيق جداً، لأن المستجدات لم تكن كثيرة، ولفهم الصحابة لغة القرآن لأنه نزل بلغتهم، وكذلك بسبب بيان الرسول ﷺ لهم كل شيء احتاجوا لفهمه.

المرحلة الثالثة: عهد الدولة الأموية:

في هذه المرحلة انتشر الإسلام بسبب الفتوحات في أمصار كثيرة من العالم، ودخل فيه أقوام كثر من غير العرب ممن كانت لهم حضارات وقيم وأفكار تختلف عما كان عليه المسلمون الأوائل الذين كان أغلبهم من العرب، فحصل إلتقاء فكري أدى إلى ظهور بعض الفرق مثل المعتزلة التي تأثر رجالاتها الأوائل بالفلسفة والأفكار الوافدة على العرب[1]، وكذلك بدأت المذاهب الفقهية في هذه المرحلة بالظهور واعتز كل فقيه بمذهبه، وأول هذه المذاهب هو المذهب الحنفي الذي انتشر في الكوفة موطن الإمام أبي حنيفة النعمان (٨٠هـ – ١٥٠هـ) مؤسس هذا المذهب، وقد كان له تلاميذ كثر مثل محمد بن الحسن الشيباني، وأبي يوسف الذي صار قاضي القضاة، والإمام زفر وغيرهم، وكان المذهب الحنفي يميل إلى الأخذ بالرأي كثيراً، وظهر في المدينة المنورة مذهب الإمام مالك (٩٣هـ – ١٧٩هـ)، وهو مذهب يميل إلى الأخذ بالنص أكثر من الرأي على خلاف مذهب الأحناف[2].

إن السمة الغالبة على الفكر الإسلامي في هذه المرحلة هي السمة العربية، فأكثر الذين دخلوا الإسلام في هذه المرحلة تأثروا بأخلاق العرب وثقافتهم، وصاروا يتكلمون بلسانهم، بل إن دولاً أصبحت في عداد الدول العربية مثل دول المغرب العربي التي كان يسكنها قبل ذلك أقوام من غير العرب.

---

[1]- متولي، تامر محمد، **منهج الشيخ محمد رضا في العقيدة**، (دار ماجد عسيري، ط ١، جدة، ٢٠٠٤م)، ص ٣٩٦.

[2]- أبو زهرة، **تاريخ المذاهب الفقهية**، ص ٣١.

المرحلة الرابعة: عهد الدولة العباسية:

في هذه المرحلة استمرت المذاهب الفقهية بالظهور، فنشأ المذهب الشافعي في بغداد، وهو مذهب جمع بين الأخذ بالرأي كالأحناف والأخذ بالنص كالمالكية[1]، وذلك لأن مؤسس المذهب الشافعي(١٥٠هـ – ٢٠٤هـ)، تتلمذ على يد الإمام مالك مثلما تتلمذ على يد الشيباني تلميذ أبي حنيفة، كما ظهر المذهب الرابع مذهب الأمام أحمد بن حنبل (١٦٤هـ – ٢٤١هـ)، وهذه المذاهب الأربعة هي التي وصلت إلينا كاملة في حين اندثرت المذاهب الأخرى مثل مذهب الليث بن سعيد، والأوزاعي، وسفيان الثوري وغيره.

وفي هذه المرحلة بدأت حركة الترجمة بتشجيع من خلفاء بني العباس، فتأثر الفكر الإسلامي بالفلسفة، وعلم الكلام والمنطق اليوناني كثيراً، وفي صدر الدولة العباسية ونتيجة لاعتناق أبناء هارون الرشيد لمذهب المعتزلة، صاروا يحملون الناس على المذهب بالقوة، فكانت محنة شديدة للناس، فسجن الإمام أحمد ومات كثير من العلماء في السجون، حتى جاء الخليفة المتوكل ليمنع ذلك، ثم ظهر المذهب الأشعري ومؤسسه أبو الحسن الأشعري (٢٦٠هـ – ٣٣٠هـ)، وكان في بداية الأمر معتزلياً لكنه ترك الاعتزال، وفي العصر الأخير من الدولة العباسية صار الأمر للأشاعرة، فاضطهدوا مخالفيهم من مدرسة السلف[2].

ومن أعلام الفكر الإسلامي في زمن الدولة العباسية، الإمام أبو حامد الغزالي (٤٠٥هـ – ٥٠٥هـ)، الذي تصدى للفلاسفة ونقض أفكارهم في كتابه مقاصد الفلاسفة وتهافت الفلاسفة، وبيّن أنهم عشرون صنفاً ثلاثة منهم مرقوا من الدين وارتدوا عنه، وهم القائلون بأن المادة التي خلق الله منها المخلوقات أزلية،

---

[1]- الخطيب البغدادي، احمد بن علي، ت: ٤٦٣هـ، **تاريخ بغداد**، تحقيق: بشار معروف، (١٦ج)، (دار الغرب، ط ١، بيروت، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠٢م).جـ ٢، ص ٤٠٤.

[2]- الزمخشري، محمود بن عمر، ت: ٥٨٣هـ، **ربيع الأنوار ونصوص الأخبار**، (٥ج)، (مؤسسة الأعلمي، ط ١، بيروت، ١٤١٢هـ – ١٩٩١م)، جـ ١، ص ٦٠.

والقائلون بأن الله يعلم الكليات دون الجزئيات، والقائلون بأن البعث يوم القيامة يكون للروح لا للجسد وأما السبعة عشر صنفاً الآخرون، فهم مبتدعون لكنهم لم يمرقوا من الإسلام[1].

وفي الوقت الذي حكمت فيه الدولة العباسية تأسست الدولة الأموية في الأندلس، وكان فيها كثير من المفكرين الإسلاميين الذين أثروا الفكر الإسلامي من أمثال أبن حزم الأندلسي والقرطبي وغيرهم.

المرحلة الخامسة: عهد الدولة العثمانية:

في نهاية الدولة العباسية ضعفت الدولة كثيراً حتى صار الخليفة اسماً لا سلطة له، إذ صار الأمر بيد غيره من الحكام مثل المماليك والأيوبيين والسلاجقة، والبويهيين والخ، حتى وصفه الشاعر بالقول:

خليفةٌ في قفصٍ ... بين وصيف وَبُغا

يقولُ ما يُقالُ له ... كما تقولُ الببّغا[2].

وكل هذه الدول كانت قصيرة الأعمار[3]، حتى استطاع العثمانيون أن يسيطروا على مقاليد الحكم، وأنشأوا دولة قوية مرهوبة الجانب، استمرت ما يقارب من ستمائة عام حتى سقوطها سنة ١٩٢٨م، وقد تمكنت الدولة العثمانية من حمل لواء الإسلام وإرثه من تراث علمي إسلامي منذ دخولها بلاد العرب حيث

[1] – الغزالي، محمد بن محمد، ت: ٥٠٥هـ، **المنقذ من الضلال**، تحقيق: عبد الحليم محمود، (دار الكتب الحديثة، ط ١، د . ت)، ص ١٤٤.

[2] - الذهبي، محمد بن احمد، ت: ٧٤٨هـ، **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام**، (٥٢ ج)، تحقيق: عمر عبدالسلام التدمري، (دار الكتاب العربي، ط ٢، ١٤٣١هـ – ١٩٩٣م) جـ ١٩، ص ٩٤،

[3] - ابن الصلاح، عثمان بن عبد الرحمن، ت: ٦٤٣هـ، **شرح مشكل الوسيط**، (٤ ج)، تحقيق: عبدالمنعم خليفة، (دار كنوز إشبيليا، ط ١، السعودية، ١٤٣٢هـ – ٢٠١١م)، جـ ١، ص ٣١.

حافظت على ذلك التراث وجعلته متاحاً لجميع الأمة، وكان الفقه السائد في هذه الدولة الفقه الحنفي، وأما الفكر فهو الفكر الأشعري لكنهما لم يلتقيا، وكان فكر الرجلين متقارباً في بعض المسائل[1].

وتجدر الإشارة هنا إلى هو الفكر الصوفي الذي بدأ بالظهور أوائل عصر التابعين، وكانت نشأته بهدف الحث على الالتزام بالأخلاق الفاضلة، وتربية الروح على الفضائل والزهد في الدنيا وفق منظور إسلامي، ولكن أفسدته الأفكار الوافدة بسبب الترجمة، فانقسم إلى قسمين: القسم الأول وهو التصوف العملي الذي التزم بمنهج الإسلام المتمثل بالكتاب والسنة، والقسم الآخر وهو التصوف الفلسفي الذي تأثر بالأفكار الوافدة مثل وحدة الأديان، ووحدة الوجود، والحلول والإلحاد[2]، ويتبين من ذلك أنه بعد نهاية حكم الدولة العثمانية التي كانت آخر معقل للمسلمين إلى يومنا هذا، أصبح المسلمون بلا قيادة إسلامية تجمعهم[3]، وبذلك أصبحت الأفكار المخالفة للإسلام تدخل بيوتهم دون استئذان، يعينها في ذلك وسائل التواصل الإجتماعي الحديثة والتلفاز والسينما التي سهلت الغزو الفكري لبلاد المسلمين، إضافة إلى ضعف الحصانة الفكرية عند كثير من العوام، ولكن هذا لم يمنع من وجود رجال فكر في هذه المرحلة أثروا الفكر الإسلامي الفقهي أو الصوفي من أمثال مالك بن نبي، ومحمد عمارة، وعبدالرحمن الكواكبي وغيرهم.

---

[1]- محمد فريد، **تاريخ الدولة العلية العثمانية**، تحقيق: إحسان حقي، (دار النفائس، ط ١٠، اسطنبول، ٢٠٠٦م)، ص ١١٥.

[2]- محمد فريد، **المرجع السابق**، ص ١١٦.

[3]- الأحمد، محمد علي، **سقوط الخلافة**، (دار الإسراء، ط ١، عمان، ٢٠٠٧م)، ص ٧٥١- ٧٦٤.

المبحث الثاني: مصادر الفكر الإسلامي، خصائصه، والعوامل المؤثرة فيه.

المطلب الأول: مصادر الفكر الإسلامي.

إن الفكر الإسلامي فكر نابع من تعاليم الإسلام ، ولهذا فإن كل فكر لابد من أن تتوفر فيه المعلومات الأساسية الأولية قبل اعتباره فكراً ، ومن الضروري أن تكون تلك المعلومات هي معلومات إسلامية فيما إذا كان ذلك الفكر سيصنف فكراً إسلامياً، كما وينبغي اعتماد المصادر الإسلامية الأصلية، لتعطي تلك المصادر أساساً لمشروعية الفكر الإسلامي، وإلا لما كان ذلك الفكر ذا صبغة إسلامية، وللفكر الإسلامي مصادر أساسية ومصادر أخرى غير أساسية.

أولاً: المصادر الأساسية:

أ– القرآن الكريم: اعتمد الفكر الإسلامي القرآن الكريم مصدراً رسمياً تُستنبط منه طرق الفهم الصحيح دون مناقشة، لأن القرآن الكريم دستور إلهي غير قابل لوضعه في دائرة التجارب والاحتمالات.

وعند التأمل في القرآن الكريم يجد المتأمل أن القران يفتح المجال الواسع لحركة العقل الإنساني، ويظهر هذا واضحاً للعيان باعتباره لا يقدم نصوصاً قاطعة في كثير من المسائل، بل تأتي تلك النصوص مرنة أو عامة أو ذات مقاصد كلية [1]، ولهذا " فإن الباحث المنصف إذا تحرى عن حقائق الحياة الإسلامية خلال التاريخ الطويل، يرى أن مظاهر الفكر الإسلامي المتنوعة كلها انطلقت من الإسلام، وجالت في دائرته واصطبغت بصبغته، وأن القضايا الكلية والجزئية التي أثيرت في التاريخ الإسلامي كانت بأصالة مصدريه الأساسيين"[2].

---

[1] – التكريتي، **مدخل لدراسة الفكر الإسلامي**، ص ٤٩.

[2] – النشار، علي سامي، **نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام**، (٣ج)، (دار المعارف، ط ٩، بغداد، ١٩٩٥م)، ج ١، ص ٣٤.

وتأكيداً لهذا فقد قال الله تعالى: ﴿فَٱسۡتَمۡسِكۡ بِٱلَّذِيٓ أُوحِيَ إِلَيۡكَۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٤٣﴾ وَإِنَّهُۥ لَذِكۡرٞ لَّكَ وَلِقَوۡمِكَۖ وَسَوۡفَ تُسۡـَٔلُونَ﴾ [الزخرف:٤٣_ ٤٤].

فالفكر الإسلامي اتخذ من القرآن الكريم، مصدراً أساسياً لا يحيد عنه ولا يزيغ ، بل إن القرآن الكريم هو المصدر الأوحد قبل شرح السنة للقرآن وبيان ما يخفى عن الناس، وبالتالي فإن مشاركتها للقرآن تجعلها المصدر الثاني للفكر والتشريع ومصدراً مهماً للعقل ليستنبط الأحكام من مظانها ومصادرها الأصلية.

قال تعالى: ﴿لَوۡ أَنزَلۡنَا هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ عَلَىٰ جَبَلٖ لَّرَأَيۡتَهُۥ خَٰشِعٗا مُّتَصَدِّعٗا مِّنۡ خَشۡيَةِ ٱللَّهِۚ وَتِلۡكَ ٱلۡأَمۡثَٰلُ نَضۡرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الحشر:٢١]. وقال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ﴾ [المدثر: ١٨]. وقال تعالى﴿إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ لَأٓيَٰتٖ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ [آل عمران: ١٩٠].

فالآيات الآنفة الذكر، تدل بشكل واضح وبيّن على أن القرآن الكريم هو مصدر القيم الأساسية للفكر الإسلامي، وقد دعا إلى المعرفة عن طريق العقل والتفكير، وعن طريق التفكر والتدبر والنظر في الأمور، وتشير الآيات السابقة أيضاً إلى عناية الله بالإنسان وكيف سخر له كل شيء من مخلوقاته الموجودة في هذا الكون من أجل استمرار الحياة وإعمار الكون، إن اسرار الحياة تقف وراء الكثير من هذه القضايا، وهذه التلميحات والإشارات القرآنية، أشبه بالضوء القوي، الذي يسلطه الله سبحانه على تلك القضايا ليفكر الإنسان فيها تفكيراً عميقاً ومن ثم يستخلص الأسرار التي بثها الله له في الكون وتأكيداً لهذا المعنى، قال تعالى﴿...كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [يونس: ٢٤]. فالقرآن الكريم هو كتاب الإسلام والمصدر الأول للتشريع.

ب– السنة المطهرة: لاشك أن السنة النبوية المشرفة، متمثلة بأقوال وأفعال وأحوال النبي ﷺ، قد فصّلت كل ما يحتاجه المسلمون من قضايا اجتماعية ودينية وفكرية، ثم بات فهمها واضحاً للعقول عن طريق الصحابة رضي الله عنهم ومن تبعهم من علماء الأمة الذين نقلوا هذا الدين، لتتكون وتتبلور ملامح الفكر الاسلامي في القرون الهجرية الأولى، ثم يزداد هذا الفكر اكتمالاً واتساعاً مع مرور الزمن وتوالي الإنجازات العلمية والحضارية لهذه الأمة، ولهذا ما وصف الفكر الإسلامي بأنه إسلامي، إلا لأنه انطلق من هذين المصدرين الإلهيين القرآن والسنة [1].

السنة في اللغة: هي "الطريقة والعادة "[2].

السنة اصطلاحاً : "هي ما صدر عن رسول الله ﷺ،من قول، أو فعل، أو تقرير"[3].

ومن هنا جاءت السنة النبوية المطهرة التي تعطرت بأقوال وأفعال النبي ﷺ، وتصرفاته التي امتلأت فكراً وحكمةً بالغة، وبينت للناس ما يخفى عليهم، وفسرت ما لم يفهموه، ومنحت الخلق كل ما يحتاجونه في حياتهم العلمية والعملية، حتى باتت مصدراً للعقول والأفكار، ومنهلاً للقلوب والأرواح .

وهكذا تكونت صورة الفكر الإسلامي السليم، المستمد من كتاب الله تعالى، ومن سنة نبيه ﷺ وصحابته الذين شكلوا القدوة والأسوة الحسنة في التمثل بهذا الفكر، وفي تطبيقه على الوجه الأكمل والأتم قولاً

---

[1] – الراوي، فؤاد محسن، **الفكر الإسلامي في مواجهة الفكر الغربي**، (دار المأمون، ط ١، عمان، ٢٠٠٩م)، ص ٤٦.

[2] - المناوي، عبد الرؤف بن علي، ت: ١٣١هـ، **التوقيف على مهمات التعاريف**، (عالم الكتب، ط ١، القاهرة، ١٤١٠هـ – ١٩٩٠م)، ص ١٩٨.

[3] - عبد الوهاب خلاف، ت: ١٣٧٥هـ، **علم أصول الفقه**، (مكتبة الأزهر، ط ٨، القاهرة، ١٤٣١هـ – ٢٠١٠م)، ص ٣٦.

وفعلاً وسلوكاً مليئاً بالتسامح والاعتدال والتعايش السلمي والرحمة لكل المخلوقات، ليشمل بذلك مصادر التشريع الأخرى.

ج- المصادر الأخرى:

١- المصادر الاجتماعية، كالإجماع والقياس والاستحسان والمصالح المرسلة، والاستصحاب والعرف ومذهب الصحابي وشرع من قبلنا وسد الذرائع.

٢- القواعد الفقهية والأصولية : وهذان المصدران هما نتيجة اتساع مجالات الفكر الإسلامي، لأن هذه المصادر الاجتهادية كلها قد اعتمدت على القرآن الكريم والسنة النبوية في الاجتهاد أو الاستنباط للوصول إلى الحكم[١].

ومما سبق يستنتج الباحث بأن كل نتاج العلماء المسلمين وكل من يشتغل بالعلوم الإسلامية على مدى القرون السالفة وكل ما كتبوه من كتب ومجلدات ومصنفات ومناقشات وجوامع وقواعد وأفكار كلها تعد رافداً للفكر الإسلامي ومصدراً له، وتجدر الإشارة هنا إلى أن المصدرين الأساسيين للفكر الإسلامي هما القرآن والسنة النبوية، أما بقية المصادر فإنها نتاج الفكر الإسلامي ومصادر أخرى له.

٣- الحضارات الأخرى: والمقصود بها الإلتقاء الحاصل بين الثقافة الإسلامية وثقافات الحضارات الأخرى، مما أدى إلى ان تسرب الأفكار المنحرفة إلى البُنية الإسلامية، وقد تسبب ذلك في إفساد جزء

[١] - البهي، **الفكر الإسلامي في تطوره**، ص ٩.

من الثقافة التي تسود في المجتمعات الإسلامية، وإفراز الثقافات المعادية للإسلام التي بدورها أدت إلى ظهور التيارات والفرق الفكرية المنحرفة [1].

كذلك فإن مناقشة الأفكار والحضارات الأخرى، والتأثر بها سلباً وإيجاباً أوجد بيئة خصبة لتلاقح الفكر الإسلامي بفكر وثقافة الحضارات الأخرى، مما أنتج فكراً جديداً يعد بمثابة شوائب وتشوهات فكرية وثقافية دخيلة قد أصابت الفكر الإسلامي الأصيل وأثرت فيه.

وعلى هذا ذهب الباحث إلى استنتاج مفاده أن كل ما صدر عن علماء الإسلام من كتب ومصنفات ومقالات وأفكار على مدى الأربعة عشر قرناً الماضية، كلها تعد رافداً للفكر الإسلامي ومصدراً له، فضلاً عن المصادر الأصلية التي هي القرآن الكريم والسنة النبوية، وهما وحي إلهي وينتج عنهما فكر إسلامي سليم وصحيح نابع من مصادر أخرى منها القواعد الفقهية .

[1] – الأشقر،عمر سليمان، **نحو ثقافة إسلامية أصيلة**، (دار النفائس، ط٤، عمان، ١٩٩٤م)، ص١١.

المطلب الثاني: خصائص الفكر الإسلامي.

الدين الإسلامي هو الدين الذي ارتضاه الله سبحانه للعالمين، وأخبر سبحانه أنه لا يقبل من أحدٍ سواه قال تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ...﴾

[آل عمران: ١٩].

ولهذا فإنه منهاج الحياة الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد، لأنه الدين الكامل الذي لا نقصان فيه، والشامل شمولًا يستوعب الزمان كله والحياة كلها وكيان الإنسان كله، ولأنه جامع لكل القيم والأخلاق والتشريعات، وعالمي، أي ليس لأمة بعينها ولا لجماعة لوحدها، إنما للإنسانية كلها بمختلف أطيافها وألوانها وألسنتها وأصولها وقبائلها وأممها، ودين الأولى والآخرة.

لذلك خصّه الله تعالى بخصائص ومميزات وصفات انفرد بها عن غيره من الديانات والمناهج والملل والمعتقدات.

ومن أبرز خصائص الفكر الإسلامي:

أولاً: الربانية: إن من أبرز الخصائص التي تميز بها الفكر الإسلامي عن غيره أنه رباني المصدر، لكون المفكر المسلم يعمل تفكيره في الوحي (القرآن والسنة) وفي شؤن الكون، لأنه ينطلق منها ، وفي ضوئهما ومن خلالهما يستنتج ويستنبط.

إذاً الفكر الإسلامي هو فكر رباني، أي وجهته ربانية وقصده ومصدره ربانيان، والفكر الإسلامي يتخذ الربانية مورداً ومنبعاً ومصدراً تميزه عن باقي التصورات الفلسفية التي ضلت الطريق، وعن سائر المعتقدات الوثنية التي ينشؤها الفكر البشري وتصوراته الخيالية.

وهذه الربانية التي يتميز بها الفكر الإسلامي، هي عكس ما يتميز به اتجاه الفكر الحداثي، الذي يعتمد على تصورات بعيدة عن الدين، بل رافضة له[1].

أما المعنى المراد من الربانية فيتكون من أمرين :

الأمر الأول : ربانية الغاية والوجه، ومعنى ذلك أن الإسلام يجعل غايته الأخيرة وهدفه البعيد هو حسن الصلة بالله تبارك وتعالى، والحصول على مرضاته، فهذه هي غاية الاسلام وبالتالي، هي غاية الإنسان ووجهته ومنتهى أمله وسعيه وكدحه في الحياة .

والأمر الثاني : ربانية المصدر والمنهج، ويقصد بذلك أن المنهج الذي رسمه الإسلام للوصول إلى غاياته وأهدافه، هو منهج رباني خالص، لأن مصدره وحي الله تعالى إلى خاتم رسله سيدنا محمد ﷺ، وقد جاء تحقيقاً لأمر الله الذي أراد به الهدى والنور والبيان والبشرى والشفاء والرحمة لعباده " [2].

قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ٥٧] .

---

[1] – الشيرازي، عبداللطيف **خصائص التفكير الإسلامي**، (مجلة حضارة الإسلام، ١٢/ ٦/ ٢٠٠٩م)، العدد الرابع، ص ٤.

[2] – القرضاوي، يوسف عبدالله، **الصحوة الإسلامية**، (دار الشروق، ط١، القاهرة، ٢٠٠١م)، ص ٦١.

وهذا يبين الفرق الشاسع الواسع بين الفكر الإسلامي الذي يستند إلى مصادر ربانية، وبين الفكر الحداثي والغربي الذي يفتقر إلى هذه المصدرية الربانية، بالإضافة إلى ذلك، فإن الربانية في الفكر الإسلامي تنفتح على عالمين، عالم الغيب وعالم الشهادة، على عكس الفكر الغربي الذي يقتصر على الجانب المادي وهو ما محسوس وخاضع للتجربة، دون عالم الشهادة لذلك قال تعالى:

﴿يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ﴾ [الروم: ٧].

ثانياً: الشمولية: إن من خصائص الفكر الاسلامي التي تزيد من قوته الإيمانية هي "الشمولية" ، وهي تعني أن يغطي الفكر الإسلامي جميع جوانب الحياة الإنسانية، ولهذا فهي تمنح هذا الفكر ميزة استيعاب وشمول شؤون الدنيا والآخرة، ما دامت غير مخالفة لشريعة الله تعالى، " وأساس هذا الشمول، يرجع إلى الإسلام الذي هو عقيدة وشريعة، وهو منهج حياة بشرية واقعية بكل مقوماتها " [١].

قال تعالى: ﴿ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾ [الفرقان: ٢].

قال السمرقندي: " يعني بيَّنَ الصلاح في كل شيء وجعله مقدراً معلوماً "[٢]

وقال أيضاً : "كل شيء خلقه من الخلق فقدره تقديراً، أي: قدر لكل ذكر وأنثى" [٣].

---

[١] – الكيالي، عبد الوهاب محمد، **الموسوعة السياسية**، (٧ ج) ، تحقيق: مجموعة من الباحثين، (المؤسسة العربية العالمية، ط ٢، بغداد، ١٩٨٥م)، جـ ٢، ص ٤٠٨.

[٢] – السمرقندي، نصر بن محمد، ت: ٣٧٣هـ، **بحر العلوم**، (٤ ج)، (دار الكتب العلمية، ط ١، بيروت، ١٤٣١هـ – ٢٠١٠م)، جـ ٢، ص ٥٢٨.

[٣] – السمرقندي، **المصدر السابق**، جـ ٢ص ٥٣٠.

لذلك فإن " من الخصائص التي تميز بها الإسلام عن كل ما عرفه الناس من الأديان، والفلسفات، والمذاهب، بكل ما تقتضي كلمة شمول من معان وأبعاد، وإنه شمول يستوعب الزمن كله، ويستوعب الحياة كلها، ويستوعب كيان الإنسان كله" [1].

إن رسالة سيدنا محمد ﷺ هي رسالة شاملة لكل زمان، لأنها رسالة جميع الأنبياء عليهم السلام، قال تعالى:

﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ [سبأ: ٢٨]، لهذا فإن الشمولية تميز الفكر الاسلامي عن جميع الأفكار الوضعية، " فلا يمكن أن تجيء فكرة بشرية، ولا منهج من صنع البشرية، يتمثل فيه الشمول أبدا، إنما هو تفكير جزئي، وتفكير وقتي، ومن جزئيته يقع النقص، ومن وقتيَّتِه يقع الاضطراب، الذي يحتم التغيير، ويتمثل في الأفكار التي استقل البشر بصنعها وفي المنهج الذي استقل البشر بوضعه، دوام التناقض أو دوام الجدل، المتمثل في التاريخ الأوربي "[2].

ولهذا فإن الباحث يرى أن الشمولية تتناول كل قضية من قضايا الحياة بكلياتها وجزئياتها وبصورة كاملة جامعة، وبسعة ودقة وتفصيل وحسب ما فصلته وبينته الشريعة الإسلامية الغراء، ووفق المنهاج المستقيم الذي رسمه لنا القرآن الكريم وسنة سيدنا ﷺ، بالإضافة إلى ضوابطها ومعاييرها.

ثالثاً: الواقعية: المقصود بالواقعية أن الفكر الإسلامي واقعي، لكونه يتعامل مع حقائق موضوعية ذات وجود حقيقي، وأثر واقعي إيجابي، ومع الواقع المشهود وليس مع تصورات عقلية مجردة، ولا مع مثاليات خيالية ليس لها مقابل في حياة الناس .

---

[1]- سيد قطب، **خصائص التصور الإسلامي**، (دار الشروق، ط٧، مصر، ١٩٨٠م)، ص ١١٠.

[2] – سيد قطب، **المرجع السابق**، ص ١١٠.

إن الإسلام بواقعيته الصحيحة بالنسبة للإنسان، نبهه إلى حقيقةٍ هامة مفادها أنه من المستحيل كبت نوازع جوهرية للإنسان، وهما المادة والروح، ومصادرة مطالبهما الضرورية، بل الواجب السعي إلى سد هذه الحاجات بطرق نظيفة، تتناسب مع كرامة الإنسان وتميزه عن بقية المخلوقات التي تقاسمه الغرائز والشهوات[١].

والواقعية فكر يربط العلم بالعمل، ويجمع بين الأصالة والمعاصرة، ويعيش واقع الناس، فهو متجدد بحسب الوقائع والأحداث.

إن واقعية الفكر الإسلامي تنفي عنه الخيال، لتجعله مرتبطًا ارتباطًا وثيقًا بالواقع وما يدور حوله، لأنه لا ينفصل عنه، فهو لا يسبح في بحار الخيال، ولا يحلّق في الأجواء المثالية الُمجنَّحةُ، فيفرض إنسانًا لا وجود له في الواقع، كما صنع الفارابي في مدينته الفاضلة، وأفلاطون في جمهوريته الخيالية، وكما تخيَّلت الشيوعية المادية الغافلة عن الله والدار الآخرة وعن المجتمع الذي تنعدم فيه الفوارق والطبقية وتزول الملكية، ولا يحتاج الإنسان فيه إلى دولة ولا قضاء ولا شُرطة ولا سجون [٢].

ولهذا فإن بيان سمات الواقعية في الفكر الإسلامي، ومراعاتها للفطرة البشرية، تستدعي القول أن الإسلام نظر إلى الإنسان على أنه محدود الإمكانيات حسب ما وهبه الله تعالى، فلم تفرض عليه الشريعة الإسلامية ما لا يطيقه، ولم تكلفه ما ليس بوسعه، وراعت حاجاته الفطرية مثل الطعام والشراب والنكاح،

---

[١] – زياد بن صالح، **واقعية التشريع الإسلامي وآثارها**، (جامعة الإمام محمد بن سعود، ط ١، السعودية، ٢٠٠٥م)، ص ٧٦، بتصرف .

[٢]- محسن عبد الحميد، **المذهبية الإسلامية**، (دار التفسير، ط٣، أربيل، ٢٠١٨م)، ص٧٥.

والظروف التي يمر بها من مرض وصحة وشباب وشيخوخة، أما في مجال العبادة والتكليف الرباني له، فقد راعت الشريعة قدرته في التكاليف المفروضة عليه فكان أن فُرض عليه ما يستطيعه فعلاً [1].

قال تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٨٦]، وقال تعالى: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ وَٱسْمَعُواْ وَأَطِيعُواْ وَأَنفِقُواْ خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْۗ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [التغابن: ١٦].

ولأن الإنسان بمحدودية علمه لا يدرك كنه حقية الخالق جلا في علاه جعل الله له دلائل على القدرة الإلهية ليهتدي بها إلى جادة الصواب [2].

ومن هذه المظاهر ملكوت السموات والأرض التي من خلالها تتجلى أهمية الواقعية في حياة هذا الكائن .

قال تعالى﴿أَوَلَمْ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيْءٍ وَأَنْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَدِ ٱقْتَرَبَ أَجَلُهُمْۖ فَبِأَيِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٥]، والذي يتبين للباحث أن الواقعية في الإسلام مهمة، وذلك لمحاورتها للعقل البشري حسب ما يعيه وما يفهمه، ولمراعاتها للفطرة الإنسانية، من أجل ان ترتبط الواقعية بحياته وممارساته التي تليق به ويستطيعها في الوقت ذاته.

---

[1]- سيد قطب، **الإسلام ومشكلات الحضارة**، (دار الشروق، ط ٩، القاهرة، ١٩٨٨م)، ص ١٢٣.

[2] - انظر، التكريتي، **مدخل لدراسة الفكر الإسلامي**، ص ٣٤.

المطلب الثالث: العوامل المؤثرة في تكوين الفكر الإسلامي.

أسهمت بعض المدارس العقلية والجماعات والفئات الإسلامية التي ظهرت في القرون الإسلامية الأولى، لا سيما في فترة صدر الإسلام، في تطور الفكر الإسلامي، وفي إدخال بعض الأفكار والتصورات إليه، وأدت إلى تطوره ووصوله إلى المقام الذي وصل إليه الآن، حيث كان لنشوء المدارس العقلية في المجتمعات الإسلامية الأثر الكبير في بلورة الأفكار الإسلامية وبلوغها المجد الفكري والحضاري، ولهذا يُجمل الباحثُ ذكر تلك المدارس العقلية بكل حيادية لفهم سبب نشوئها، وبيان تأثيرها ودورها في تطور الفكر الإسلامي.

أولاً : الخوارج: وهم في رأي البعض مجموعة من البغاة، خرجوا من غير وجه حق خرجوا على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ الذي كان على الحق،[1].

"عُرف الخوارج بهذا التسمية لخروجهم على الخليفة الراشدي الرابع علي بن أبي طالب، إذ كانوا من أشد الموالين له قبل قبوله التحكيم، وأطلقوا على أنفسهم أيضاً (الشُّراةِ) أي الذين شروا آخرتهم بدنياهم، وعُرفوا بالمحكِّمةِ، أي الذين يقولون لا حكم إلا لله"[2].

قال الشهرستاني: "كل من خرج عن الإمام الحق، الذي اتفقت الجماعة عليه ، يسمى خارجياً، سواء كان الخروج في أيام الصحابة على الأئمة ، أو كان بعدهم على التابعين بإحسان والأئمة في كل زمان"[3].

---

[1]- مجموعة من الباحثين، **موسوعة الفرق المنتسبة للإسلام**، (١٠ج)، (موقع الدرر السنية على الشاملة، د. ط، د. م، ٢٠١١م)، ج ٤، ص ٣٢٨.

[2]- الأحمد، محمد علي، **التاريخ الإسلامي مراحله وتكامله**، (دار الأكاديميون، ط ١، عمان، ٢٠٢١م)، ص ١٤٣.

[3] - الشهرستاني، محمد عبد الكريم، ت: ٥٤٨هـ، **الملل والنحل**، ٣(ج)، تحقيق: أحمد فهمي، (دار الكتب العلمية، ط٢، بيروت، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م)، ج ١، ص ١٣١.

لهذا فإن الخوارج ادَّعَوا دعوى باطلة مفادها أنهم يريدون إقامة الدين، وأنهم خرجوا من أجل إقامة الدين، ولم يأبهوا بما حدث من الانقسام الذي مزق وحدة المسلمين، وجرهم ما فعلوه إلى سفك دماء المخالفين، ومع ذلك جاهروا بدعوتهم الظالمة، مدعين الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر[1]، وفي الوقت نفسه استخدموا سلاح الإرهاب المسلح والعنيف للوصول إلى أهدافهم من قتل وترويع وتكفير لمخالفيهم من المسلمين، حتى صارت سمتهم الرئيسة القتل وسفك الدماء لتحقيق أهدافهم في فرض آرائهم بالقوة على جمهور المسلمين، وعلى مؤسسة الخلافة التي لها الشرعية الدينية والسياسية في قيادة الأمة وفي تطبيق الشريعة[2].

أصل نشأة الخوارج : تعود نشأة الخوارج إلى زمن النبي ﷺ، وذلك عندما طَعن عبد الله ذو الخويصرة التميمي بقسمة رسول الله ﷺ في توزيع الغنائم في غزوة حنين[3] إذ قال: " اعدل يا رسول الله فقال له ويلك إن لم أعدل فمن يعدل؟"[4]،

وفيهم قالﷺ: (يخرج من ضئضئ هذا الرجل قوم يتلون كتاب الله رطباً لا يجاوز حناجرهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية. قال: أظنه قال: لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل ثمود)[5].

---

[1] – التكريتي، **مدخل لدراسة الفكر الإسلامي**، ص ٣٤.

[2] التكريتي، **المرجع السابق**، ص ٣٥.

[3] - ابن كثير، اسماعيل بن عمر، ت: ٧٧٤هـ، **البداية والنهاية**، (٢١ ج)، تحقيق عبدالله التركي، (دار هجر، ط ١، السعودية، ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م) جـ ١، ص ٣٤١.

[4] - البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب فرض الخمس، باب: ومن الدليل على أن الخمس لنوائب المسلمين،جـ٤،ص٩١، حديث(٣١٣٨).

[5] - البخاري: **صحيح البخاري**، (رقم: ٤٠٩٤)؛ ومسلم: **صحيح مسلم**،كتاب الزكاة، باب ذكر الخوارج وصفاتهم،٢ جـ، ص٧٤٠،حديث(١٠٦٤).

فهذا أول خارجي خرج في الإسلام، وآفته أنه أراد أن يفرض رأيه، ولو توقف وتريث لعلم أنه لا رأي فوق رأي رسول الله ﷺ، وأتباع هذا الرجل، هم الذين خرجوا على سيدنا علي ﷺ وانفصلوا عنه ثم قاتلوه بعد التحكيم الذي تم في صفين، فقال"كلمة حق أريد بها باطل"[1].

فرق الخوارج وأسماؤهم:

اختلفت الخوارج حتى صارت عشرين فرقة[2] .

عقائدهم: لم يكن للخوارج دورٌ كبير في المسائل الكلامية والجانب النظري لعقائدهم، وذلك لأن نشأة الخوارج كانت نتيجة للأحداث السياسية، فتوجهوا إلى إثارة الأزمات والفتنة والخلافات في الأمة، وإلى الحروب، والخروج على السلطة القائمة، وإلى خوض الحروب والمعارك التي قامت بينهم وبين مخالفيهم، لذا قل عندهم الجانب النظري، مما جعل دورهم في المسائل الكلامية قليلاً، إلا أن هذه المسائل، تمثل أهم المباحث الكلامية، كمعرفة الله سبحانه وتعالى ورسله وشرعه، وقد جعلت فرقة النجدات منهم معرفة هذه الأمور أمراً واجباً وضرورياً، ولا يعذر فيه أحد، وغير ذلك من المسائل العقائدية الأخرى [3].

---

[1]- العمراني، يحيى بن سالم، ت: ٥٥٨هـ، **البيان في مذهب الإمام الشافعي**، (١٣ج)، تحقيق، قاسم النوري، (دار المنهاج، ط١، جدة، ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م)، جـ ١٢، ص ١٦.

[2]- وهذه أسماؤها: المحكمة الأولى، والأزا رقة ثم النجدات، ثم الصفرية، ثم العجاردة، وقد افترقت العجاردة، فيما بينها فرقا كثيرة منها الخازمية، والشعيبية، والمعلومية، والمجهولية، والمعبدية ، والرشيدية ، والمكرمية والحمزية ، والإبراهيمية ، والواقفة ، وافترقت الإباضية ، منها فرقا حفصية، وحارثية ويزيدية، وأصحاب طاعة لا يراد الله بها، واليزيدية منهم أتباع ابن يزيد بن أنيس ليست من فرق الإسلام، لقولها بأن شريعة الإسلام تنسخ في آخر الزمان، بنبي يبعث من العجم، وكذلك في جملة العجاردة، فرقة يقال لها الميمونة، ليست من فرق الإسلام؛ لأنها أباحت نكاح بنات البنات، وبنات البنين، كما أباحته المجوس.انظر: الشهرستاني، **الملل والنحل**، جـ١، ص ١١٥.

[3] – الأشعري، علي بن إسماعيل، ت: ٣٢٤هـ، **مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين**، (٢ج) ، تحقيق: نعيم زرزور، (المكتبة العصرية، ط ١، د.م،١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥م)، جـ ١، ص ٩٠.

وفي الحقيقة فإن حركة الخوارج كانت عاملاً مهماً في ظهور الخلاف حول مسألة مرتكب الكبيرة، وبما أن ظهور فرق الخوارج وأساليبهم في التعامل مع قضايا الفكر والعقيدة عادة ما يأخذان مسار الصدام والصراع والمواجهة، وبسبب ما ذهبوا إليه من ضيق الفكر والبعد عن الحوار واعتماد القتال وسيلة أساسية لفرض آرائهم، فخاضوا في سبيل فكرهم المعارك الدامية، وأسسوا منهج العنف وثقافة السيف في الفكر الإسلامي، والفكر الخارجي يعاد إنتاجه في كل عصر، إذا ضعفت حجة العلم والإيمان وساد الجهل والتعصب .

ثانياً : المعتزلة: لقد ذكرت المصادر التاريخية العديد من التيارات الإسلامية والفرق الكلامية، أبرزها "المعتزلة[1]" الذين عرفوا بتغليبهم العقل على النقل، وقالوا بالفكر قبل السمع، ورفضوا الأحاديث التي لا يقرها العقل حسب وصفهم، وقالوا بوجوب معرفة الله بالعقل ولو لم يرد شرع بذلك.

وأُطلِقَ اسم المعتزلة على فرقة ظهرت في الإسلام في القرن الثاني الهجري ما بين سنة (١٠٥- ١١٠هـ)، بزعامة رجل يسمى واصل بن عطاء الغزال[2].

نشأتهم :" نشأت هذه الطائفة متأثرة بشتى الاتجاهات الموجودة في ذلك العصر، وقد أصبحت المعتزلة فرقة كبيرة تفرعت عن الجهمية في معظم الآراء، ثم انتشرت في أكثر بلدان المسلمين انتشاراً واسعاً "[3].

وكان أول ظهورهم رداً على مسائل في العقيدة أيام الحسن البصري رحمه الله، حيث جرى خلاف واصل ابن عطاء الغزال في القدر حول القول بالمنزلة بين المنزلتين فيما أحدثه من البدعة، فعزله الإمام الحسن

---

[1]- المعتزلة هم: الذين أطلقوا على أن الله تعالى عالم بأفعال العباد قبل وقوعها ولكنهم خالفوا السلف فزعموا أن أفعال العباد مقدورة لهم، وواقعة منهم على جهة الاستقلال بواسطة الإقدار والتمكين.المازري، محمد بن علي، ت: ٥٣٦هـ، **المعلم بفوائد مسلم**، (٣ج)، تحقيق: محمد الشاذلي، (دار التونسية للنشر، ط ٢، الجزائر، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م)، جـ ١، ص ١٣٤.

[2]- الشهرستاني، **الملل والنحل**،جـ١،ص٤٣، وانظر: العمراني، يحيى بن أبي الخير، ت: ٥٥٨هـ، **الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار**،(٣ج) تحقيق: سعود الخلف،(أضواء السلف، الرياض، ط١، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م)،جـ١، ص٦٨.

[3]- غالب بن علي، **فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام**، ٣ج ، (المكتبة العصرية الذهبية، ط١، جدة، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م)، جـ٣، ص ١١٦٣.

البصري – رحمه الله تعالى– من مجلسه فاعتزل بأتباعه جانباً من المسجد، فسموا معتزلة لاعتزالهم مجالس المسلمين وبعقائدهم المخالفة التي يعتقدونها [١].

ومن أسمائهم التي اشتهروا بها: " أصحاب العدل والتوحيد، ويلقبون بالقَدَرِيةَ، والعدلية، وهم قد جعلوا لفظ القَدَرِيَّةِ مشتركاً، وقالوا: لفظ القَدَرِيَّةِ يطلق على من يقول بالقدر خيره وشره من الله تعالى "[٢].

وذكر أبو طاهر البغدادي فرق المعتزلة في كتابه الفرق بين الفرق قائلاً : " إن الْمُعْتَزلَة افْتَرَقت فِيمَا بَينهَا إلى اثنين وعشْرين فرقة كل فرقة مِنْهَا تكفر سائرها وَهن"[٣].

دور المعتزلة في تكوين وتشكل الفكر الإسلامي : بالرغم من إصرارهم على الأخذ بالمنهج العقلي وجعل العقل حكماً على الشرع، فقد ظهر دور المعتزلة واضحاً في الدفاع عن عقائد الدين أمام غزو الفلسفة اليونانية والأفكار الإغريقية، لذلك وقفوا أمام هؤلاء الغزاة الفكريين، واتخذوا موقفاً عقلانياً لنصرة الدين وقمع الأفكار الشاذة، ولذلك فإن تلك المواجهة قد أدت دورها، وحطمت آراء وأفكار متفلسفة تلك الديانات والفلسفات، واستطاعت أن تُسَهِمَ في مقاومة من حاولوا تشويه وتحريف العقائد الإسلامية، إلا أنها لم تستطع أن تتفادى ردود الفعل في ميدان الصراع الفكري العنيف، فوقعت في أخطاء منهجية، وموضوعية، وأسلوبية[٤].

---

[١]- الأسفراييني، طاهر بن محمد،ت: ٤٧١هـ، **التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق**، تحقيق: كمال الحوت، (عالم الكتب، ط ١ بيروت، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م)، ص ٤٣.

[٢]- الشهرستاني، **الملل والنحل**، جـ١، ص ٤٣.

[٣]-الواصلية والعمرية والهذيلية، والنظامية والأسوارية والمعمرية، والإسكافية والجعفرية والبشرية، والمراوية والهاشمية والتمامية والجاحظية، والحايطية، والحمارية والخياطية، وأصحاب صَالح قبَّة، والمويسية والشحامية والكعبية، والجبائية والبهشمية المنسوبة إلى أَبِى هَاشم بن الجبائى فَهَذِهِ ثِنْتَانِ وَعِشْرُونَ، انظر: البغدادي، عبدالقادر بن طاهر، ت: ١٠٣٧هـ، **الفرق بين الفرق**، (دار ابن حزم، ط ١، بيروت، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م)، ص ٨٣.

[٤]- محسن عبد الحميد، **تجديد الفكر الإسلامي**، ص ٦٧.

ومن الأخطاء التي وقع فيها المعتزلة وكانت سبباً في تقهقرهم بعدما دامت لهم الشهرة والقوة الفكرية أكثر من قرن، ما يلي:

١-غلو المعتزلة وإسرافهم في الاستدلال العقلي.

٢- اتخاذهم القوة وسيلة لفرض آراءهم الدينية ووجهات نظرهم الفكرية.

٣- لجوؤهم إلى الاضطهاد لمخالفيهم في المعتقد وخصوصا أهل السنة [١].

ويجد الباحث أن ما قاله العلماء عن المعتزلة وعن آرائهم ومعتقداتهم وعن أثرهم الفكري والعقدي في التأثر بفكر الفلاسفة ثم تقديمهم المعقول على المنقول، قد أضر الأمة كثيراً في مرحلة تَشَكُّلِ الفكر الإسلامي، لأن ذلك أعاق حركة التكوين الأصيلة للفكر الإسلامي، وأدخل الكثير من الشوائب الفلسفية والعقدية في الفكر الإسلامي، وجعل هذا المورد الفكري الذي قدمه المعتزلة، مشوباً بالشوائب ومثار جدل كبير في الأمة، أثرت على مسيرتها ونهضتها كثيراً، وكانت حجر عثرة في طريق النهضة الحضارية السليمة للأمة بسب هذا الغلو في تعظيم دور العقل وفي إدخال الأفكار الفلسفية الغريبة والدخيلة على الفكر الإسلامي.

[١]- رشدي محمد عيان، **أصول الدين الإسلامي**، (دار الإمام الأعظم، ط٢، بيروت، ٢٠١١م)، ص ٨٣.

المبحث الثالث: مفهوم التيار وتطوره وتعدد تيارات الفكر الإسلامي.

المطلب الأول: تعريف التيار لغةً واصطلاحاً، أنواعه ونشأته.

من سنة الله تعالى في خلقه أن جعل في البشر تنوعاً وتفاوتاً في طريقة التفكير، مما ينتج عنه اختلاف الأفكار فيما بينهم حسب فكرهم وتوجههم، وإن اختلاف الناس في طبائعهم وبيئتهم ومصالحهم أدى إلى التنوع في الأفكار والثقافات والمذاهب، وإلى نشوء تيارات صنعت تاريخاً لنفسها ومكانة بين الناس قال تعالى:

﴿وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخۡتَلِفِينَ﴾ [هود:١١٨].

أولا: تعريف التيار لغةً واصطلاحاً:

التيار في اللغة هو : "حَرَكَة سطحية فِي مَاء الْمُحِيط تتأثر باتجاهات الرِّيَاح وتنقل الْمِيَاه الدافئة إِلَى المناطق الْبَارِدَة وَبِالْعَكْسِ، أَوشدَّة جَرَيَان المِاء، وَيُقَال فرس تيار يموج فِي عدوه والتائه المتكبر "[1].

وقال بعضهم به موج البحر وهو آذيُه وموجه، ويقال قطع عرقاً تياراً، أي: سريع الجرية، في الكسر التيه[2].

وقد جاء في معجم الغني قوله : " تَيَّارُ البَحْرِ: مَوْجُ البَحْرِ الهائِجِ. "اِنْدَفَعَ تَيَّارُ النَّهْرِ يَجُرُّ وَراءهُ كُلَّ ما وَجَدَهُ أَمامَهُ"[3].

---

[1] – مصطفى ابراهيم وآخرون، **المعجم الوسيط**، (٣ج) ، (دار الدعوة، ط ٣، القاهرة، د.ت)، ج١، ص ٩٣.

[2] – أبن منظور، **لسان العرب**، ص٥٣.

[3] – عبد الغني بن علي، **معجم الغني**، (٣ج)، (دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، ٢٠١٣م)، ج١، ص ١٤٣.

ويقال أيضاً التَيَّارُ الفِكْرِيُّ ، أي : " حَرَكَةٌ فِكْرِيَّةٌ لَها نَسَقٌ فِكْرِيٌّ مُعَيَّنٌ ذَهَبَ مَعَ التَّيَّارِ: مَعَ السَّيْلِ الْمُنْدَفِعِ"[1].

التيار في الاصطلاح: إن مصطلح التيار الفكري قد يستخدم للتعبير عن مجموعة من الأفكار أو الآراء أو المواقف تجاه قضية أو موقف معين، فيشير هذا المصطلح إلى التيار الفكري، وهو عبارة عن حركات فكرية تنتهجها مجموعة من الأشخاص أو الجماعات المتبنية لفكرة أو اتجاه واحد، ويكون هدفهم من ذلك تغيير النظام القائم بأبعاده المختلفة، سواء أكانت سياسية، أو اجتماعية، أو اقتصاديّة، واستبداله بنظام يحمل أفكاراً جديدة، ولا بد من الإشارة هنا إلى أن هذا النوع من التيارات لا يأخذ صفة الديمومة، إلّا إذا تحول إلى حزب أو تنظيم يحمل دستوراً وله مبادئه وأهدافه، وحضوره السياسي[2].

ومصطلح التيارات الفكرية يمكن أيضاً تعريفه على أنه "عبارة عن نتاج فكري معين ، يتبناه فرد أو مجموعة من الأفراد، ذات اتجاه محدد، من أجل تغيير نظام سياسي أو فكري أو اقتصادي أو اجتماعي، ووضع نظام آخر يعبر عن استجابة الجماهير وتغييرهم لأخطاء النظام السابق، علماً أن هذا التيار لا يستقر على ما هو عليه"[3] .

ولهذا فإن كل ما تعددت به التيارات الفكرية من افكار يؤدي الى افتعال الأزمة الفكرية على الساحة الإسلامية، بل أن طبيعة البشر ان يختلفوا في المفاهيم والإدراكات والنتائج فلكل حظه من توقد العقل

---

[1]- عبد الغني، **المعجم الغني** ، جـ ١، ص ١٤٤.

[2]- الشمري، جميلة عيادة **مفهوم التيارات الفكرية وعلاقته بالمصطلحات ذات الصلة**، (جامعة الإمام محمد بن سعود، ط١، السعودية، ٢٠١٢م)، ص١١، بتصرّف.

[3]- التكريتي، محمد هادي، **اتجاهات فكرية معاصرة**، (دار المنهجية، ط١، عمان، ٢٠١٧م)، ص ١٠.

والحكمة، لكن السيئ هو ان تصل الافكار الى بغض بعضها البعض وإلى الإساءة والتجريح والأدهى من ذلك هو الإخراج من الملة والدين مرة واحدة، وهذا يعد من التكفير[١].

ثانياً : أنواع التيارات:

التيارات أنواع متعددة منها، السياسي[٢]، والإقتصادي[٣]، والتكنولوجي[٤]، والتيار الفكري الذي هو مدار الحديث في هذه الدراسة.

والتيار الفكري هو مجموعة من الأفكار التي تتبعها مجموعة معينة، وتتخذ فكراً معيناً أو اتجاهاً واحداً ، بهدف تغيير الوضع الراهن[٥].

ثالثاً: سبب نشأة التيارات الفكرية في المجتمع الإسلامي:

إن سبب انتشار التيارات الفكرية في المجتمع الإسلامي يعود للسنن الكونية على أرض الله تعالى، ويعود أيضاً لتأثر المسلمين بالفلسفات الغربية، مما أنتج للعالم تيارات عديدة صنعت التاريخ والمجد الفكري لنفسها.

---

[١]- التكريتي، **اتجاهات فكرية معاصرة**، ص ١١.

[٢]- هو حركة ينتجها جماعة من الأفراد أو مجموعات تتبنى فكر أو اتجاه واحد، ويكون هدفها تغيير النظام القائم بأبعاده المختلفة سواء كانت سياسية أو اجتماعية أو اقتصادية، انظر: السامرائي، نعمان عبد الرزاق، **النظام السياسي**، (دار التراث، ط١، بغداد، ٢٠١٠م)، ص ١٢.

[٣]- وهو تيار ربحي، ويهدف إلى الترويج والإعلان، ويشمل سوق البورصة والأسهم، انظر: محمود بلال، **الاقتصاد الإسلامي**، (مطبعة المدينة المنورة، ط ٢، الرياض، ١٩٧٦م)، ص ١٥.

[٤]- يرتبط هذا التيار بالمسائل التكنولوجية، ويعكس قدرة البشر على مواكبة التقدم التكنولوجي (علم التقنية)، انظر: مالك بن نبي، **وجهة العالم الإسلامي**، (مكتبة الأسد، ط ١، القاهرة، ٢٠١٢م)، ص ٥٩.

[٥]- الشمري، **مفهوم التيارات الفكرية**، ص ١١.

ولهذا فإن الكثير من التيارات الفكرية الإسلامية المعاصرة قد انبثقت من تعاليم الإسلام وأصوله[1]، وهي تدعو دائماً إلى العودة الحقيقية للإسلام ومبتغاه، وتعمل على إحياء التراث الإسلامي[2].

إن سبب انتشار التيارات الفكرية يعود بالدرجة الأولى إلى الأوضاع غير المستقرة التي حلت بالعالم الإسلامي بشكل عام، والعراق بشكل خاص، وذلك بسبب الصراعات والحروب التي نشبت في الوطن العربي والإسلامي، وخلاصة القول، أنه قد ظهرت في العالم الإسلامي تيارات أحيت التراث وسارت على مبادئ وقيم إسلامية، وأخرى جاءت ضد الإسلام ومبادئه وقيمه، وهي تريد الخراب والدمار للبلاد وللأمة الإسلامية، لهذا فإن تعدد التيارات الفكرية، هو أمر طبيعي يندرج ضمن سنة الاختلاف التي جعلها الله تبارك وتعالى أمراً واقعاً بين الخلق، ليتبين المؤمن من غيره، وليؤكد أن سُنَّةَ الله ماضية نافذة في الكون وبين الناس كما قدرها الله ﷻ، ومن هنا فإن تعدد الأفكار التي لا تتصادم ولا تنافي السنن التي أرادها الله وبينها في القرآن الكريم هي ظاهرة صحية وإن البشر بصورة عامة تتعدد وجهات نظرهم في عرض آرائهم وأفكارهم، من أجل معالجة الخلل الفكري الذي يعم في مجتمعهم .

[1]- غالب علي، **المذاهب الفكرية المعاصرة ودورها في المجتمعات**، (المكتبة العصرية، ط ١، جدة، ٢٠٠٨م)، ص ٦٧.

[2]– انظر: بن زيد، عبدالرحمن، **السلفية وقضايا العصر**، (دار إشبيليا، ط١، الرياض، ١٩٩٨م)، ص ١٧٥.

المطلب الثاني: تعدد تيارات الفكر الإسلامي.

اولاً: التعددية في اللغة:

جاءت التعددية بإسم المؤنث المنسوب إلى التعدد، وهي تعني العدد والكمية والكثرة[1]، وجاءت التعددية في معجم الغني بقوله: " تَعَدَّدَ يَتَعدَّدُ تَعَدُّدٌ أي: تعددت الآراء حول الموضوع أي: كثرت وتنوعت وقال تَعَدَّدَتِ السبلُ والغايةُ واحدةٌ"[2].

ثانياً: التعددية في الإصطلاح:

تعرف التعددية بأنها عبارة عن تنظيم حياة المجتمع وفق قواعد عامة مشتركة، تحترم وجود التنوع والإختلاف في إتجاهات السكان في المجتمعات ذات الأطر الواسعة، وخاصةً المجتمعات الحديثة حيث تختلط الإتجاهات الأيدويولوجية والفلسفية والدينية[3].

فالتعددية هي فكرة أصيلة في الإسلام وقد ذكرت في القرآن الكريم، الذي يمثل مصدر قبول الآخر ومرجعية التعايش السلمي في المجتمع، بالإضافة إلى الأفكار والديانات والمذاهب الأخرى في المجتمع الإسلامي.

ولقد تناول الوحي القرآني مفاهيم سامية في أهمية التعددية والتنوع الفكري والعرقي والإجتماعي والثقافي والسياسي في المجتمع الإنساني والمجتمع الإسلامي، قال تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ﴾

---

[1]- أحمد مختار، **معجم اللغة العربية المعاصرة**، (٤ ج)، (عالم الكتب، ط ١، بيروت، ٢٠٠٨م)، ج ٤، ص ١٤٦٤.

[2]- عبد الغني بن علي، **معجم الغني**، ص ٨٣.

[3]- عبدالوهاب علوب، **معجم المصطلحات السياسية**، (دار الكتب والوثائق، ط ١، القاهرة، ٢٠١١م)، ص ٨٣.

[الروم: ٢٢]، فاختلاف اللغات والألوان والأعراق بين الناس آية من آيات الله وهذا دليل على قدرته في الخلق والإبداع، وليس سبباً في تفضيل أي منهم أو تمييزه عن غيره، ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةَ وَٰحِدَةٗۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخۡتَلِفِينَ ﴾ [هود: ١١٨]، ومعنى ذلك أن اختلاف الناس في تفكيرهم وتوجهاتهم هو من سنن الخالق جل جلاله في البشر، وهذا الإختلاف قد يؤدي إلى الخلاف والتنازع إلا إذا وسع الناس بعضهم بعضاً.

والتعددية تعطي الحق لجميع أفراد وفئات المجتمع في الإدلاء بآرائهم والتعبير عما يعتقدونه من أفكار وتوجهات، وتقضي بتقبل جميع الآراء المختلفة في سبيل تيسير الحياة واستمراريتها.

وإن كلمة التعددية، لها معنيان رئيسان لهما صلة بهذا المفهوم وهذا المصطلح أحدهما فلسفي، والآخر سياسي اجتماعي، ومدارهما على: التعدد النوعي في المبادئ والمعتقدات، والتعايش بين هذا المتعدِّدات مع بقاء خصائصها. " وأمَّا كلمة التعددية الدينية، فهي في فلسفة الدين ، وعلم اللاهوت ، وعلم الإنسان وعلم الاجتماع، ومقارنة الأديان "[١].

يقول محمد عمارة : " التعددية تنوع مؤسَس على تميز وخصوصية، ولذلك فهي لا يمكن أن توجد وتتأتى، بل ولا حتى تتصور إلا في مقابل، وبالمقارنة مع الوحدة والجامع، ولذلك لا يمكن إطلاقها على التشرذم والقطيعة التي لا جامع لآحادهما، ولا على التمزق الذى انعدمت العلاقة بين وحداته، وأيضاً لا

[١] – محروس محمد، **التعددية الدينية رؤية تأصيلية**، مجلة جامعة الطيبة للآداب والعلوم الإنسانية، العدد ١٢، س ١٤٣٨هـ، ص ٣.

يمكن إطلاق التعددية على الواحدية التي لا أجزاء لها، أو المقهورة أجزاؤها على التخلي عن المميزات والخصوصيات على الأقل عندما يكون الحكم على عالم الفعل، لا على عالم الإمكان والقوة "[1].

فالوحدة الجامعة مركبة من وحدات صغيرة، ولكل وحدة خصوصيتها، وهي مطمح لكنها لا تلغي الخصوصية، ويقترب عظيمة من هذا المعنى الذي أشار إليه عمارة، ولكنه يصيغ فهمه للتعددية والاختلاف بصورة أخرى، فهو يؤكد أن ما جاء في تعريف عمارة للتعددية من: "أنها تنوّع مؤسّس على تميّز وخصوصية، هو عينه الذي أقوله، وإن أردت له أن يأتي بصيغة أخرى، فأنا أقول أنها: اختلاف في الاجتهاد، واجتهاد في الاختلاف "[2].

ثالثاً: نشأة التعددية : لا بد من بيان أن فكرة التعددية وُلِدَت في عصر النهضة بسبب ما جرى من انقلابات فكرية واجتماعية، وما تم من انقلاب على الظلم الكنسي الذي رفضه أغلب أتباع الكنيسة، إذ كانت الكنيسة تنشر فكرة عنصرية مفادها أنه لا يدخل الجنة إلا من اغتسل غسل (التعميد[3]) الكنسي، وهذا أخطر ما يواجه المجتمع المتعدد الديانات، حيث يتم الحكم بالجنة لكل من اغتسل بماء التعميد واعتنق الديانة المسيحية، ويرمى باقي البشر من أهل الديانات والمذاهب والأفكار الأخرى في دائرة

---

[1] - محمد عمارة، **التعددية الرؤية الإسلامية و التحديات الغربية** ، (فصلية الجامعة الإسلامية ، لندن ، الجامعة العالمية للعلوم الإسلامية ، السنة ١، العدد ٢، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م)، ص ٣ .

[2] - صالح عظيمه،**التعددية بين الرؤية والواقع**، نقد وتصويب ، (فصلية الجامعة الإسلامية ، لندن، الجامعة العالمية للعلوم الإسلامية، لندن، السنة ٢، العدد ٧، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م)، ص ٢٧.

[3] - هو غمس التائب في الماء يشيرون بذلك إلى الانغماس في الطاعة والتجرد عن المخافة، انظر: الهاشمي، صالح بن حسين، ت ٦٦٨هـ، **تخجيل من حرف التوراة والإنجيل**،(٢ ج)، تحقيق: محمود القدح، (مكتبة العبيكان، ط ١، الرياض، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م)، جـ ١، ص ١٣٤.

الضلال والظلام، والإقصاء الديني والاجتماعي والاضطهاد العنصري والتمييز الطبقي، بعيدين عن رحمة الله تعالى[1].

وبما أن أتباع الكنيسة كانوا يعيشون معاً مع أهل الديانات الأخرى، ولم يظهر من غير المسيحيين ما يدل على أنهم خرجوا من رحمة الله تعالى كما تدعي الكنيسة، فقد رفض القساوسة الواعون إقصاء الآخرين، فكانت فكرة التعددية أفضل ما يمنح الإنسان الحياة الآمنة والمستقرة، ومن هذا المنطلق ظهرت التعددية الدينية، فللإنسان الحق في اختيار سلوكه ومنهجه من غير أن يمارس عليه حكم جائر يقصيه من الحياة نهائياً.

رابعاً: أهمية التعددية: لقد اكتسبت التعددية أهمية خاصة على الصعيدين العملي والأكاديمي، في ظل ما طرحته الصراعات الإنسانية التي شهدتها مجتمعات مختلفة على امتداد دول العالم مثل: يوغسلافيا، والشيشان، وراوندا، وزائير، وكندا، والهند من تحديات لأنماط إدارة التنوعات الإثنية، وما ينجم عنها من صراعات في هذه المجتمعات، ويمكن القول أن أساليب إدارة التعددية الإثنية قد خضعت لاختيارات سياسية وحسابات أيديولوجية مختلفة، أسفرت عن تنوع واختلاف في طبيعة تلك الأساليب على نحو ألقى بظلاله على الرضا والقبول السياسي من جانب الجماعات الإثنية في المجتمع المعني، وعلى الاستقرار الداخلي للنظام السياسي في هذا المجتمع [2].

ولهذا فإن أهمية مفهوم التعددية بهذا القالب يمتلك خاصية التأقلم مع جميع الظروف، فهو قانون فضفاض وليس ثابتاً، من أجل الإشارة الى تناقضات أوضاعه المختلفة، التي تعقد عملية عزل هذا المفهوم

---

[1]- الندوي، علي بن عبدالحي، **ماذا خسر العالم**، (مكتبة الإيمان، ط ١، مصر، ٢٠٠٦م)، ص ١٥٧.

[2]- انظر: محمد بن عاشور، **التعددية الإثنية**، (المركز العلمي للدراسات السياسية، ط ١، مصر، ٢٠٠٢م)، ص ٢٠.

عن واقع المجتمع المركب سياسياً واجتماعياً، ويستنتج مما سبق أن التعددية مفهوم متعدد الوجوه، غير أن البعض يرى أن التعددية تختلف فيما لو كانت مفهوماً، عنها لو كانت مصطلحاً، إذ إن التعددية كمفهوم ترادف التنوع والاختلاف[1].

أما كمصطلح فيعتقد بعض آخر بأنها تمثل النظام السياسي الذي له خلفية فلسفية ترتبط بإدراك دور الدولة وطبيعة المواطنة بل وطبيعة الإنسان، ولها ملامح مؤسسية ثابتة مستقر عليها، وتقترن بتطور اقتصادي، واجتماعي محدد ومناخ ثقافي يقوم على الفصل بين الدين والدولة، وتهدف إلى إدارة الصراع الاجتماعي، بمعنى أن التعددية كمصطلح تعبر عن أحد أشكال الممارسة الديموقراطية، وهذا التمييز بين المفهوم وبين المصطلح تمييز من شأنه أن يعطي ديناميكية للحياة العامة بحيث يفصل ما بين التنوع كأصل طبيعي وفطري في الحياة ولابد منه، وبين النظام أو الآلية التي يجب أن تدير هذا التنوع [2].

خامساً: التعددية في الإسلام: أما عن التعددية في الإسلام في مفهومها العام، فهي تقبل رأي الآخر، على مبدأ رأينا صواب يحتمل الخطأ، ورأي غيرنا خطأ يحتمل الصواب .

هذه التعددية تتقبل الرأي الآخر كحقيقة بحكم الطبيعة الإنسانية والأحكام الشرعية، وتحمي حقه في عرض حجته، كما تمارس حقها في الاعتراض عليه[3].

---

[1]- انظر: عوض، جابر سعيد، **مفهوم التعددية في الأدبيات المعاصرة**، بحث مقدم لندوة التعددية الحزبية والطائفية والعرقية في العالم العربي، الكويت، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية،١٩٩٣م، ص ١٥.

[2]- عوض، **المرجع السابق**، ص ١٥.

[3]- الصفار، حسن موسى **التعددية والحرية في الإسلام**، (دار المنهل، ط٢، لبنان، ١٩٩٦م)، ص ٣١.

فالتعددية إذاً تعني: الاعتراف بوجود آخرين، ووجود تيارات ومذاهب أخرى، وتلتزم باحترام حقوق الجميع، والتعاون مع الجميع في سبيل تقدم الجميع [١].

وفي النتيجة تتحقق التعددية فقهياً وسياسياً واجتماعياً بـ : " إقرار الحرية والاختلاف، والتعايش السلمي في إطار الحرية والاختلاف والتنوع من غير ضرر ولا ضرار "[٢].

وكذلك فإن التعددية : "هي واحدة من المفردات السياسية الإجتماعية الحداثية بامتياز، تصف حالة من الحالات الفضلى التي تحلم الديمقراطية ببلوغها، والتعددية حديثة أيضاً، بمعنى أنها مصدر للاختلاف بكافة أوجهه "[٣].

و مما تقدم فإن التعددية في الإسلام تقبل رأي الآخر وتحترمه، بخلاف باقي الشرائع، ويجب التأكيد هنا على أن تعدد الفرق والمذاهب والتيارات الفكرية داخل الدين الإسلامي يشكل ظاهرة طبيعية، بل هي سمة ثابتة في جميع الشرائع السماوية.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن المذاهب والتيارات الإسلامية كانت قد بدأت في التكون منذ بداية القرن الأول الهجري، إذ نشأ العديد من المذاهب والفرق والمدارس الفقهية، ولكن بعضها لم ينتشر ولم يكثر أتباعها، مما أدى إلى انقراضها، أما الذين تأصلت مذاهبهم وبقيت إلى يومنا هذا فهم جمهور الأمة بمذاهبها

---

[١]- الشيرازي، محمد مهدي **حياتنا قبل نصف قرن**، (مركز الرسول الأعظم، ط١، بغداد، ١٩٩٨م)، ص ١٤٣.

[٢]- زكي الميلاد، **التعددية الحزبية في الفكر الإسلامي**، (مجلة الكلمة، بيروت، السنة ١، العدد٢، ١٩٩٤م)، ص ٢٥.

[٣]- البزري، دلال محمد، **مداخلات وتعقبات، نشرة إسلام** ٢١ لندن، (المنبر الدولي للحوار الإسلامي، العدد ٢٤، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م). ص ١٤.

الأربعة: الحنفي، المالكي الشافعي، الحنبلي، إضافة إلى الشيعة بمذاهبها الثلاث الإمامية الاثني عشرية، الزيدية، الإسماعيلية .

ويستنتج مما تقدم أن ظاهرة التعددية المذهبية والفكرية ظاهرة طبيعية، موجودة في جميع الشرائع السماوية والعقائد، ومن الطبيعي جداً أن يكون هناك تعدد في المذاهب والتيارات، بالإضافة إلى التعدد في الفكر والتصورات والرؤى.

المطلب الثالث: مراحل تطور الفكر الإسلامي.

إن الفكر الإسلامي وما يطرأ فيه من تطور، هو الفكر المرتبط ارتباطا تاماً والمستمد من أصول الإسلام ومن نظامه ورسالته، بالإضافة إلى مصادره الشرعية الكاملة، ولهذا فإنه يحمل الرؤية ، والتصور المتكامل في شتى مجالات الحياة، فهو يتخذ من القرآن والسنة وشتى مصادر التشريع مرجعيَّةً له، وقد مرَّ بمراحل عدة عبر تاريخ الدعوة الإسلامية الطويل، وهو متميز عن غيره من الأفكار، وما ينتج عنه يسمى فكراً[1] .

ولهذا فإن الفكر الإسلامي في مفهومه ومضمونه يقدم للمجتمع الإسلامي مادة حيوية علمية تتقدم عالمياً على جميع المفاهيم والاتجاهات، بسبب أصالة منبعه، وهذه الأصالة جعلته ثابتاً الى اليوم، بل هو يتطور ويرتقي لخدمة الخلق أجمعين .

أولاً: مرحلة التكوين:

تعد مرحلة التكوين مرحلة بناء ونشأة اتجاهات الفكر الإسلامي الأساسيَّة، وهي مرحلة تشكل مدارسه المختلفة، وشهدت هذه المرحلة ظهور المذاهب العقدية والفقهية، والمدارس الصوفية، والفلسفية، والتفسيرية للقرآن الكريم، إذ تنبثق هذه المدارس في معظمها من إعمال الرأي والاجتهاد في العديد من الجوانب، وهو ما يؤكد عليه محمد البهي حين يقول أن كل الاتجاهات الفكرية ومدارس الرأي المختلفة في الفقه والعقيدة والتّصوّف قد وضحت وتميّز بعضها عن بعض، وعرف لها أنصارها وأتباعها، ورسمت لها خطوط الجدل والنّقاش وأصول الاستنباط ومناهج الشّرح والتوفيق إلى غير ذلك، ممّا يتّصل بتحديد الفكر في مصادره وأهدافه، وفي طريق سيره من بدايته إلى بلوغ غايته [2].

---

[1]- عامر حسن، **مدخل إلى الفكر السياسي القديم والوسيط**، (دار الفكر، ط ١، بنغازي، ٢٠٠٤م)، ص ١٦، بتصرف.

[2]– البهي، **الفكر الإسلامي في تطوره**، ص ٢٩.

وفي إطار تقييم هذه المرحلة يظهر أن الفكر الإسلامي في جانب الفقه يدل على قدرة وبراعة عقلية، ويدل أيضاً على أصالة في الفهم ورجاحة في الوزن وعلى خطوات فسيحة في البناء، ولو لم يصل التفقه إلى تعصب، ولو لم تصل الأصالة في الفهم إلى تقليد جارف، لما وقفت حركة البناء الفقهية، ولما وقعت بعد هذا الوقوف تلك الانفصالية في حياة المسلم بين سلوك يأخذ مجراه تحت تأثير ظروف الحياة نفسها، وبين الإسلام الذي تجمدت روافده، بحيث لم تعد تسير مع السلوكِ جنباً الى جنب ، أو بحيث لم تعد تمنح الإنسان المسلم المساعدة والتوجيه في سلوكه، وفي طبع هذا السلوك بطابع إسلامي[1] .

ولهذا فإن مرحلة التكوين كانت مرحلةً مهمة في تاريخ تطور الفكر الإسلامي لما شهده المجتمع الإسلامي، من نهضة فكرية وظهور مدارس فكرية وفقهية وتفسيرية وعلمية وحديثية، بالإضافة إلى المدارس الفلسفية وغيرها من المدراس الفكرية الإسلامية.

ثانياً: مرحلة بناء وهيكلة المجتمع الإسلامي:

جاءت هذه المرحلة بسبب الآثار السلبية الناتجة من اعتداءات التتار والصليبين على بلاد المسلمين، وجعلت من الضروري البدء بمرحلة بناء وهيكلة جديدة للمجتمع الإسلامي، لأجل استمرار هذه الفكر في التفاعل والتطور، وتلبية حاجات المجتمع الإسلامي، لمواكبة تطور الحياة وديمومتها.

ولهذا فإن هذه المرحلة بالذات حدثت بسبب ما شهده العالم الإسلامي من مخلفات سلبية تركت على بلاد المسلمين، بسبب التعصب، وجاءت بعدها الحروب المدمرة للبلاد الإسلامية، أمثال الحروب

[1] – البهي، **الفكر الإسلامي في تطوره**، ص ٣٢.

الصليبية، بحيث تم تباطؤ الحركة الفكرية، بسبب تردي الأوضاع السياسية والاجتماعية والاقتصادية في بلاد المسلمين أجمعين [١].

وقد عَقَّب البعض على ما شهدته البلاد الإسلامية في تلك المرحلة بالقول : "أما الثلاثة القرون التي تبعت هذه القرون الثلاثة الأولى فقد كانت المسرح الزمني للكفاح العقلي ، والخصومة الجدلية بين تلك الاتجاهات الفكرية التي تم بروزها واكتملت معالمها في الحقبة السابقة ، ثم كانت من جانب آخر بالإضافة الى كونها مسرحاً لهذه الخصومة الذهنية مسرحاً أيضاً للصناعة العقلية المذهبية ، أي لتلك الصناعة التي لا تتعدى في موضوعها وفي منهجها غاية المذهب والاتجاه الخاص المأثور من قبل ، وانتهى الكفاح العقلي مع تلك الصناعة العقلية المحدودة ، الى الحالة العقلية والنفسية والاجتماعية التي وصفناها آنفاً "[٢].

يبين هذا أن ما حصل في المرحلة الأولى يمثل الحالة السياسية والاجتماعية التي خاضها المسلمون بإيجابياتها وسلبياتها .

فالمرحلة الأولى: " تمثل نمط زمانها في التفكير والاختلاط الحضاري، وتستجيب للتحديات التي ظهرت في تلك الأزمنة بفعل العوامل الداخلية والخارجية، ولم تعد تمثل تطور الأفكار والصراعات في المرحلة الثانية، لا شكلاً ولا مضموناً "[٣].

---

[١] – التكريتي، **اتجاهات فكرية معاصرة**، ص ١٩.

[٢] – البهي، **الفكر الإسلامي في تطوره**، ص ٢٦.

[٣] – محسن عبد الحميد، **تقويم الفكر الإسلامي**، مجلة دعوة الحق ، العدد ٢٣٩ ، ذو القعدة ، ١٤٠٤هـ – ١٩٨٣م) ص ٧.

ثالثاً: مرحلة الإصلاح والتجديد في الفكر الإسلامي:

إن عملية التجديد في الفكر الإسلامي عبر العصور الإسلامية المتعاقبة، هي خاصية من خواص هذا الفكر، وهي تعني قيام مُجَدِّد أو مجددين من علماء الأمة بعملية اجتهاد فكري وإحياء يعيد لهذا الفكر بجوانبه المتعددة، حيويته ودوره في تنشيط حياة الأمة وإيقاظ روح الاجتهاد والإبداع في فكرها، وهذا ما أخبر به النبي ﷺ كما ورد في الحديث الشريف: (إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَبْعَثُ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِائَةِ سَنَةٍ مَنْ يُجَدِّدُ لَهَا دِينَهَا)[1] .

لذلك يرى البعض أن مرحلة التجديد للفكر الإسلامي التي حصلت مع بداية القرن العشرين ، كانت تخدم الاستعمار، ولكن المتابع لمعطيات المرحلة يفهم أن الذين خاضوا غمار هذه المرحلة كانوا يقصدون إصلاح الوهم والتفكير لصالح الدين، ولا يقصدون به تغير واقع الدين الثابت والمنبثق من أصول وقواعد أنزلها الله ﷻ في القرآن الكريم وجاءت كذلك في الأحاديث النبوية، وإنما الحديث عن كيفية فهم الناس لهذا الدين وكيفية التفاعل مع قيمه ومبادئه.[2].

ولذلك كان من الأمر الطبيعي أن تنطلق حركة الإصلاح والتجديد الديني، لأن الأمة كانت في واقع متردٍ، وكانت كل المؤشرات تشير إلى تراجعها على المستوى الفكري والثقافي والاجتماعي.

---

[1]- أبو داود، سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني،ت: ٢٧٥هـ، **سنن أبي داود**، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، (٤ ج)، (المكتبة العصرية، ط ١، بيروت د.ت)،كتاب الملاحم، باب ما يذكر في قرن المائة، جـ٤،ص١٠٩، حديث(٤٢٩١). حديث صحيح.

[2]- التكريتي، **اتجاهات فكرية معاصرة**، ص ١٩.

ولهذا فإن إصلاح وتجديد[1] هذا الفكر لا يعني هدم أو مسخ ما هو قائم، بل يعني إدامته مع إصلاح ما انتابه من خلل، وإضافة ما تطلبه الظروف والحاجات الجديدة من إضافات، وحذف ما أصبح غير متوافق مع المستجدات، وفهم أن الدعوة إلى التجديد ليست بدعة، بل هي جزء من تعاليم الإسلام الخالدة وأسسه[2].

رابعاً : مرحلة النهضة الحضارية:

من الواضح أن مصطلح النهضة لم يأخذ حقه في بيان مضامينه للمجتمع، بسبب اعتماده على العوامل المادية، فضلاً عن كونه مصطلحاً يتخطى مجال الخطاب الديني، باتجاه عمومية الأهداف، وسعة الرؤية المستقبلية، فالنهضة هي : إحياء للتراث القديم وتجديد للواقع الذي رافقه التدهور الاجتماعي والاقتصادي والديني والسياسي [3].

وتتجلى النهضة في التجديد والإصلاح عن طريق النهوض بعد السقوط، وهي سنة الله في خلقه ، فكلما تعثر الخلق وسقطوا في مزالق الهوى، أرسل الله إليهم الأنبياء والمرسلين ليصلحوا ما فُسد، ويقوِّموا ما اعوَّج من الواقع، فالعرب قبل البعثة كانوا في ضلال مبين ، وعلى هذا الأساس أرسل الله عز وجل سبحانه نبينا

[1]- التجديد هو: إحياء ما أندرس من معالم الدين، وانطمس من أحكام الشريعة وما ذهب من السنن، وخفي من العلوم الظاهرة والباطنة، انظر: المناوي، محمد بن علي، ت ١٠٣١هـ، **فيض القدير شرح الجامع الصغير**، (٦ ج)، (المكتبة التجارية، ط ١، مصر، ١٣٥٧هـ – ١٩٣٧م)، ج ٣، ص ٣٢٣.

[2]- انظر: الحاكم النيسابوري، ،محمد ابو عبد الله الحاكم ، ت: ٤٠٥هـ ، **المستدرك على الصحيحين**، (٤ ج) ، تحقيق : عبد القادر عطا، (دار الكتب العلمية ، ط١ ، بيروت،١٤١١هـ - ١٩٩٠م)،ج ٤،ص ٥٦٧ .و انظر : عفيفي علي، مقال بعنوان **تاريخ تطور الفكر التربوي الإسلامي** ، مجلة البيان العدد ٣٠٢ شوال ١٤٣٣هـ، ص ٢٠١.

[3]- مالك بن نبي، **شروط النهضة**،(دار الفكر، ط١، دمشق، ١٩٩٨م)، ص ٥٣.

محمداﷺ، قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِى ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾ [الجمعة: ٢].

ولقد اختار الله تعالى أمة الإسلام المحمدية من دون الأمم لتحمل راية الاصلاح، قال تعالى : ﴿كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِۗ وَلَوۡ ءَامَنَ أَهۡلُ ٱلۡكِتَٰبِ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۚ مِّنۡهُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَأَكۡثَرُهُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ﴾[آل عمران: ١١٠]، فقد اختارهم من أجل النهوض والإصلاح بهم، وهذا من أسمى مظاهر النهضة ما دامت الأمة تأمر بالمعروف وتنهى عن النكر وتؤمن بالله تعالى، وعلى هذا الأساس لن تتوقف الأمة عن المضي قدماً نحو الصلاح والإصلاح ، ومن الجدير بالذكر أن أبرز من جاء بمشروع النهضة هو مالك بن نبي[1].

وإن من أهم ما دعا إليه مالك بن نبي المسلمين هو أن يعيشوا بعقلية الزمن الحاضر لا بعقلية الماضي، وهو أحد شروط النهضة التي حددها مالك بن نبي ، وهذه النهضة تشمل بناء الإنسان، والمحافظة على المكان، وإعطاء قيمة للزمن، وهي شروط لم تتوفر لدى العرب والمسلمين، ويضيف عويمر، أنه رغم انتقاد بن نبي للغرب ووجهه الاستعماري، وكشفه خلفيات الصراع الفكري مع الغرب الرامي إلى تعطيل المشروع

[1]- ومن الجدير بالذكر أن ابرز من جاء بمشروع النهضة هو: مالك بن نبي بن الحاج عمر بن الخضر بن مصطفى بن نبي ، ولد في مدينة قسنطينة ،إحدى المدن الجزائرية في السادس من ذي القعدة من سنة ١٣٢٣هـ الموافق للثامن والعشرين يناير ، سنة ١٩٠٥م ، من أهم مؤلفاته : الظاهرة القرآنية ، وجهة العالم الإسلامي ، النجدة الشعب الجزائري يباد ، مشكلة الثقافة ، تأملات ، في مهب المعركة ، آفاق جزائرية ، القضايا الكبرى ، الاسلام والديموقراطية .) ينظر : مالك بن نبي، **مذكرات شاهد للقرن** ، (دار الفكر المعاصر ، ط ١، بيروت ، ١٩٧٠م)، ص ٨ . وينظر : مالك بن نبي **مجلة الحضارة الإسلامية** ، السنة ١٥ ، العدد ١٩٧٤ ، ص٥٤ .

الحضاري الإسلامي، فإنه أنصف الغرب في أحكامه، فلم ينكر دوره وإسهامه في البحث العلمي وتوفير أسباب الراحة المادية للبشرية، ولم يرَ مانعاً من التعاون مع الغرب على قاعدة الاحترام المتبادل[1].

فالحضارة لا تظهر في أمة من الأمم إلا في صورة وحي يهبط من السماء يكون للناس شرعة ومنهاجًا، أو هي على الأقل تقوم أسسها على توجيه الناس نحو معبود غيبي بالمعنى العام، فكأنما قدر للإنسان ألا تشرق عليه شمس الحضارة إلا حيث يمتد نظره إلى ما وراء حياته الأرضية، وينطبق ذلك على الحضارة البوذية، والحضارة البرهمية، وكذلك على الحضارة الغربية التي يبرز أثر الفكرة المسيحية في تركيبها[2].

أما بخصوص الحضارة الإسلامية فإن أثر الإسلام فيها أشد وضوحاً وأوثق ارتباطاً بتقدم المسلمون حضارياً وفكرياً، وهذا بالتأكيد لا خلاف حوله، بل هو حقيقة ناصعه لأن الحضارة الإسلامية هي نتاج الفكر الإسلامي وثمرته، فالحضارة في جزيرة العرب كانت راكدة خامدة مكدسة لا تؤدي دوراً ما في التاريخ، حتى إذا ما تجلت الروح في غار حراء، نشأت من بين هذه العناصر المكدسة حضارة جديدة، فكأنما ولدتها كلمة (اقرأ) التي أدهشت النبي الأمي ﷺ فأثارت وألبت عليه العالم من حوله، فمن تلك اللحظة وثبت القبائل العربية على مسرح التاريخ، حيث ظلت قروناً طوالاً تحمل للعالم حضارة جديدة، وتقوده إلى التمدن والرقي[3].

---

[1]- محمود رأفت، **مالك بن نبي وسبل نهضة العالم الإسلامي** ، نون بوست، بتاريخ ٣٠ سبتمبر / ٢٠١٥م)، ص١٢.

[2]- حازم علي، **اعلام وأفكار مالك بن نبي**، (دار الفكر، ط ٢، بيروت، ٢٠٠٢م)، ص ٨.

[3]- مالك بن نبي، **شروط النهضة**،(دار الفكر، ط١، دمشق، ١٩٩٨م)، ص ٥٧.

ومن هنا بدأت معاناة مؤسس هذه النهضة الفكرية الإسلامية التي شيدها النبي ﷺ، والتي جاءت بمبادئ وقيم إنسانية تشمل مختلف جوانب الحياة، فهي مستمدة بروحها ومنهجها من تعاليم السماء، أساسها يقوم على العدل والمساواة والحرية وتخليص الإنسان في تلك البقعة من كل براثن الجاهلية والظلم والاستبداد.

وبالنظر إلى ما سبق فإن الفكر الإسلامي من الأفكار الثرية في الأصول والفروع ومسارات الإسلام، لأنه يمد الأمة الإسلامية بالثقافة والمقومات لمواجهة خطر تحديات أعداء الأمة المحمدية، فقد بقي هذا الفكر يعبر عن القرآن الكريم والسنة النبوية، وتراث آل البيت الكرام والسلف الصالح من الصحابة والتابعين الكرام، ويساهم في تحصين هذه الأمة ضد الغزوات الفكرية الهدامة، التي تحاول تعطيل وتأخير الفكر الإسلامي لإنقاذ البشرية جمعاء.

الفصل الثاني

الفكر الوسطي تعريفه وبيانه ودوره في المجتمع العراقي

الفصل الثاني

الفكر الوسطي، تعريفه وبيانه، ودوره في المجتمع العراقي.

المبحث الأول: تعريف الوسطية وبيان مفهومها والألفاظ المقاربة لها.

المطلب الأول: تعريف الوسطية لغة واصطلاحاً.

المطلب الثاني: مفهوم الوسطية في الإسلام.

المطلب الثالث: الألفاظ المقاربة للوسطية.

المبحث الثاني: معنى الوسطية وبيان أدلتها من القرآن والسنة.

المطلب الأول: معنى الوسطية ومنهجها ومقتضياتها في الإسلام.

المطلب الثاني: أدلة الوسطية من القرآن الكريم.

المطلب الثالث: أدلة الوسطية من السنة المطهرة.

المبحث الثالث: بيان دور الوَسَطِيّةِ وتأثيرها وأقوال العلماء فيها.

المطلب الأول: دور الوسطية في مواجهة الغلو والتطرف وطرق علاجها.

المطلب الثاني: تأثيرات الوسطية في شخصية المسلم.

المطلب الثالث: أقوال العلماء في بيان أهمية الوسطية.

الفصل الثاني: الفكر الوسطي، تعريفه وبيانه، ودوره في المجتمع العراقي.

تمهيد:

لقد أمر الله تعالى رسوله الكريم ﷺ بالدعوة إلى عبادة الله تعالى بالحكمة والموعظة الحسنة، فقال ﷻ: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ ..﴾ [النحل: ١٢٥].

وجاء الإسلام يدعوا إلى عبادة الله تبارك وتعالى، وذلك من خلال دعوة الناس إلى هذا الدين بالرفق واللين، ونهى عن التشدد والغلظة، فقال تعالى: ﴿...وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَۖ...﴾ [آل عمران:١٥٩].

ولهذا فإن أصول الإسلام وفروعه وأحكامه وتشريعاته وعقائده ومبادئه وسائر التطبيقات العملية فيه تقوم على مبدأ الاعتدال والتوسط، وسُميت أمة الإسلام بالأمة الوسطية، وأصبحت نبراساً بين الأمم في الدنيا، ثم في الآخرة، فقال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا﴾ [البقرة: ١٤٣].

وقد نهج النبيﷺ أثناء فترة تبليغه للدعوة في المرحلتين المكية والمدنية اللتين استغرقتا ثلاثةً وعشرين عاماً، نهج منهجاً أساسه التطبيق العملي للوسطية والإعتدال ليكون في ذلك تربية للجيل الذي نشَّأه في هذه الفترة على هذا الفكر وهذا المنهج، ثم ليكون أسوة للأمة على مدار عصرها إلى قيام الساعة باعتبارها الأمة الخاتمة ومنهجه ﷺ هو المنهج الخاتم للشرائع السماوية.

فما أحوج المسلمين إلى هذا الأسلوب الدعوي القويم في التعامل مع الناس، وإلى العمل وفق مبدأ الإسلام، ولا يأتي ذلك إلا بالاعتدال في الخطاب، والابتعاد عن التطرف والغلو، وعن الأفعال التي تدعو إلى التشدد والابتعاد عن الإكراه في الدين، حتى تصل رسالة الإسلام السامية إلى أكبر عدد من الناس تحقيقاً لقول اللهﷻ حين قال مخاطباً نبيه ﷺ: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧] .

ولقد ضرب السلف الصالح من الصحابة والتابعين وتابعيهم، والعلماء العاملون والأئمة المجتهدون أروع الأمثلة في حسن الدعوة إلى الإسلام وإلى الأخلاق السامية، حتى انتشر الإسلام في الأمصار والبلدان العديدة والواسعة عن طريق القدوة والكلمة الطيبة، ولا زال الإسلام إلى يومنا هو الدين الرسمي الذي تدين به الغالبية العظمى من سكان تلك البلاد، وكل ذلك يعود إلى الفهم الصحيح للإسلام، وهذا هو أحد الأسباب الرئيسة في انتشار هذا الدين وتقبل الناس له والدخول فيه أفواجاً، الإسلام الذي ليس فيه غلو ولا إفراط ولا تفريط ولا تشدد، لأن تعاليمه نزلت من حكيم خبير، قال تعالى: ﴿...كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾[هود: ١].

لذلك أكد الإسلام على دور الوسطية لما لها من أهمية وتأثير على حسن التعامل بين بني البشر في كافة مجالات الحياة، وأن الله تعالى قد جعل أمة الإسلام أمة وسطاً لتؤدي هذا الدور وتنجح في القيام بواجباتها في هداية الناس وترغيبهم في الدخول في الإسلام كما قال في محكم التنزيل : ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗاۗ﴾ [البقرة: ١٤٣].

إن تناول الوسطية كفكرة ومنهاج، إنما هي بمثابة الدعوة والحوار بمنهجها المعتدل، الذي يلائم فطرة الإنسان السليمة، وفق منهج الإسلام المعتدل، الذي رسمه لنا الله ﷻ في القرآن الكريم، ونهج منهجه النبي ﷺ في سنته المطهرة، وتمثله خلقاً وسلوكاً عملياً في حياته.

المبحث الأول: تعريف الوَسَطِيّةِ وبيان مفهومها والألفاظ المقاربة لها.

المطلب الأول: تعريف الوَسَطِيّةِ لغةً واصطلاحاً.

أولاً: الوَسَطِيَّةُ في اللغة:

تدل الوسطية على معاني عدةً ولكنها متقاربة في مدلولها، جاء عند ابن فارس: الوسط والوسطية في اللغة العربية:" الواو والسين والطاء: بناءٌ في اللغة صحيحٌ يدلُّ على العدل والنَّصَف، وأعْدلُ الشيء: أوسَطُه ووسَطُه، وشيءٌ وسَط: بين الجيّد والرديء، ووَسَطُ الشيء: ما بين طرفيه "[1].

فـ (كلمة: وسط) تكون على وجهين:

الأول: (الوسْط بسكون السين؛ فهو ظرف لا اسم، جاء على وزن نظيره في المعنى، وهو (بَيّنَ) نقول: جلست وسْط القوم؛ أي: (بينهم..).

الثاني: (وسَط) بفتح السين، وتأتي بعانٍ متعددةٍ متقاربةٍ، فتكون:

١ . اسماً لما بين طرفي الشيء وهو منه، فنقول: قبضت وسَط الحبل، وكسرت وسَط القوس، وجلست وسَط الدار.

٢ . تأتي صفة بمعنى (خيار) وأفضل، وأجود، فأوسط الشيء: أفضله وخياره، كوسَط المرعى خير من طرفيه، ومرعى وسط، أي: خيار، ومنه[2].

إذاً الوسطية تكون بمعنى: التوسط بين شيئين، ويمكن القول أيضاً تأتي بمعنى العدل، والخيار، وما بين، والأفضل، والأجود، بالإضافة إلى الرفعة والمكانة العلية، وخير الأمور أوسطها.

---

[1]- ابن فارس، أحمد بن فارس، ت٣٩٥هـ، **مجمل اللغة لابن فارس**، تحقيق: زهير عبد المحسن، (مؤسسة الرسالة ، ط٢، بيروت، ١٤٣١هـ -٢٠١٠م)، ص٤٢٣.

[2]- الفيروز آبادي، محمد بن يعقوب، ت٨١٧هـ، **القاموس المحيط**، تحقيق: محمد نعيم ، (مؤسسة الرسالة، ط ٨، بيروت، ١٤٣١ هـ -٢٠١٠ م)، ص٥٨٣.

ثانياً: الوَسَطِيَّةُ في الاصطلاح:

تعد الوَسَطِيَّةُ واحدة من أهم الخصائص التي تميزت بها الأمة المحمدية، وهي سمة من سمات هذا الدين الحنيف وعقيدته، بالإضافة إلى شريعته وسلوكه، وهي الَمزِيَّةُ التي ميز الله بها المؤمنين الصادقين.

ولهذا فإن الوسطية ليست مصطلحاً حديثاً، بل هي مصطلح أصيل ورد في الكتاب والسنة، وتناولها العلماء في الكثير من مصنفاتهم، والأدلة على ذلك كثيرة جداً .

قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗاۗ وَمَا جَعَلۡنَا ٱلۡقِبۡلَةَ ٱلَّتِي كُنتَ عَلَيۡهَآ إِلَّا لِنَعۡلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيۡهِۚ وَإِن كَانَتۡ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ﴾ ﴾ [البقرة: ١٤٣].

قال الراغب الأصفهاني في شرح هذه الآية، التوسط: هو القصد المصون عن الإفراط والتفريط[1].

والإفراط: هو التجاوز في حدود الأمور، أي: الاستعجال والإسراف.

وأما التفريط فهو: العجز والتقصير والترك لواجبات الحياة.

وَبيَّنَ المناوي معنى الوسط فقال: " الوسط: ما له طرفان مذمومان، كالجود بين البخل والسرف، فيستعمل استعمال القصد المصون عن الإفراط والتفريط فيمدح به"[2].

[1] – الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد، ت: ٥٠٢هـ، **المفردات في غريب القرآن**، تحقيق: صفوان الداودي، (دار القلم، ط ١، دمشق، ١٤١٢هـ – ١٩٩١م)، ص ٨٦٩.

[2] – المناوي، عبد الرؤوف بن علي ، ت: ١٠٣١هـ، **التوقيف على مهمات التعريف**، (مركز دار الكتب، ط ١، القاهرة، ١٤١٠ هـ –١٩٩٠ م)، ص٧٢٥.

فالوَسَطِيَّةُ إذاً تعني الاعتدال والتوسط في الأمور، ويعنى بها التعادل بين طرفين متقابلين أو متضادين بدون إفراط أو تفريط، بحيث يكون الأمر متوسطاً بين طرفيين متضادين، فلا يتفرد أحدهما فيؤثر على الآخر، ويطغى على مقابله ويحيف عليه، وهذه الوسطية هي العدل والطريق الأوسط الذي يجتمع عنده الطرفان[1].

وذكر ابن حَجرَ العسقلاني ما توسط بين الأمرين ، فالمعنى أنهم وسط لتوسيطهم في الدين فلم يزيدوا كالنصارى، ولم يقصروا كتقصير اليهود، ولكنهم أهل وسط واعتدال[2].

كما قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [النساء: ١٧١].

وبهذا يتضح أن الوسطية هي التزام خط الوسط بين جميع المتناقضات والمتضادات والمتقابلات، وهو التوسط في الأمور والابتعاد عن طرفي الإفراط والتفريط ، وهو أفضل طريقة يتبعها الإنسان ليؤدي ما عليه من واجبات تجاه ربه سبحانه وتجاه نفسه والآخرين.

[1] – راجع: رفيق حبيب، **الوسطية الحضارية تحديات الفكرة والحركة**، (مكتبة مدبولي، ط ١، طرابلس، ٢٠١٠ هـ- ١٤٣١ م)، ص١٣.

[2] – انظر: العسقلاني، أحمد بن علي ، ت:٨٥٢هـ، **فتح الباري شرح صحيح البخاري**،(١٣ ج)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، (دار المعرفة، ط ٢، بيروت، ١٤٣١ هـ -٢٠١٠ م)، جـ ٨، ص ٧٢.

المطلب الثاني: مفهوم الوسطية في الإسلام:

إن الحديث عن أي مصطلح أو معنى من المعاني يتطلب الوقوف والنظر في المعنى المراد للوصول إليه. والوسطية من المعاني الشرعية المهمة، وقد بات هذا المصطلح لا سيما في الفترة المعاصرة مثار جدل ومحط استعمال في كثير من الأطروحات الفكرية، وكثر المنادون به، وكل يدعي وصله والأولوية به[1].

ومبدأ الوسطية محل إجماع على صحته، ووجوب الانطلاق منه باعتباره سمة من سمات هذه الشريعة الغراء، إلا أن ذلك لا يعني الخلاص من إشكالية تحديد المراد من هذا المفهوم تحديداً يرفع الخلاف، ووسطية الإسلام تبدو جلية في كل تعاليمه، وفي نظرته للكون والحياة، فهو يلائم فطرة الإنسان ويلبي حاجاته ومطالبه المادية والروحية.

وإذا تناولنا الوسطية في مفهومها العام فهي الاعتدال في الخطاب، وهي الاستواء والاستقامة في الاعتقاد والسلوك والمعاملة والأخلاق، وهذا يعني أن الإسلام بالذات دين معتدل غير جانح ولا مفرط في تصوراته نحو حقائق الكون، فليس فيه مغالاة في الدين، ولا تطرف ولا شذوذ في الاعتقاد، ولا تهاون ولا تقصير ولا استكبار ولا خنوع أو ذل وخضوع وعبودية لغير الله، ولا تعصب ضد الآخرين ولا رفض لهم ولا إكراه أو إرهاب أو ترويع بغير حق، كما لا إهمال فيه في دعوة الناس إلى دين التوحيد بالحكمة و الموعظة الحسنة، وهو الدين الأيسر والأسهل، والأبعد عن الشدة والقسوة [2]،كما قال الحق سبحانه وتعالى:

﴿... يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ ... ﴾ [البقرة: ١٨٥].

وقال تعالى: ﴿ ... وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍۚ ...﴾ [الحج: ٧٨].

وبما أن لزوم منهج الوسطية والإعتدال هو عين الهداية وحقيقتها، جاءت الآيات القرآنية مستفيضةً في ذكرها لترشد الناس إلى هذا المنهج المتكامل.

---

[1]- قال الشاعر: وكل يدعي وصلاً بليلى... وليلى لا تقر لهم بذاكا، في الحديث عن الوسطية التي يدعي الكل الوصل بها، وعادة ما يتم ذكر هذا البيت لمن يدعي أمراً والواقع والوقائع تخالف من واقعه وهو أبعد ما يكون عما ادعاه، فالوسطية كمثال يزعم الجميع من يدعي الوصول بها وأنه من أهلها وأنها نهجه في حياته، انظر: الفضلي، عوض بن راشد، مجلة الأنباء، **الوسطية والأعتدال**، العدد ١٢، ص ٢.

[2]– العمر، ناصر بن سليمان، **الوسطية في ضوء القرآن الكريم**، (وزارة الأوقاف السعودية، ط ١، الرياض ٢٠١٢م)، ص ٣٢.

إذاً فالوسطية في الإسلام وسطية جامعة، تمثل موقفاً ثالثاً بين الطرفين المتقابلين والمتناقضين، لكنها لا تغاير هذين الطرفين مغايرة تامة، وإنما تَجمع منهما عناصر الحق والعدل لتكوّن منها وبها موقفاً وسطياً، فهي في حقيقتها رفضٌ للغلوّ الذي ينحاز إلى طرفٍ واحدٍ من هذين الطرفين: غلو الإفراط أو غلو التفريط، بل إن الالتزام بالوسطيَّة وعدم الجنوح إلى الإفراط أو التّفريط هو عين الحكمة وجوهرها، ولذلك فإنَّ الخروج عن الوسطيَّة له آثاره السلبيَّة، إمَّا عاجلا أو آجلا، وهذا يُخالف الحكمة ويُنافيها[1].

وإن المتأمل في دين هذه الأمة واعتقادها، وعبادتها ومعاملاتها، ومواقفها، يدرك أن الاعتدال والتوازن والتوسط أحد الخصائص الهامة التي تميزت بها هذه الأمة[2]، لذلك جعلها الله تبارك وتعالى شاهدة على الأمم قال تعالى: ﴿لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗاۗ﴾ [البقرة: ١٤٣].

فهي وسط بين الأمم، آخذةٌ بزمام الاعتدال والتوازن، بعيدة عن طرفي الإفراط والغلو، والتفريط والتقصير والجفاء، إذ كلاهما مذموم غير محمود، وغاية البعد عنهما هو التوسط بينهما، إذ هو نقطة التوازن والاعتدال.

فمن تمسك بهذه الوسطية كان على جادة الصواب ولزوم الحق، حتى يسعد في الدنيا والآخرة، ونال رضا الخالق سبحانه وتعالى، واستمتع بطيبات وجماليات الحياة التي خلقها الله وسخرها لهذا الإنسان [3].

وتحقق مفهوم الوسطية الكاملة في نبينا عليه الصلاة والسلام، لأنه النموذج والأسوة الحسنة للناس كافة قال تعالى: ﴿لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ﴾ [الأحزاب: ٢١].

فالمسلم مأمورٌ شرعاً باتباع الرسول عليه الصلاة والسلام واتخاذه قدوةً حسنة في حياته وتعامله مع الآخرين، لأنه قد رسم لأمته المنهج الوسطي المعتدل قولاً وعملاً وسلوكاً وأسوةً في ميدان التربية والتزكية

---

[1]- رفيق حبيب، رفيق، **الوسطية الحضارية تحديات الفكرة والحركة**، ص ٦٨.

[2]- محمد كريم، **وسطية أهل السنة بين الفرق**، (دار الراية، ط١، الكويت، ١٩٩٤م)، ص ٢٣٧.

[3]- الهراس، عبد السلام محمد **الإسلام دين الوسطية والفضائل والقيم الخالدة**، (دار المعرفة، ط ١، القاهرة،١٤٣١ هـ -٢٠١٠ م)، ص ٥٤.

والصياغة للإنسان والمجتمع والثقافة والحضارة، وقد جعله الله ﷻ من خلال نبوته وتمثله لرسالته نموذج هذه الأمة بالوسطية والاعتدال، قدوتها وأسوتها، فهو عليه الصلاة والسلام بشر يوحي الله إليه، ولأنه بشر فتجوز عليه كل عوارض البشرية، يولد ويمرض ويتألم ويموت، وهو يأكل الطعام ويمشي في الأسواق، ولا يأتي من الخوارق إلا ما آتاه الله، ليكون معجزة له وتأييداً لرسالته، ودليلاً على نبوته، وفي ذات الوقت، ولأنه يوحى إليه، فلقد مثَّل رباط الأرض بالسماء، وحلقة الوصل بين عالم الشهادة وعالم الغيب[1].

ومن هنا فإن مفهوم الوسطية في الإسلام يتلخص بالآتي:

١- التيسير على الناس والرفق في التعامل معهم، إذ إن التيسير مقصد مهم من مقاصد الدين، وصفة للشريعة في عقائدها وأحكامها، ومعاملاتها وأخلاقها،

قال تعالى: ﴿... يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ ... ﴾ [البقرة: ١٨٥].

٢- محبة الخير للناس كافة، وتُعَدُّ هذه الصفة من أهم الصفات التي يجب أن يتحلّى بها المسلم، وهي أصل كل الأحكام والتشريعات.

٣- الأخذ بالمنهج القويم وهو التوسط والإعتدال مع اليقينيات الكونية الكبرى في الدنيا، لأجل إعمار الكون وفق ما أمر الله تعالى في شريعته الإسلامية الخاتمة، التي يتحقق بتطبيقها مبدأ العبودية لله، وهو المبدأ الذي خلق الإنسان لأجله، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

[1] – الهراس، **الإسلام دين الوسطية والفضائل والقيم الخالدة**، ص ٦٠.

المطلب الثالث: الألفاظ المقاربة للوسطية.

أولاً: العدل ومظاهره:

العدل هو باب واسع وله مظاهر متعددة كلها تؤدي إلى طرق الخير، فهو بالضد من الظلم، والعدل اسمٌ من أسماء الله الحسنى، فالله تعالى لا يظلم مثقال ذرة، وعدله مطلَق لا يدركه العقل البشري، ولكنه أخبرنا به، وعلّمنا إياه، وقد وردت ألفاظ العدل في العديد من الآيات القرآنية والسنة المطهرة، وقد دعا القرآن الكريم إلى ضرورة إقامة العدل، وحسن التعامل وفق هذا المنهج القويم، قال تعالى:

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾

[المائدة: ٨] .

أ- العدل في اللغة:

في كلمة(عدل) :" العين والدال واللام أصلان صحيحان، لكنهما متقابلان كالمتضادين، أحدهما يدل على استواء، والآخر يدل على اعوجاج ، فالأول العدل من الناس : المرضِيُّ المستوي الطريقة ، يقال هذا عدل ، والعدل الحكم بالاستواء ، يقال للشيء يساوي الشيء هو عدله ، وعدلت بفلان فلانة ، وهو يعادله ، والعدل قيمة الشيء وفداؤه"[1] .

ب- العدل في الاصطلاح:

هو استعمال الأمور في مواضعها وأوقاتها ووجوهها ومقاديرها، من غير سرف ولا تقصير ولا تقديم ولا تأخير [2].

فالعدل صفة راسخة اتَصف الله سبحانه وتعالى بها نسبها لنفسه.

---

[1] ابن فارس، **معجم مقايس اللغة**، (٦ ج)، ص٢٤٦-٢٤٧، وانظر: الراغب الأصفهاني، **والمفردات في غريب القرآن**، جـ ٤، ص ٣٦٤.

[2]- مسكويه، أحمد بن محمد بن يعقوب، ت: ٤٢١هـ، **تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق**، (مكتبة الثقافة الدينية، ط ١، حلب، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م)، ص ٣٠.

قال الله تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾ [الأنعام:١١٦].

قال البيضاوي في تفسير هذه الآية: "وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ بلغت الغاية أخباره وأحكامه ومواعيده، صِدْقاً في الأخبار والمواعيد "[١].

ولهذا تعددت وجوه العدل في الإسلام، حتى شمل العدل جميع نواحي حياة الإنسان، وتجلت صوره فأصبح العدل في التّشريع، والخلق، وفي كل أمر صدر عن اللهﷻ.

ج– مظاهر العدل في الإسلام:

١– عدل الله عز وجل في الخلق:

وذلك في الهيئة التي خلق الله الإنسان عليها، حيث كان عدلاً في تصوير الإنسان وتركيبه، وفي اختيار مكان وجهه ويديه وسائر أجزاء جسمه، وأحسن خِلقته وجعل كل شيءٍ فيه بقدر.

كذلك خلْق السموات والأرض، والليل والنهار، فلا الليل يطغى على النهار ولا النّهار يطغى على الليل، فجعل لكل منهما ساعات محددة بلا إفراطٍ ولا تفريط، وهو الاعتدال بين هذا وذاك، كذلك جعل الله الناس متساوين في الحقوق والواجبات .[٢]

وإذا تأمل الإنسان في نعم الخالق، أدرك أن جميع الفضل بيد الله تبارك وتعالى، وهو الذي يريد لعباده أن يتعاملوا فيما بينهم بالعدل والإحسان، فأمر بذلك في كتابه الكريم بقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ﴾ [النحل: ٩٢] .

---

[١]- البيضاوي، عبدالله بن عمر، ت: ٦٨٥هـ، **أنوار التنزيل وأسرار التنزيل**، تحقيق: محمد المرعشلي، (دار إحياء الثراث، ط ١، بيروت، ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م)، ص ١٧٩.

[٢] – البهي، محمد عامر، **الفكر الإسلامي في تطوره**، (مكتبة وهبة، ط ١، القاهرة، ١٤٠١ هـ –١٩٨١ م)، ص ٢٩.

٢- العدل بين العباد في الحساب:

وذلك في الدّنيا والآخرة، بأخذِ الحقوق لأصحابها فلا تضيع تلك الحقوق، ويتحقق هذا العدل بتشريع القوانين والأنظمة الخاصة بالقضاء، والفصل في المنازعات بين الناس بالعدل[١].

ويوم القيامة يُحاسب الله ﷻ العباد، ويجعل الجزاء من جنس العمل، ولا يظلم ربك مثقال ذرة.

٣- العدل بين العباد في الرزق:

ومن كمال عدله أنه سبحانه وتعالى قد قسم الأرزاق بين جميع الخلائق، وهيأ لهم كل أسباب السعي في طلب الرزق وأمرهم بذلك، فقال تعالى: ﴿...فَٱمۡشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزۡقِهِۦۖ وَإِلَيۡهِ ٱلنُّشُورُ ﴾ [الملك: ١٥].

فالله جل وعلا تفضل على عباده بنعم لا تعد وتحصى، ثم فاوت بينهم في الرزق لحكم عظيمة، جهلها كثير ممن لم تتنور بصائرهم بنور الوحي، ومن هذه الحكم ضمان استمرار الحياة عبر التفاوت، فلو كان الناس على مستوى واحد في رزقهم وإمكاناتهم لما قامت الحياة ولما دار دولابها، ولتعطلت كثير من الأعمال، وقد أشار الله سبحانه إلى هذه الحكمة بقوله تعالى: ﴿أَهُمۡ يَقۡسِمُونَ رَحۡمَتَ رَبِّكَۚ نَحۡنُ قَسَمۡنَا بَيۡنَهُم مَّعِيشَتَهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۚ ...﴾ [الزخرف: ٣٢].

إذاً فالعدل الإلهي هو من كرم الله عز وجلَ لأنه به نظَم للناس تعاملاتهم وعلاقاتهم فيما بينهم، وتمَمَ لهم الفضائلَ والأَخلاق والأحكام الناظمة لكلِ شؤُون حياتهم، والضامنة لتساوي حُقوقهم وتمام واجباتهم ومستحقَّاتهم، فجعل العدل ميزاناً يلزِم الجميع بقضاء ما عليهم واستحقاق ما لهم دون تعدٍ، وقد رفع الله شأن العدل وسماه في أسمائه وميزهُ في صفاته، وجعل الاعتدال السمة الأساس من سمات هذا الدين، لأنه الدين الخاتم، وهو الرحمة للعالمين كي يسود العدل دنياهم من خلال التمسك بهذا المنهج القويم.

---

[١] – الحيدان، صالح بن محمد ، **وجوب العدل وتحريم الظلم على الناس**، (وزارة الشؤن الإسلامية، ط ١، الرياض، ١٤٣١هـ – ٢٠٢٠م)، ص ٦٧.

٤– فوائد العدل:

للعدل فوائد جمة منها:

أ _ تحقيق الاستقرار والإطمئنان في المجتمعات المسلمة، فيشعر به جميع الأفراد، ويعيش الجميع متساوون في الحقوق والواجبات.

ب _ يتساوى الجميع في الحقوق والواجبات، وتذوب الفوارق الطبقية والعرقية على حدٍ سواء، فالكل يشعر بحق المواطنة، فتنتهي عندها هذه الفوارق[١].

ج _ العدل يمنع الظلم بعمومه فيردع الظالم ويمنع الجشع ويحمي الحقوق، كذلك يمنع التعدي على الأعراض والأملاك.

د _ تسود بالعدل روح المساواة ويُقضَى على الغرور عند من يظنّون أنفسهم فوق النّاس، كما يقضي العدل على الوهن والضّعف وخور العزيمة عند من يظنّون أنفسهم أنهم دون الناس.

هـ _ العدل يجلب الأمن والأمان في جميع البلدان، فتطمئن النفوس وينعم الناس بالاستقرار، ويقضي على المشكلات الإجتماعية، بل حتى الإضطرابات التي تحدث في المجتمعات بسبب الظلم[٢].

إن التشريع الإلهي متعلق بمصلحة العباد وصيانة حقوقهم، لأن الحفاظ على المصلحة العامة، واتخاذ الوسائل الاجتهادية الملائمة والناجعة من أقوى صور العدل في التشريع الإسلامي.

---

[١]- عدد من المختصين، بإشراف الشيخ صالح عبدالله، **نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول**، (١٢ج)، (دار الوسيلة، ط ١، جده، ٢٠١٠م)، جـ ٧، ص ٢٨١٨.

[٢]- البهي، **الفكر الإسلامي في تطوره**، ص ٣٣.

ثانياً: الاستقامة وثمراتها:

قال أهل اللغة: الاستقامة" هي الطريق الذي يكون على خط مستوٍ وبه شبه طريق الحق"[1].

وفي الاصطلاح: هي سلوك الصِراط المستقيم، وهو الدين القيم من غير تعريج عنه يمنة ولا يَسرة، ويشمل ذلك فعل الطَاعات كلها، الظاهرة والباطنة، وترك المنهيات عنها كلها كذلك، فصارت هذه الوصية جامعة لخصال الدّين كلها[2]،إذاً فالإستقامة هي المبدأ في التمسك بالدين والثبات عليه، وهي تعبير عن الوسطية الإسلامية، وقد ارتبط مفهوم الاستقامة في كتاب الله بمفاهيم مترادفة منها:

قال تعالى ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: ٦].

وقال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا ...﴾ [الأنعام: ١٥٣].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ ... ﴾ [فصلت: ٣٠].

وتأتي الاستقامة هنا بمعنى الإخلاص[3] والصدق[4] وتوحيد الله ﷻ[5]، والاستقامة[6] على شريعة الله في السلوك والأخلاق والأقوال والأفعال.

---

[1]- الراغب الأصفهاني، محمد بن علي، **المفردات في غريب القرآن**، ص ٤١٨.

[2]- ابن رجب الحنبلي، عبد الرحمن بن أحمد بن رجب ، **جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم**، (٣ج)، تحقيق محمد الأحمدي، (دار السلام، ط ٢، الكويت،١٤٢٤ هـ -٢٠٠٤ م)، جـ٢، ص٦٠٧.

[3]- الإخلاص أن يفعل المكلف الطاعة خالصة لله وحده، لا يريد بها تعظيما من الناس ولا توقيرا، ولا جلب نفع ديني ولا دفع ضرر دنيوي، انظر: الدمشقي، عبد العزيز بن عبد السلام، ت: ٦٦٠هـ، **قواعد الأحكام في مصالح الأنام**، (٢ ج)، (دار الكتب العلمية، ط ١، بيروت، ١٤١٤هـ — ١٩٩١م)، جـ ١، ص ١٤٦.

[4]- يتحقق الصدق في القول والعمل بأن يعمد المسلم إلى مجانبة الباطل من الكلام، كالكذب والشتم والسباب واللعن والفحش، ومجانبة آفات اللسان، كالغيبة والنميمة وقول الزور، انظر: القحطاني، سعيد محمد، **مقومات الداعية الناجح في ضوء الكتاب والسنة**، (مطبعة السفير، ط ١، الرياض)، ص ٣٠٣، بتصرف.

[5]- التوحيد هو نفي وجود أيّ آلهة أخرى مع الله ونفي الشَّبه بين الله وبين خلقه، انظر الغزالي، **إحياء علوم الدين**، جـ ١، ص ٩٠.

[6]- هي الوفاء بالعهود كلها، وملازمة الصراط المستقيم برعاية حد التوسط في كل الأمور، من الطعام والشراب واللباس، وفي كل أمر ديني ودنيوي، انظر: الصابوني، محمد علي، **مختصر تفسير ابن كثير**، (٣ ج)، (دار القرآن، ط ٧، بيروت، ١٩٨١م)، جـ ٣، ص ٢٦٢.

قال صلى الله عليه وسلم:(سددوا وقاربوا)[1] ، فالسداد : الوصول إلى حقيقة الاستقامة ، أو هو الإصابة في جميع الأقوال والأعمال والمقاصد.

وقوله : (قاربوا) أي: اجتهدوا في الوصول إلى السداد ، فإن اجتهدتم ولم تصيبوا، فلا يفوتكم القرب منه.

فهما مرتبتان يطالب العبد بهما : السداد ، وهو الاستقامة ، فإن لم يقدر عليها فالمقاربة ، وما سواهما تفريط وإضافة ، والمؤمن ينبغي عليه أن لا يفرق بين هاتين المرتبتين ، وليجتهد في الوصول إلى أعلاهما [2].

ثمرات الاستقامة:

إن للإستقامة ثمرات كثيرة، فهي تدخل في جميع تفاصيل حياة الإنسان، فهي التي تُقوّم سلوكه وتهذب تعامله مع الآخرين، وقد دعا إليها الإسلام، فهي ركيزة أساسية ومبدأ مهم من مبادىء هذا الدين، لذا أمر بها القرآن الكريم في العديد من الآيات ومنها:

قال تعالى: ﴿فَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطۡغَوۡاْۚ﴾ [هود: ١١٢].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ﴾ [فصلت: ٣٠].

وقد استحق الذين استقاموا في الحياة أن تتنزل عليهم الملائكة بالرحمة في أثناء نزع الروح ليطردوا من حياتهم الخوف والحزن وليبشروهم بالجنة، ومن ناحيةٍ أخرى إن التربية على تلك الصفات للإنسان، وثيقة

---

[1]- أحمد، أحمد بن محمد بن حنبل ، ت: ٢٤١هـ، **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، (مؤسسة الرسالة، ط ١، د. م، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م)، مسند(عبد الله بن عمرو بن العاص)،١٥،٤٥٩،حديث (٩٧٦٣)؛ اخرجه الترمذي: محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى، ت: ٢٧٩هـ، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، ط ١، بيروت، ١٩٩٨ م)،كتاب أبواب القدر، باب مَا جَاءَ أَنَّ اللَّهَ كَتَبَ كِتَابًا لأَهْلِ الجَنَّةِ وَأَهْلِ النَّارِ، حديث(٢١٤١)، حديث حسن صحيح.

[2]- أنظر: جامع العلوم والحكم ، حديث(٢١) ، و أبن قيم الجوزية، مدارج السالكين ،٢(ج) ، تحقيق محمد المعتصم، (دار الكتاب العربي، ط ٣، بيروت، ١٤١٦هـ -١٩٩٦م)، جـ١، ص ١٨٣.

الصلة بالله تعالى على الإعتدال وتجعله متمسكاً بمنهجه القويم الذي يقوم على الإعتدال والوسطية في كل شؤن الحياة.

ويمكن بلورة تلك الثمرات بالنقاط الآتية:

١. طمأنينة القلب بدوام الصلة بالله عز وجل.

٢. أن الاستقامة تعصم صاحبها من الوقوع في المعاصي والزلل.

٣. تنزل الملائكة على المؤمنين الملتزمين بالاستقامة عند الموت، وقيل: عند خروجهم من قبورهم ، فتخاطبهم قائلة: ﴿...أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ...﴾ [فصلت: ٣٠]،على ما قَدِمتُم عليه من أمور الآخرة ، ولا ما تركتم من أمور الدنيا من مال وولد وأهل.

٤. حب الناس واحترامهم وتقدير المسلم سواء كان صغيراً أو كبيراً على ما يظهر عليه من حرص على الطاعة، والخلق الفاضل.

٥. وعد الله المتقين أن لهم في الجنة ما تشتهيه أنفسهم، وتلذ أعينهم، وتطلبه ألسنتهم، فضلاً وإكراماً من الله تعالى.

المبحث الثاني: معنى الوَسَطِيَّةِ وبيان أدلتها من القرآن والسنة.

المطلب الأول: معنى الوسطية ومنهجها ومقتضياتها في الإسلام.

أولاً: معنى الوسطية:

الوسطية توجب على الإنسان أن يكون سوياً في تعامله مع الغير، وأن لا يميل إلى أحد الطرفين المتضادين، أي يلتزم التوسط بين الإفراط والتفريط، والوسطية هي الاعتدال في الاعتقاد وهي تلازم حسن السلوك والنظام والمعاملة والأخلاق، فالإسلام هو دين الاعتدل والتوسط في جميع الأمور، فليس فيه مغالاة ولا تطرف أو خلل في الاعتقاد، ولا تهاون ولا تقصير، ولا استكبار ولا ذل أو استسلام وخضوع وعبودية لغير الله تعالى، فهو يبين جميع الحقوق لجميع بني البشر، وينصفهم وإن كانوا غير مسلمين.

إذاً فالوسطية سمة بارزة وخصيصة من خصائص الإسلام، لذلك يجب على الإنسان أن يبتعد عن التعصب ضد الآخرين ورفضهم لمجرد المخالفة في الرأي والمعتقد، ولا إكراه أو إرهاب أو ترويع بغير حق، ولا تباطؤ في دعوة الناس إلى دين التوحيد بالحكمة والموعظة الحسنة منعاً من التفريط بواجب تبليغ أو نشر الدعوة الإلهية، وحباً في إسعاد البشرية قاطبة وإنقاذهم من الكفر والضلالة والانحراف .

ويمكن أن يُعَبَّر عن وسطية الإسلام بأنها منهج يُقَوِّمُ الإنسان ويرشده إلى طرق الخير، لكي يعيش سعيداً لا يتعدى على غيره، ولا يعتدي أحد عليه، وهي أيضاً من يُسر الإسلام، كما قال الله تعالى:

﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥].

والوسطية تعني أيضاً الاعتراف بالحرية للآخرين ولاسيما الحرية الدينية، وهو ما شرعه الإسلام في قول الله تعالى: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّۚ﴾ [البقرة: ٢٥٦].

ثانياً: منهج الوسطية في الإسلام:

إن للوسطية التي هي من صفات الإسلام بعداً تربوياً يتمثل في تصفية النفس من الأحقاد والكراهية للآخرين، لأن الناس كلهم خلق الله، واقتضت حكمة الله أن يكون فيهم المؤمن والكافر، والبر والشقي أو الفاجر، والمحسن والمسيء، والمؤمن المستقيم والمنافق، والعادل والظالم، والمتكبر والمتواضع، والحليم المتأني والشديد الغليظ ، والجميل والقبيح، والمستقيم ومحب الخير والشرير والخ، وكل ذلك من مظاهر تكامل الكون والتنوع البشري.

لقد اختط النبي ﷺ منهج الوسطية للبشرية جمعاء في سنته وسيرته بأقواله وأفعاله وتمثله لهذه القيم العصماء النفسية الفريدة، التي أصبحت نبراساً للبشرية جمعاء من بعده.

ومن قوله ﷺ يستمد معنى الوسطية ومفهومها وأساسها ففي الحديث: (خط رسول الله صلى الله عليه وسلم خطاً بيده ثم قال: هذا سبيل الله مستقيماً، وخط خطوطاً عن يمينه وشماله، ثم قال: هذه السبل ليس منها سبيلٌ إلا عليه شيطانٌ يدعو إليه ثم قرأ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ﴾ [الأنعام: ١٥٣])[1].

وفي رده عليه الصلاة والسلام على الثلاثة الذين جاءوا بيت النبي ﷺ وسألوا إحدى زوجاته عن منهجه وعبادته، فرد عليهم حين أُبلِغ عنهم: (فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي)[2]، وقال أيضاً عليه الصلاة والسلام (عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ مِنْ بَعْدِي وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ)[3]، وفي هذا الحديث لماذا قال عليه السلام عليكم بسنتي؟ وذلك لأن السنة تمثل الوسطية في الإسلام، ولأن الخلفاء الراشدين ساروا على منهجه في التمثيل الصحيح للوسطية في الإسلام.

---

[1]- أحمد، **مسند الإمام أحمد، مسند عبد الله بن مسعود**،٧ جـ، ص٤٣٦، حديث(٤٤٣٧) حسن الإسناد، والنسائي: أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي، ت: ٣٠٣هـ،**السنن الكبرى**، حققه وخرج أحاديثه: حسن عبد المنعم شلبي، أشرف عليه: شعيب الأرناؤوط، (مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، بيروت، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م)،كتاب التفسير، سورة الانعام: قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا} [الأنعام: ١٥٣]، جـ١٠، ص ٩٠ ،حديث(١١١٠٩).

[2]- البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب النكاح، باب الترغيب في النكاح، جـ ٧، ص ٢، حديث(٥٠٦٣).

[3]- أحمد، **مسند الإمام أحمد، مسند العرباض بن سارية**، جـ ٢٨، ص ٣٦٧،حديث(١٧١٤٢)، حديث صحيح بطرقه وشواهده.

والوسطية تعني أيضاً الجمع بين الماديات والروحانيات وهي ميزة الإسلام، لأن الإنسان جسد وروح، وله حوائج مادية وروحانية، ولأن العمل الصحيح يكون للدنيا والآخرة من خلال الجمع بينهما عملاً بقوله تعالى:

﴿وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَا...﴾ [القصص: ٧٧].

والوسطية كذلك في التعامل مع الآخرين في الداخل والخارج يراد بها التعامل الحر البريء دون إضمار الشر، أو محاولة التعدي، أو الحمل على شيء معين[١].

لذلك فإن المراد من الجهاد في الإسلام الدفاع عن حرمات الإسلام والمسلمين، ولا يقصد به حمل السيف بظلم ضد الآخرين، أو قتل الأنفس البريئة، أو ترويع الغير أو إخافة الناس أو إجبارهم على الدخول في الإسلام، أو إرهاب المجتمع فذلك كله ليس من مفهوم الوسطية المعبر عنها في الآية الكريمة :

﴿لَّا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَلَمۡ يُخۡرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ أَن تَبَرُّوهُمۡ وَتُقۡسِطُوٓاْ إِلَيۡهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ﴾ [الممتحنة: ٨].

ولا يوجد في الإسلام في غير حال رَدِّ الاعتداء ودفع الظلم إلا السلام ونشر الأمن والطمأنينة، وزرع الثقة والإحسان إلى الآخرين، فذلك كله سمة الإسلام الحضارية وأهم مقوماته الخالدة، وكذلك ليس في قيم ومبادئ الإسلام ما يسمى بالإرهاب، أي التطرف والغلو ، وإلحاق الضرر بالآخرين والتدمير والإفساد والتخريب، وإشعال الفتنة، وإثارة المنازعات، لقوله عليه الصلاة والسلام : (لا يَحِلُّ لِرَجُلٍ مُسْلِمٍ أَنْ يُرَوِّعَ مُسْلِماً)[٢].

والحديث الآخر الذي يحث فيه النبيﷺ على التمسك بمعاني الأخوة التي تمثل وسطية الإسلام وروح التوادد والتآخي والتسامح والتضامن، هو بقولهﷺ (الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يَخْذُلُهُ، وَلَا يَحْقِرُهُ

[١] – انظر: العمر، ناصر سليمان، **الوسطية في ضوء القرآن الكريم**، (وزارة الأوقاف السعودية، ط ١، الرياض، ٢٠١١م)، ص ٨٧.

[٢] – احمد، **مسند الإمام أحمد بن حنبل**،جـ ٣٨، ص ١٦٣ ، حديث(٢٣٠٦٤)،اسناده صحيح؛ وابو داود: سنن أبي داوود، كتاب الآدب،**باب من يأخذ الشيء على المزاح**، جـ ٤ ، ص٣٠١، حديث (٥٠٠٤).

التَّقْوَى هَاهُنَا وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ، كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ، دَمُهُ، وَمَالُهُ، وَعِرْضُهُ) [1].

ثالثاً: مقتضيات الوسطية:

تقتضي الوسطية إلتزام منهج الفهم الصحيح للإسلام، إذ بذلك الالتزام تتحقق السعادة للفرد ويرفع عنه الحيف والظلم.

ويتحقق كذلك بها التكافل الاجتماعي في الإسلام بين الأغنياء والفقراء، وإيجاد التوازن بين رأس المال والإنفاق، فتكون الملكية الخاصة مشروعة، بشرط جعل التصرف فيها موجهاً للصالح العام، وأن يكون التملك فيما هو مشروع مأذون بتملكه وليس محظوراً أو ضاراً، وأن يكون التصرف في الملك بالتراضي، ومن غير تبذير [2].

قال تعالى: ﴿وَلَا تُؤْتُواْ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِى جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَٰمًا وَٱرْزُقُوهُمْ فِيهَا وَٱكْسُوهُمْ وَقُولُواْ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴾ [النساء: ٥].

ويستخلص مما سبق:

إن الوسطية بمعناها ومنهجها ومقتضياتها هي الحفاظ على الهوية الإسلامية، لأن هذه الهوية هي تراث الأمة الإسلامية، ولأنها تعود إلى ترسيخ الإيمان بالعقائد الإسلامية، وممارسة الشعائر التعبدية، والتمسك بالخصوصيات الثقافية، والعمل على توريث ذلك إلى الأجيال المتلاحقة.

وهي كذلك المحافظة على الأخلاق في الإسلام لأن الأخلاق هي نبراس الوسطية، وذلك لقيامها على الاعتدال، فهي من أجل تهذيب النفوس، وترقيق المشاعر، وصفاء القلوب من الأمراض الحسية والمعنوية، وهي ذات أغراض إنسانية كريمة.

---

[1] - مسلم، **صحيح مسلم**، كتاب البر والصلة والآداب، بابتحريم ظلم المسلم، وخذله، واحتقاره ودمه، وعرضه، وماله، جـ ٤، ص١٩٨٦، حديث(٢٥٦٤).

[2] – العمر، **الوسطية في ضوء القرآن الكريم**، ص ١٤٩.

المطلب الثاني: الوسطية في القرآن الكريم.

لقد نزل القرآن الكريم هدايةً للناس ونوراً، يخرج الله به من يشاء من الظلمات إلى النور، وإن لزوم منهج الوسطيّة عين الهداية، وحقيقتها، ولذلك فقد جاءت الآيات مبينة ترسم منهج الوسطيَة وتدل عليه.

والوسطيَة ليست محصورة في جزئية من جزئيات الحياة، وإنما هي منهج متكامل شامل، لا ينفصل بعضه عن بعض، فالإسلام كله مبني على الوسطية، وهذه الأمّة هي أمَة الوسط.

وقد دلت آيات الوسطية أن هذا الإسلام دين يسر، وأن الله قد رفع الحرج عن هذه الأمة فيما يشق عليها، إذ لم يكلفها إلا وسعها.

وأدلة الوسطية تقسم إلى قسمين، ١- أدلة التيسير، ٢- أدلة رفع الحرج.

أولاً: أدلة التيسير:

من محاسن الدين الإسلامي، أنه دين يسر، ولا مشقة ولا حرج فيه، فأحكام الإسلام ميسرة لا تخرج عن طاقة الإنسان المعتادة، فكل العبادات التي جاءت بها الشريعة الإسلامية هي ميسرة وتلائم طاقة الإنسان، ويستطيع أدائها من غير حرج ومشقة والقرآن الكريم يسوق آيات عدة تفيد التيسير على هذه الأمة ومنها:

قال الله تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمۡۚ وَخُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ ضَعِيفٗا﴾ [النساء: ٢٨].

وقال تعالى: ﴿وَنُيَسِّرُكَ لِلۡيُسۡرَىٰ﴾ [الأعلى: ٨].

وقال تعالى: ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلۡعُسۡرِ يُسۡرًا﴾ [الشرح:٥].

قال القاسمي رحمه الله : "إذا اختلف عليك أمران ، فإن أيسرهما أقربهما إلى الحق "[1] .

وقد ذكر المفسرون في تفسيرهم لهذه الآيات أن الله أراد لهذه الأمة اليسر ولم يرد لها العسر[2].

أما الأحاديث النبوية التي تتحدث عن التيسير وتدعو له فكثيرة، ومنها ما جاء في الحديث الشريف في قوله عليه الصلاة والسلام (لَنْ يَغْلِبَ عُسْرٌ يُسْرَيْنِ) [3] ، وفي الحديث الآخر قوله ﷺ (ما خُيِّرَ رسول الله بين أمرين إلا أخذ أيسرهما ما لم يكن إثماً، فإن كان إثماً كان أبعد الناس منه) [4].

وإن من مظاهر الرحمة في دين الإسلام أنه دين يدعو إلى التيسير وينهى عن التعسير، ويدعو إلى الرفق وينهى عن العنف، وأن الشريعة مبنية على جلب المنافع والمصالح للعباد، ودرء المفاسد والمضار عنهم، وأن النبي صلى الله عليه وسلَم كان يحب التيسير في كل شيء، وكان ينهى عن التشديد في كل شيء.

ثانياً: أدلة الحرج:

إن رفع الحرج هو مبدأ أساس من مبادئ الشريعة الإسلامية، ومن المبادىء الفكرية الإسلامية وقد جاءت الآيات القرآنية لتؤكد على قضية رفع الحرج عن هذه الأمة وقد ذكرها الله تعالى في محكم كتابه العزيز.

إذ قال : ﴿ ... وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍۚ ...﴾ [الحج: ٧٨].

---

[1] – القاسمي، محمد بن سعيد، ت:١٣٣٢هـ، **محاسن التأويل**، (٩ ج)، تحقيق محمد، (دار الكتب العلمية، ط ١، بيروت ١٤٣١ هـ – ٢٠١٠ م)، جـ٣، ص٤٢٧.

[2] – القاسمي، **المصدر السابق**، جـ٣، ص ٤٣٠.

[3]- الحاكم النيسابوري: محمد بن عبد الله ت: ٤٠٥هـ، **المستدرك على الصحيحين**، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، (دار الكتب العلمية، ط ١، بيروت، ١٤١١ – ١٩٩٠)،كتاب التفسير، تفسير سورة ألم نشرح ، جـ ٢، ص٥٧٥،حديث(٣٩٤٩)، صحيح على شرط مسلم.

[4]- البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب المناقب، باب صفة النبي صلى الله عليه وسلم،جـ ٤، ص١٨٩،حديث(٣٥٦٠).

قال الطبري رحمه الله في تفسير هذه الآية، " جعل الله عز وجل الدين واسعاً ولم يجعله ضيقاً"[1]، ويفهم من هذا المبدأ من الناحية الفكرية أن من مقاصد الشريعة قاعدة رفع الحرج عن الناس، وهذا الرفع هو فتح آفاق رحبة للفكر والعقل لكي ينطلق وينظر في المسائل الاجتهادية كي يستنطقها في إعمار الكون وفي نهوض المجتمع وبناء الحضارة، إذاً فالحرج مرفوع في ديننا بنص القرآن، فليس في قواعد الإسلام حرج، والدين جاء للتيسير، ومع مصالح العباد.

قال تعالى:﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ ... ﴾ [النور: ٦١].

وقال تعالى : ﴿ ... مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [المائدة:٦].

وقال تعالى : ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُواْ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [التوبة: ٩١].

[1] – الطبري، محمد بن جرير، ت:٣١٠هـ، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، (٢٤ ج)، تحقيق: محمود محمد شاكر، (دار التربية والتراث، ط ١، مكة المكرمة، د. ت)، جـ١٧ ، ص ٢٠٧.

والخلاصة : أن قضية رفع الحرج إستقراءاً من هذه الآيات القرآنية التي أشارت إلى التيسير ورفع الحرج، فيها دلالة ظاهرة على يسر هذا الدين وعلى التوسعة على الناس، حتى تتلقى الأمة قضية رفع الحرج بالفهم والاستيعاب المنسجم مع منهجية الإسلام في جعل قواعده أساساً لاستنباط الأحكام والمسائل الفقهية، ومن ثم لبناء تصورات لدى الناس بأن الفكر الإسلامي فكر رباني، عبرت عنه الشريعة السمحاء بقواعد فقهية وأصولية استنبطها العلماء من الأصول الثابتة من القرآن والسنة، فدونوا الكثير منها قاعدة (المشقة تجلب التيسير)[1]، وبالتالي فإن مبدأ مراعاة ظروف الإنسان وأحواله هي من سمات مبدأ التيسير ورفع الحرج، وفق ما تطلبه أحوال الإنسان، كمراعاة المريض والمسافر في تخفيف العبادات عنهم.

[1]- ابن الملقن، عمر بن علي، ت: ٨٠٤هـ، **قواعد ابن الملقن**، (٢ ج)، مصطفى محمود الأزهري، (دار ابن القيم، ط ١، الرياض، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م)، جـ ١، ص ٦١.

المطلب الثالث: الوسطية في السنة النبوية.

لا بد من بيان معنى وصور الوسطية في السنة النبوية، لما لها من أهمية في حياة المسلمين، فقد جاءت الأحاديث النبوية متممة للأحكام الواردة في نصوص القرآن، وشارحةً ومفسرةً لها، علاوة على تضمنها لبعض الأحكام والآراء التي لم يرد ذكرها في الآيات القرآنية وكلها تبين يسر هذا الدين، وتدعو إلى السماحة واليسر، وتنهى عن التشدد والغلو والإفراط في جميع الأمور.

وقد كان النبي ﷺ الأسوة والمثال الذي يحتذى به، فقد ربى أصحابه رضي الله عنهم، وغرس فيهم جميع الصفات والأخلاق الحسنة، ومنها منهج الوسطية، وقد دونت تلك الصفات والأخلاق في سنة النبي صلى الله عليه وسلم، سواء كانت قولية أو فعلية أو تقريرية، حتى نقل هذا المنهج القويم وتلقته الأمة بالقبول، وذلك من خلال الأحاديث الكثيرة .

ومن هذه الأحاديث ما نقل عن السيدة عائشة رضي الله عنها، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إن الله لم يبعثني معنتاً ولا متعنتاً، ولكن بعثني معلماً ميسراً)[1].

وقال عليه الصلاة والسلام لمعاذ بن جبل وأبي موسى الأشعري، لما بعثهما إلى اليمن: (يَسِّرُوا وَلَا تُعَسِّرُوا، وَبَشِّرُوا، وَلَا تُنَفِّرُوا)[2].

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: (خَطَّ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَطًّا ثُمَّ قَالَ: هَذَا سَبِيلُ اللَّهِ. ثُمَّ خَطَّ خُطُوطًا عَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ، ثُمَّ قَالَ: هَذِهِ سُبُلٌ مُتَفَرِّقَةٌ عَلَى كُلِّ سَبِيلٍ مِنْهَا شَيْطَانٌ يَدْعُو إِلَيْهِ، ثُمَّ قَرَأَ: {وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ)[3].

---

[1]- مسلم، **صحيح مسلم**، كتاب الطلاق، بَابُ بَيَانِ أَنَّ تَخْيِيرَ امْرَأَتِهِ لَا يَكُونُ طَلَاقًا إِلَّا بِالنِّيَّةِ،٢جـ، ص ١١٠٤، حديث(١٤٧٨).

[2]- البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب العلم، بَابُ مَا كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَخَوَّلُهُمْ بِالْمَوْعِظَةِ وَالعِلْمِ كَيْ لَا يَنْفِرُوا، جـ ١، ص١٠٨،حديث(٦٩).

[3]- أحمد في المسند :(٤١٤٢)، إسناده حسن من أجل عاصم بن أبي النجود، وبقية رجاله ثقات رجال الشيخين. ، وأخرجه الدارمي في سننه في المقدمة، باب في كراهة أخذ الرأي، وابن أبي عاصم في كتاب السنة (١ / ١٣) ، وابن حبان (الإحسان) ١ / ١٨٠ - ١٨١ تحت رقم (٦ - ٧) ، والحاكم في المستدرك (٢ / ٣١٨) . وأخرجه عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، ابن ماجه في المقدمة، باب اتباع سنة رسول الله صلى الله عليه

إن ما كان عليه النبي ﷺ وسلم هو المنهج الفكري القويم، الذي أمر الله تعالى بإتباعه وهو الصراط المستقيم، وهذا يؤكد معنى الوسطية والإعتدال في منهجيته ﷺ.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ)[1].

ووجه الدلالة في هذا الحديث: أن الوسطية هي الخيرية، ومحاسن الأخلاق ومكارمها هي الوسط بين طرفين، وكل ما يدعو إليه الدين هو من مكارم الأخلاق، التي هي أوسط للخصال الذميمة المكتنفة بها من طرفي الإفراط والتفريط، ولا ينازع في أن الغلو خلق ليس من مكارم الأخلاق، فصح أن الدين لم يأت به، لأنه إنما جاء لصالح الأخلاق ومكارمها[2].

والأخلاق هي روح الأمة، فإذا صحت الروح عاشت الأمة قوية عزيزة مهيوبة من الأعداء، وإذا فسدت الروح نكست الأمة وضعفت قواها وأصبحت مطمعاً للطامعين، وهدفاً للأعداء.

عن ابن عباس – رضي الله عنهما–،قال: قال رسول الله ﷺ:(إيَّاكم والغلوّ في الدّين فإنَّما أهلك من كان قبلكم الغلوّ في الدّين)[3].

وقد دلت كل الأحاديث النبوية على ترك الغلو وعلى الأخذ بمنهج الاعتدال والوسطية، وأن الإسلام هو دين الحنفية السمحاء.

وسلم، حديث رقم (١١) ، وابن أبي عاصم في كتاب السنة (١ / ١٣) . والحديث صححه ابن حبان، والحاكم، وحسن إسناده محقق الإحسان، وصححه لغيره الألباني في ظلال الجنة (١ / ١٣) .

[1]– أحمد (الرسالة ١٤ / ٥١٢ – ٥١٣، تحت رقم ٨٩٥٢)، صحيح، وهذا إسناد قوي، رجاله رجال الصحيح غير محمد بن عجلان، فقد روى له مسلم متابعة، وهو قوي الحديث. ، والبخاري في الأدب المفرد (صحيح الأدب المفرد ١١٨، تحت رقم ٢٠٧ / ٢٧٣) ، والبيهقي في السنن الكبرى (١٠ / ١٩١ – ١٩٢) ، والحاكم (٢ / ٦١٣) . والحديث صححه الحاكم، ومحققو مسند أحمد، والألباني في صحيح الأدب المفرد، وفي سلسلة الأحاديث الصحيحة حديث رقم (٤٥) .

[2]– مجموعة من العلماء، **بحوث ندوة أثر القرآن الكريم في تحقيق الوسطية ودفع الغلو**، (وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد. ط ٢، المملكة العربية السعودية، ٢٠٠٤م)، ص ٣٣.

[3]– النسائي (٥ / ٢٦٨) رقم (٣٠٥٧)، حكم الألباني: صحيح. وابن ماجه (٢ / ١٠٠٨) رقم (٣٠٢٩) وأحمد (١ / ٢١٥، ٣٤٧) ، وصححه الحاكم (١ / ٤٦٦) ، ووافقه الذهبي، وصححه – أيضًا– الألباني كما في السلسلة الصحيحة رقم (١٢٨٣) ، وصحيح الجامع رقم (٢٦٨٠) .

المبحث الثالث: بيان دور الوسطية وتأثيرها وأقوال العلماء فيها.

المطلب الأول: دور الوسطية في مواجهة الغلو والتطرف وطرق علاجها.

تعدّ مشكلة التطرف من أكثر القضايا إثارةً للجدل والاهتمام من قبل النخب الفكرية، فنمو الظاهرة وانتقالها إلى أطوار وأشكال جديدة، ربما لم تكن موجودة من قبل، يتطلب من الباحثين إعادة القراءة المتأنية في معالجة هذه الظاهرة الخطيرة، وإيجاد الحلول لها.

ولقد ظهرت خلال الأحداث التي مرت على أمتنا الإسلامية في الآونة الأخيرة جماعات متعددة سلكت مسلك الغلو والتطرف، فكفرت أفراداً في المجتمعات الإسلامية على أسس خاطئة ومن غير أدلة مستندة إلى كتاب أو سنة، أو دون إجماع من علماء الشريعة المعتبرين، فكانت النتائج وخيمة على الأمة.

ونشوء هذه الظاهرة يعود إلى أسباب عدةٍ منها: التعصب لفكرة معينة، والتمسك بهذه الفكرة من غير دليل، وعدم قبول الرأي الآخر.

فالمتطرف فرداً كان أم جماعة، ينظر إلى المجتمع نظرة سلبية، فلا يؤمن بتعدُّد الآراء والأفكار ووجهات النظر، ويرفض الحوار مع الآخر أو التعايش معه، ولا يبدي استعداداً لتغيير آرائه وقناعاته، وقد يصل به الأمر إلى تخوين الآخرين وتكفيرهم واستباحة دمائهم.

ويزداد خطر التطرُّف حين ينتقل من طور الفكر والاعتقاد والتصوُّر النظري، إلى طور الممارسة والتطرُّف السلوكي، الذي يعبّر عن نفسه بأشكال مادية من أعمال قتل، وتفجيرات، وتصفيات، واستخدام لوسائل العنف المادي المختلفة لتحقيق بعض الأهداف، وعادةً ما يكون التطرُّف السلوكي والمادي نتيجة وانعكاساً للتشبُّع بتطرُّف سابق في الفكر و القناعات والاعتقاد.

ولأجل هذا يحسن تناول مسألة التطرف، وبيان أسبابه وخطورته، من خلال الجوانب الآتية:

أولاً: التطرف لغةً:

"تطرَّفَ، يَتطرّفُ، تطرُّفًا، فهو مُتطرِّف، والمفعول مُتطرَّف؛ أي رَأَى خِصَاماً فِي الشَّارِعِ فَتَطَرَّفَ جَانِباً أو اِبْتَعَدَ إِلَى الطَّرَفِ أو الجَانِبِ الآخَر "[1].

ويُقال: تَطَرَّفَتِ الْمَاشِيَةُ جَوَانِبَ الْمَرْعَى أي صَارَتْ بِأَطْرَافِهِ ، ويُقال أيضاً: تَطَرَّفَتِ الشَّمْسُ أي دَنَتْ إِلَى الغُرُوبِ، ويَتَطَرَّفُ فِي أَفْكَارِهِ أي يَتَجَاوَزُ حَدَّ الاعْتِدَالِ وَالحُدُودِ الْمَعْقُولَةِ، ويُبَالِغُ فِيهَا، وتَطَرَّفَ منه أي تنحَّى، وقيل: حَدِّ الشَّيْءِ وَحَرْفِهِ، وعدم الثبات في الأمر، والابتعاد عن الوسطية، والخروج عن المألوف ومجاوزة الحَدِّ، والبُعد عما عليه الجماعة[2].

ثانياً: التطرف اصطلاحاً:

إن لفظة التطرف لم تكن تستعمل عند المتقدِّمين ولم يستعملوها في كتبهم كما هو متداول اليوم، لذلك فإن هذا الاستعمال الشائع حالياً لهذه الكلمة هو مصطلح حديث في هذا العصر، وإنما كانت هناك ألفاظ أخرى أكثر استخداماً، مثل لفظة (الغلوّ)، وقد وردتْ هذه الكلمة في القرآن الكريم، وفي السنة النبوية المطهرة، لكن من خلال المفهوم السائد اليوم، يمكن القول أنّ التطرُّف يعني تجاوز حدّ الاعتدال والوسطية، سواء كان في العقيدة، أو في الفكر، أو في السلوك.
و قد أطلق عليه الإمام الطبري رحمه الله لفظ الإفراط : "الغلوّ في الحقيقة أعلى مراتب الإفراط في الجملة، فالغلوّ في الكفن هو المغالاة في ثمنه والإفراط فيه"[3].

وقال أيضاً: "فالغُلُوّ أخصُّ من التطرُّف بحسبان أنّه مجاوزة الحد الطبيعي في الزيادة والنقص،ففي حال النقص يسمى غُلوّاً إذا بالغ في النقص، فيقال: غلا في النقص، وكذلك في الزيادة إذا بالغ فيها كقول النصارى في المسيح ابن مريم أنّه الله وابن الله والروح القدس، تعالى الله عمّا يقولون علواً كبيراً "[4].

---

[1] – ابن منظور، **لسان العرب**، جـ ٩، ص ١٢١.

[2] – الزبيدي، أحمد بن محمد، ت: ١٢٠٥هـ، **تاج العروس من جواهر القاموس**، تحقيق: مجموعة من المحققين، (دار الهداية، ط ١، مصر، ١٤٣١هـ – ٢٠١٠م)، ص ٢١٩.

[3] – الطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، جـ ٢، ص ١١١.

[4] - الطبري، **المصدر السابق**، جـ ٢، ص ١١٢.

فالتطرُّف إذاً هو مجاوزة الحد، والبعد عن التوسط والاعتدال إما إفراطاً أو تفريطاً، أو بعبارة أخرى: هو تعدي الحدود التي جاءت بها الشريعة الإسلامية في وجوب الأمر بالوسطية التي استفاضت بها النصوص، والتي تدعو المسلم إلى وجوب التمسك بهذه الوسطية وأخذ جانب الإعتدال.

قال ابن كثير رحمه الله:

" لا تَغْلُ في شيءٍ مِنَ الأمرِ واقْتَصِدْ ***كِلا طرفيّ قَصْدِ الأمورِ ذميمُ "[1].

والتطرُّف أيضاً من ناحية أخرى يعني الانحياز إلى طرفي الأمر، فيشمل الغُلوّ، ولكنّ الغلوّ أخصّ منه في الزيادة والمجاوزة، ليس فقط بمجرد البعد عن الوسط إلى الأطراف، أو بمعنى آخر: كل غُلوّ فهو تطرُّف، وليس كل تطرُّفٍ غُلوّاً.

فالذي يتطرّف في حكمه في الدماء، ربما يحكم بكفر بعض الناس من أهل القبلة، فإذا غالى في تطرُّفه، فربما يستبيح قتلهم ويرى في هذا أجراً من الله تعالى، وهذا لا شكّ أشدّ وأخطر، لأنه يقتل باسم الدين[2].

ثالثاً: الأسباب الفكريةُ للغلو والتطرف:

أصبح الغلو والتطرف في الدين من أخطر المظاهر التي حرفت الناس عن جادة الحق، لاسيما أنها ظهرت في المجتمعات بصور وانطباعات شتى، فهي من أخطر الظواهر الفكرية التي نشأت على الساحة الإسلامية حديثاً وقديماً، وقد ظهرت عند فئة معينة في المجتمع، وهي فئة الشباب، وبصورة ملفتةٍ للنظر، لذلك أصبح من الضروري أن يسلط الباحث الضوء على هذه المسألة نظراً لأهميتها وخطورتها البالغة.

كذلك أصبحت هذه الظاهرة الخطيرة -(الغلو والتطرف)- وبالاً على الأمة الإسلامية، حتى استغلها أعداء الأمة في الطعن بهذا الدين والتشنيع عليه، ونسبوا هذا الفكر الضال إلى الأمة بأجمعها ظلماً وعدواناً، مع العلم أنهم يعرفون مصادر وتمويل هذه الظواهر الخطيرة ومن هذه المصادر.

---

[1] - ابن كثير، إسماعيل بن عمر، ت: ٧٧٤هـ، **تفسير القرآن العظيم**، (٩ ج)، تحقيق: سامي سلامة، (دار طيبه، ط ٢، سوريا، د.ت، جـ ٣، ص ٢١٨.

[2] - صابر، احمد ممدوح، **التطرف الاجتماعي وعلاقته بالأفكار اللاعقلانية**.(مجلة دراسات عربية في علم النفس مصر، مجلد ٨، عدد ٤(٢٠٠٩)، ص ٧٩١ - ٨٢٩.

أ– التيارات الفكرية المتطرفة، ومنها تياران:

١ــ **تيارٌ علماني:** يدعو إلى بناء الحياة على أساسٍ دنيويٍ ماديٍ غير مرتبطٍ بالإسلام ولا بالتقاليدِ والأعراف الاجتماعية الأصيلة، بل هذه التقاليد من وجهة نظرهم عوائقٌ في طريق التقدم والانطلاق نحو الحضارة[١].

٢ــ **تيارٌ دينيٌ متطرف:** يعارض المدنيةَ الحديثةَ وكلَّ ما يتصل بالتقدم الحضاري، فهي من وجهة نظرهم فسادٌ في الدين والأخلاق، فالحضارة تجعل الفردَ يعيش لنفسه ملبياً لرغباتها متنكراً للآداب والفضيلة ، ولذا فكل تيار منهما يرفض فكرَ الآخَرِ ويقاومُه، وينظر إليه نظرةَ ازدراءٍ واحتقار[٢].

ب – **غياب الوسطية:** إن غلو بعض المعاصرين أمات كثيراً من السنن، فتوجَّه بعض من ظن أن الدين فيما عليه الغلاة، وصار يرمي الآخرين بالتفريط والتهاون في دين الله والمداهنة ونحو ذلك، بل إن علوَّ صوتِ الغلاة وظهورَ أمرهم وغرابةَ فعلهم جعلهم أشهرَ في الميدان من بعض أهل الاعتدال [٣]، فظن بعضُ الجهلة أن هؤلاءِ يمثلون الإسلامَ وأهلَه، فبظهور الغلو اختفى الاعتدالُ وبظهور المغالين غاب المعتدلون، ثم إن النبي ﷺ، حذر من الخروج على منهج الاعتدال في الدين فقال: (إن هذا الدين يسر ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه)[٤].

كما أن التشدد في الدين كثيراً ما ينشأ في المجتمعات عن قلة الفقه وقلة الفهم في الدين[٥].

ج– **الخلل في مناهج بعض الدعوات المعاصرة:** فأغلبها تعتمد في مناهجها على الشحن العاطفي، وتربي أتباعها على مجرد أمور عاطفية وغايات دنيوية ونحوها، وتحشو أذهانهم بالأفكار والمفاهيم التي تؤدي إلى التصادم مع المخالفين بلا حكمة[٦].

وفي الوقت نفسِه تقصِّر في أعظم الواجبات، فتنسى الغايات الكبرى في الدعوة، من غرس العقيدة السليمة، والفقهِ في الدين، والحرصِ على الجماعة، وتحقيقِ الأمن، والتجردِ من الهوى والعصبية، وفقهِ التعامل مع المخالفين.

---

[١]- الظاهري، خالد سالم، **دور التربية الإسلامية في مواجهة الإرهاب**، (دار عالم الكتب، ط ١، السعودية، ٢٠٠٣م)، ص ١٢١.

[٢]– الظاهري، **المرجع السابق**، ص ١٢٢.

[٣]– الظاهري، **المرجع نفسه**، ص ١٢٣.

[٤]– البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب الايمان، باب الدين يسر، جـ ١، ص ٢٣، حديث (٣٩).

[٥]– الشربيني، زكريا أحمد **سلوك الإنسان بين الجريمة والعدوان والإرهاب**، (دار الفكر العربي، ط ١، القاهرة، ٢٠٠٣م)، ص ٦٧.

[٦]- الشربيني، **المرجع السابق**، ص ٧٥.

رابعاً: الأسبابُ العلميةُ للغلو والتطرف:

إن لمعرفة قواعد وأسس الشريعة الإسلامية دوراً مهماً في حياة المسلم، وخاصة طلبة العلم، حيث أكدت النصوص الكثيرة على وجوب العلم والتفقه في الدين، فالتقصير في هذه المسألة يولِّد ما يأتي:

أ- الجهل والسّفَه: لقد تصدَّر حُدثاءُ الأسنان وسفهاءُ الأحلام للعلم والدعوة، ففي حديث النبي عليه الصلاة والسلام: (يكون في آخر الزمان قوم حدثاء الأسنان سفهاء الأحلام يقولون من أحسن الناس قولاً يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية وهم شر الخلق والخليقة طوبى لمن قتلهم أو قتلوه إن لمن قتلهم عند الله أجراً)[1].

وكثير ما نرى اليوم بعض الشباب اتَّخذ من بعض السفهاء رؤساء جهالاً، فأفتوْا بغير علم، وحكموا في الأمور بلا فقه، وواجهوا الأحداث الجسام بلا تجربة ولا رأي ولا رجوعٍ إلى أهل العلم والرأي، بل كثيرٌ منهم ينتقص من العلماءَ والمشايخَ ولا يعرف لهم قدْرهم، فيلمزهم بالتقصير أو المداهنة ونحو ذلك.

ب – الجهل بأحكام الدين: فالمتأمل لواقع أكثر الغلاة والمتطرفين يجد أنهم يتميزون بالجهل وقلةِ الفقه في الدين، وضحالةِ الحصيلة في العلوم الشرعية، ومع ذلك تراهم يخوضون في المصالح العظمى والقضايا المصيرية، فكثرُ منهم التخبطُ والخلطُ والأحكامُ المتسرعة والمواقفُ المتشنجة، مع وجود الغيرة من بعضهم على دين الله وتعظيم الحرمات وشدة الخوف من الله تعالى.

ففي الحديث الشريف قال عليه الصلاة والسلام: (تحقرون صلاتكم مع صلاتهم)[2] .

ج – غياب دور العلماء وانشغالهم: فالعلماء لهم منزلةٌ عظيمةٌ في المجتمع المسلم، فهم ورثة الأنبياء وغيابهم أو انشغالهم مدعاةٌ لتصدر غير الأكفاء، الذين يُضلون الناسَ بغير علم، وحينذاك يتعرض المجتمعُ للهلاك.

---

[1] – أحمد، مسند **الإمام أحمد**، مسند علي بن ابي طالب،جـ٢،ص٣٢٩، حديث(١٠٨٦)، إسناده صحيح على شرط الشيخين.

[2] – البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب فضائل القرآن،باب إثم من راءى بقراءة القرآن أو تأكل به أو فخر به، جـ٦،ص١٩٦،حديث(٥٠٥٨).

د– الفجوة بين العلماء والشباب: ففي أغلب بلاد المسلمين تجد العلماء بمعزل عن الشباب، وبالمقابل تجد الشباب بحيويتهم ونشاطهم وهمتهم بمعزل عن العلماء، مما أوقع بعض الشباب في الأحكام والتصرفات التي لا تليق تجاه علمائهم، ومن هنا يُفقد الحوارُ الذي هو أساس التفاهم والإصلاح.

هـ – التَّعَالُمُ والغُرور: إذ أن أحدهم لا يعرف بديهيات العلم الشرعي، ويظن أنه بعلمه القليل وفهمه السقيم قد حاز علوم الأولين والآخرين، فيستقل بغروره عن طلب العلم من العلماء، فَيَهْلك بغروره ويُهلِك.

وهكذا كان الخوارج الأولون يدَّعون العلم والاجتهاد ويتطاولون على العلماء، وهم من أجهل الناس.

ي– قلت الخبرة والتجربة العلمية في مجال التعليم ومناهجه: فقد أُسست السياسة التعليمية في معظم البلاد الإسلامية على أسس غير إسلامية، كالتنشئة على حب القومية العربية وغيرها، فما يُدرَّس في مراحل التعليم الأساس وما بعده، لا يؤهل شخصاً مثقفاً بالحد الأدنى من الثقافة الإسلامية[1]، فأدى هذا إلى ضعف المقررات الدينية وانعكس هذا الأثر السلبي على سلوك الأفراد واتجاهاتهم.

خامساً: الأسباب الدينية للغلو والتطرف:

إن عدم الفهم الصحيح لقواعد وأدلة الشريعة الإسلامية وإنزالها على أساس فقه التعامل والواقع ومراعاة الظروف للمجتمعات المسلمة اليوم، كل ذلك يولد الجهل في مبادىء وأحكام الشريعة الإسلامية، وتكون النتائج السلبية لذلك على الشكل الآتي:

أ– الفساد العقدي: إن كثيراً من المسلمين فرَّقوا دينهم وكانوا شيعاً يقابلون البدعة بالبدعة، فإذا نشأ فكر منحرف، ظهر فكر منحرف آخر يناقضه، وفي العصر الحديث امتلأت الساحة بالفرق والمذاهب المتشددة البعيدة عن الفهم الصحيح للعقيدة الإسلامية، وقد كان انتشار تلك الفرق مؤثراً في إحداث الغلو والتطرف[2].

---

[1] –الشربيني، **سلوك الإنسان بين الجريمة والعدوان والإرهاب**، ص٧٣.

[2] – الشنقيطي، محمد أمين، **الإعلام الإسلامي**، (دار الكتب، ط ١ الرياض، ١٩٩٨م)، ص ٣٧.

ب_ عدم الحكم بما أنزل الله في معظم البلاد الإسلامية: وعند تتبع مظاهر الغلو والتطرف على مر التاريخ يرجع غالبها إلى مسألة الحكم بغير ما أنزل الله[1]، فهذا الانحراف العقدي بالابتعاد عن عدم الحكم بما أنزل الله ﷻ، قد أنتج انحرافاً عَقَدياً مقابلاً.

جـ – إعراض أكثر المسلمين عن دينهم، عقيدةً وشريعةً وأخلاقاً: مما أوقعهم في ضنك العيش وفي حياة الشقاء، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا ...﴾ [ط: ١٢٤].

وهذا الإعراض من مظاهر السخط والتذمر والغلو والتطرف الفكري عند البعض، ومن مظاهر هذا الإعراض أيضاً: ظهور الفواحش والمنكرات وحمايتها، والتعلق بالشعارات والمبادئ الهدامة والأفكار المستوردة، والتقصير في حق الله تعالى، والوقوع في الذنوب والمعاصي، وترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وشيوع الظلم بشتى صوره وأشكاله: ظلم الأفراد، وظلم الشعوب، وظلم الولاة وجورهم، وظلم الناس بعضهم لبعض، والتضييق على المتمسكين بالدين، وبالمقابل التمكين لأهل الفسق والفجور والإلحاد مما يعد أعظم استفزاز لذوي الغيرة والاستقامة، وهذا قد يكون معتمداً ومقصوداً من جهات تَكيد للإسلام وتحاربه وتسعى لتشويهه والنيل منه، لأجل إحداث ردة فعل عند ذوي الغيرة والاستقامة، كي يدفعوهم إلى الرد عليهم بطرق وأساليب تجانب الصواب وتخرج عن الاعتدال، وتتسم بالشدة والغلو والتطرف.

سادساً: الأسبابُ الاقتصاديةُ للغلو والتطرف:

إن كل إنسان لا بد له أن يعيش في مجتمعٍ ويعمل فيه لتحقيق مصالحه، وذلك من خلال الكد والعمل والسعي لطلب الرزق، فبالعمل يبنى إقتصاد الدول، وتتحقق أسباب الأمن الاقتصادي والاستقرار النفسي للأفراد تمثلاً وتحقيقاً لقول اللهﷻ: ﴿فَلْيَعْبُدُواْ رَبَّ هَـٰذَا ٱلْبَيْتِ ۝٣ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۢ﴾ [قريش:٣-٤]، وقد رغبت الشريعة في وجوب العمل وعدم التواكل والتكاسل، فالإخلال والتقصير في هذه المسألة يولد تأثيرات سلبية منها:

أ_ الجنوح إلى التطرف في الفكر بسبب طغيان العولمة: فخطر العولمةُ التي تجتاح العالمَ يزيد من الأزمات الاقتصادية للدول والمجتمعات المطحونة، مما يزيد الفجوة بين الدول الغنية والدول الفقيرة، ومن ثمَّ يولد التطرف في الفكر[2].

---

[1] – الشربيني، **سلوك الإنسان بين الجريمة والعدوان والإرهاب**، ص٧٧.

[2] – سيد منصور، **سلوك الإنسان بين الجريمة والعدوان والإرهاب**، ص٧٩.

ب- الاستئثار بالثروات والسيطرة على المؤسسات الحكومية وعلى مراكز صنع القرار: إن كثيراً من النافذين استكثروا على شعوبهم أن يشاركوهم الحياة، فاستأثروا بالثروات والمؤسسات والشركات، وعاشوا حياة البذخ والسرف واستغلال السلطة، في ظل وجود طبقة محرومة تعيش دون مستوى الفقر، بل تصل إلى حد العدم ولا تملك شيئاً، وبحكم الطبيعة البشرية سيرتفع مستوى الحقد والحسد والتحامل والتطرف والنقمة على الآخر الغني، مما يؤجج روح العداء ويذكي نار التطرف والغلو تحت مسمى الدين أو غيره.

جـ- انعدام العدالة على المستوى الدولي اقتصادياً واجتماعياً: ويتمثل ذلك في عدم القدرة على إقامة تعاون دولي جِدي من قبل الأمم المتحدة، والعجز عن وحسم المشكلات الاقتصادية والاجتماعية للدول عن طريق النمو، والعجز عن التقليل من الهُوة والسحيقة بين الدول الغنية والدول الفقيرة وتحقيق مستوى حياةٍ أفضل للغالبية العظمى من الشعوب بكرامة وشرف.

د- ظلم الأنظمة الحاكمة وعدم عدالتها في تنظيم شؤون الدول وتوزيع الثروات بين الأفراد داخل الدول: ومن ذلك عدم قدرة الأنظمة على إيجاد تنظيم عادل ودائم لعدد من المشكلات الدولية، مثل: اغتصاب الأراضي والنهب والاضطهاد وهي حالة كثير من الشعوب[1].

سابعاً: الأسباب التربوية للغلو والتطرف:

إن للتربية والنشأة الصحيحة دوراً مهماً في تقويم حياة الإنسان لما لها من أهمية في توجيه سلوكه، حتى جاءت النصوص الكثيرة في الشريعة الإسلامية التي تدعو إلى تربية النشء في عمرٍ معين، حتى يكون فرداً صالحاً في المجتمع، والتقصير في هذه المسألة يؤدي إلى ما يأتي:

أ- افتقاد التوافق مع النفس ومع الغير: أذ أنه حين التأمل في الحياة المعاصرة يلاحظ أن أكثر الذين اتُهموا بالغلو والتطرف أو وقعوا فيه هم ممن يفتقد التوافق مع النفس أو مع المجتمع، وعدم التوافق هذا دفعهم إلى سلوك يتنافى مع القيم الإسلامية ويتسم بالشدة والعنف وباتخاذ أساليب غير شرعية في تغيير الواقع الذي يعيشونه[2].

ب- عدم إشباع الحاجات الإنسانية: فالإنسان وخصوصاً في مرحلة الشباب بحاجة إلى جملة من الحاجات الأساسية التي ينبغي إشباعها وتوجيهها ليعيش في استقرار نفسي واجتماعي، وإلا فسيصير

---

[1] - الشنقيطي، **الإعلام الإسلامي**، ص ٤٠.

[2] - الشاطبي، ابراهيم موسى، ت: ٧٩٠هـ، **الاعتصام**، (دار ابن عفان، ط ١، السعودية،١٤١٢هـ - ١٩٩٢م)، ص ٨٣.

الشاب إلى أحد طريقين: إما إشباع حاجاته من طرق غير سوية أو شرعية، أو البقاء في ظل الحرمان، وكلا الطريقين يصير بالمرء والمجتمع إلى عدم الاستقرار، مما يولد غلواً وتطرفاً في الفكر نحو المجتمع[1].

جـ- تشجيع الإعلام المُغرِض للغلو والتطرف: فهو بما يقدمه من برامج وأفلام وأخبار تزرع قيم التطرف والشدة يدفع الإنسان في أغلب الأحيان إلى أن ينهج منهج الغلو والتطرف.

ثامناً: كيفية معالجة الغلو والتطرف:

إن من أهم أسباب الخلاص من هذه الظاهرة الخطيرة، هو الفهم الصحيح لنصوص وقواعد الشريعة الإسلامية من الكتاب والسنة، وعدم صرفها عن معانيها ومرادها، ولا يكون ذلك إلا بفهم الإسلام وقيمه بشكل صحيح، والسير على منهج السلف الصالح من الصحابة والتابعين من أجيال الأمة الوسطية المعتدلين، ويرى الباحث أن العلاج يتمثل في الجوانب الآتية:

١ـ العلاج العقدي والديني:

أ ـ الاعتصام بالكتاب والسنة: وبذلك تتحقق النجاة من كل شر وانحراف، إذ الشرور منبعها الإعراض عن دين الله وشرعه[2]، ففي الحديث(تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبداً كتاب الله وسنتي)[3].

ب ـ معالجة الفساد العقدي: وذلك بالالتزام بفكر الوسطية والاعتدال، وهو مذهب أهل السنة والجماعة، فأهل السنة وسطيون في العقيدة والفكر وفي المعرفة والاعتقاد بصفات الله بين تعطيل الجهمية[4] وتجسيم المشبهة[5]، وهم وسط في باب تأويل وفهم أفعال الله تعالى بين القدرية[1] والجبرية[2]، وليسوا في غلو المرجئة[3] المعاصرين اللذين في إرجائهم دفعوا أقواماً نحو الغلو في التكفير.

---

[1] – الشنقيطي، **الإعلام الإسلامي**، ص ٤٢.

[2] – ابن القيم الجوزية، محمد بن أيوب، ت:٧٥١هـ، **هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى**، تحقيق، محمد أحمد الحاج، (دار القلم، ط ١، جده، ١٣١٦هـ – ١٩٩٦م)، ص ١٢٤.

[3] - مسلم، **صحيح مسلم**، حديث (٢٤٠٨)

[4] - الجهمية هم: الطائفة من المبتدعة يخالفون أهل السنة في كثير من الأصول كمسئلة الرؤية وإثبات الصفات. ينسبون إلى جهم بن صفوأن، انظر: أبن ماجه، محمد بن يزيد، ت: ٢٧٣هـ، **سنن ابن ماجه**، (٢ ج)، تحقيق: محمد فؤاد، (دار احياء الكتب العربية، د. ط، حلب، د. ت)، جـ ١، ص ٦٢.

[5] - المشبهة: هم الذين شبهوا ذات الباري بذات غيره، أو شبهوا صفاته بصفات غيره، انظر: ابن العطار، علي بن ابراهيم، ت: ٧٢٤هـ، **الاعتقاد الخالص من الشك والانتقاد**، تحقيق: سعد الزويهري، (وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ط ١، قطر، ١٤٣٢هـ – ٢٠١١م)، ص ٣٢٣.

جـ ـ محاربة المظاهر العامة للفساد الأخلاقي والديني: وذلك من شأنه ألّا يترك مجالاً للغلاة والمتشددين لمهاجمة المجتمع والتطاول عليه، أما وجود مظاهر الانحلال والفساد فقد يعطيهم المبرر في نظر الكثيرين لما يقومون به[٤]، ولهذا لا بد من قطع دابر الفتنة وسد باب الذرائع.

٢- العلاج العلمي والتربوي:

أ ـ الحث على طلب العلم الشرعي النافع: وذلك لأن أهم أسباب الغلو والتطرف الجهل بأحكام الدين، فلهذا يحتاج المتدين المتورع إلى علم كثير بالكتاب والسنة والتفقه في الدين، وإلا فقد يفسد ورعه أكثر مما يصلح، دون علم متين وراسخ ، وقد يجنح عن الفهم الصحيح المستند للعلم الشرعي، ويبتعد في سلوكه إلى الغلو والتشدد، وهو ما يؤدي به إلى الانحراف والبعد عن منهج الله وهديه في التفاعل مع نفسه ومع المجتمع، وعندها يلجأ إلى التكفير والعنف، شأنه في ذلك شأن الجهات والجماعات التي تبرر لنفسها باسم الدين كافة سلوكياتها وتصرفاتها وأعمالها وأحكامها المتشددة بدون فقه أو علم أو معرفة بأحكام الشريعة الإسلامية السمحة[٥].

ب ـ الرجوع إلى العلماء ومشاورتهم: لأنهم أعرف الناس بمراد الله تعالى ومراد رسوله، ففي الحديث: (إن الله لا يقبض العلم ينتزعه من العباد ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يُبق عالماً، اتخذ الناس رؤوساً جهالاً، فسئلوا، فأفتوا بغير علم، فَضَلّوا وأضَلّوا)[٦]، وفي الحديث: (إِنَمَا مَثَلُ الْعُلَمَاءِ فِي الْأَرْضِ مِثْلُ النُّجُومِ فِي السَّمَاءِ ، إِذَا رَآهَا النَّاسُ اقْتَدُوا بِهَا ، وَإِذَا عُمِّيَتْ عَلَيْهِمْ تَحَيَّرُوا) [٧].

---

[١]- القدرية: هم الذين يثبتون للعبد قدرة يفعل بها ما اختار فعله، انظر: ابن سعد، محمد بن سعد، ت: ٢٣٠هـ، **الطبقات الكبرى**، تحقيق: زياد منصور، (مكتبة العلوم والحكم، ط ٢، المدينة المنورة، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٧م)، ص ٣٥٧.

[٢]- الجبرية: هم الذين يسندون فعل العبد إلى الله ويقولون إن العبد مجبور على فعله، انظر: الصرصري، سليمان عبد القوي، ت: ٧١٦هـ، **الإنتصارات الاسلامية في كشف شبه النصرانية**، (٢ ج)، تحقيق: سالم القرني، (مكتبة العبيكان، ط ١، الرياض، ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م)، جـ ١، ص ٤٥٧.

[٣]- المرجئة: هم الذين يزعمون أن الإيمان قول بلا عمل، وأن الإيمان قول والأعمال شرائع، وأن الإيمان مجرد، وأن الناس لا يتفاضلون في إيمانهم، وأن إيمانهم وإيمان الملائكة والأنبياء واحد، وأن الإيمان لا يزيد ولا ينقص، وأن الإيمان ليس فيه استثناء، وأن من آمن بلسانه ولم يعمل فهو مؤمن حقاً، انظر: الأشعري، علي بن اسماعيل، ت: ٣٢٤هـ، **رسالة إلى أهل الثغر بباب الأبواب**، تحقيق: عبدالله الجنيدي، (عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، ط ١، المدينة المنورة، ١٤٣١هـ – ١٩٩٢م)، ص ١٧٥.

[٤]– ابن القيم الجوزية، **هدايا الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى**، ص ١٢٦.

[٥]- النعيمي، إبراهيم نعمة، **السنة النبوية في مواجهة التحديات**، (دار الفرقان، ط ١، الأردن، ٢٠١٥م)، ص ٤٧ – ٤٨.

[٦]-البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب العلم، باب كيف يقبض العلم، جـ ١، ص ٣١، حديث (١٠٠).

[٧]– البيهقي: أحمد بن الحسين ت: ٤٥٨هـ، **المدخل إلى السنن الكبرى**، المحقق: د. محمد ضياء الرحمن الأعظمي، (دار الخلفاء للكتاب الإسلامي، د. ط، الكويت د.ت)،بَابُ فَضْلِ الْعِلْمِ ،جـ ١، ص٢٧٤،حديث(٣٩٢).

جـ ـ قيام العلماء بدورهم الذي ينبغي عليهم القيام به: فإن الله تعالى أخذ عليهم الميثاق أن يبينوا الحق للناس ولا يكتموه، فإذا ترك العلماء الساحة فارغة حمل الراية من لا يجيد النزال، ولهذا قال الله في العلماء ومسؤولية حمل راية الحق وبيانه للناس قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْاْ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾ [آل عمران: ١٨٧].

د ـ محاورة العلماء للغلاة ومناظرتهم: وذلك بإقامة الحجة عليهم من الكتاب والسنة ومن أقوال سلف الأمة.

هـ ـ الاهتمام بمناهج التربية والتعليم: وذلك من خلال العناية بالخطة الدراسية والكتاب المدرسي والمدرسين الأكفاء وبالسياسة التعليمية كلها، لأن هذا من شأنه أن يؤسس لبناء شخصية مسلمة متكاملة البناء[١].

٣ – العلاج الاجتماعي:

أ ـ الردُّ على شبهات الغلاة والمتطرفين ودحضُها: وهذا واجب على العلماء والدعاة، وذلك من خلال إقامة الندوات الفكرية، ومن خلال خطب الجمعة العقلانية الرشيدة الهادفة، والندوات ومجالس العلم وكذلك إلقاء المحاضرات، إضافة إلى إستغلال وسائل الإعلام الحديثة.

ب ـ العقوبة والردع: وهذا واجب الحكام والأمراء الذين بيدهم القوة، وذلك بعد استخدام كل الوسائل والسبل لمعالجة ظاهرة الغلو والتطرف، فآخر العلاج الكي، إذ إن بعض الغلاة لا يصلح معهم إلا التعزير من حبس أو نفي أو ضرب ونحوه، وذلك بضوابط شرعية يحددها أهل الاختصاص، فقد شرع الله تعالى العقوبات ونوَّعها، كما ورد قوله ﷻ: ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوْ يُصَلَّبُوٓاْ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ أَوْ يُنفَوْاْ مِنَ ٱلْأَرْضِ ۚ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْىٌ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [المائدة: ٣٣].

---

[١] – الشنقيطي، **الإعلام الإسلامي**، ص ٤٤.

وبعد العرض لأسباب التطرف والغلو، وبعد بيان سبل علاجه، يستخلص الباحث الآراء الآتية:

١- إن أعظم سبب لوجود التطرف في العصر الحاضر هو التطرف المعاكس المتمثل في رفض الدين أو التساهل في تطبيق أحكامه، وفي الإعراض عنه وعدم الجدية في علاج هذين الجانبين بتوازن.

٢- إن أهم أسباب الغلو والتطرف هو عدم فهم نصوص السنة النبوية المطهرة بصورة صحيحة، والابتعاد عن روح النص القرآني والنبوي، وإطلاق العنان لأتباع الأهواء وسقامة الفكر .

٣- إن أكثر ما يثيره أهل الغلو والتطرف الديني مبني على أوهام وظنون وشائعات وتلبيس، مما يؤدي إلى التهاجر والقطيعة بين الغلاة من ناحية، وبين العلماء والمفكرين ورجال الدولة من ناحية أخرى.

٤- نشر العلم الشرعي مع التأكيد على تزكية النفوس والتربية الإيمانية وذلك بأخذ العلم من العلماء المعتبرين.

٥- فتح باب الأمل في هداية الناس والقيام بالدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة.

المطلب الثاني: تأثيرات الوسطية في شخصية المسلم.

الوسطية الإسلامية تأبى أن يكون في الأمة مظاهر كالعنف والتشدد، وتدعو إلى غرس معاني العدل والاعتدال والاستقامة والتوازن، وقد أكدت النصوص القرآنية والنبوية على احترام الرأي الآخر، فذلك ما يدعو إليه الإسلام، كما يدعو إلى نبذ كافة صور العنف والقسوة والغضب والانتقام والإرهاب بين المسلمين، وبهذا السياق يقول أحد الدعاة: " الوسطية في جميع مناهجها من التصور والاعتقاد وغيرهما، حيث لا غلو ولا تشدد فيها" [1] .

ثم يبين أن الوسطية هي من أهم مزايا المنهج الإسلامي، فهي تحقق التوازن بين الفرد والجماعة وبين الدنيا والآخرة، وهي: "وسطية في التنظيم والتنسيق، لا تدع الحياة كلها للمشاعر والضمائر، ولا تدعها كذلك للتشريع والتأديب"[2].

كذلك هي وسطية في العقيدة، قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ﴾ [النساء: ١٧١].

ووسطية في الأخلاق والسلوك، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ وَكَانَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ قَوَامٗا﴾ [الفرقان: ٦٧].

ووسطية في التشريع، قال تعالى: ﴿وَإِنۡ عَاقَبۡتُمۡ فَعَاقِبُواْ بِمِثۡلِ مَا عُوقِبۡتُم بِهِۦۖ وَلَئِن صَبَرۡتُمۡ لَهُوَ خَيۡرٞ لِّلصَّٰبِرِينَ﴾ [النحل: ١٢٦].

فكمال الوسطية أو وسطية الكمال في شخصية المسلم قد وضع الله سبحانه وتعالى لها منهجاً ربانياً شاملاً، وسعى رسول الله ﷺ في حياته وسيرته إلى التطبيق الكامل لهذه الوسطية، فهذه الوسطية خصيصة الأمة الإسلامية بمفهومها الإسلامي المتمثل في لغة القرآن ومعانيه ومواقفه، وفي ما جاء في نصوص القرآن

[1] – سيد قطب، **في ظلال القرآن**، (٦ ج)، (دار العلوم، ط ٢،القاهرة، ١٤٠٦ هـ –١٩٨٦ م)، جـ ١، ص ١٢٥.

[2] – سيد قطب، **المرجع السابق**، ص ١٢٨.

الكريم وبما طبقه وعمل به رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم، فهي تختلف تمام الاختلاف عن مفهوم الوسطية عند غير المسلمين.

والوسطية الإسلامية لا تهدف إلى الجمع بين المتضادين أو المتعارضين أو التوسط بين النقيضين أو إرضاء الطرفين واتخاذ موقف محايد، وإنما الهدف من الوسطية الإسلامية هو الوصول إلى الحق دون النظر إلى الاعتبارات الأخرى الآنف ذكرها.

ولذلك فإن وسطية الإسلام ليست خصيصة مميزة فحسب، بل هي من أعظم حقوق الأمة الإسلامية التي سماها الله بها (أمة وسطاً) ، والتي يجب الدفاع عنها كلما حدث في المجتمع الإسلامي أي انحراف عنها، فكرياً كان أو سلوكياً، هذا من جانب، ومن جانب آخر يجب على الأمة الوسط الدفاع عن وسطيتها في العقيدة والأخلاق والتشريع والسلوك ضد كل غلو أو تطرف [1] .

وعلاوة على ذلك يجب التحذير من الإفراط والتفريط والتسرع في الاتهام بالبدعة أو تفسيق أو تكفير المسلمين، ولا سيما الدعاة، لمجرد خطأ وقعوا فيه، وكذلك التحذير من أهل الغلو في الجرح والتجريح إذ لم يسلم من لسانهم أحد من المسلمين [2] .

وتميز الوسطية أيضاً المسلم عن غيره بمنهج حياته، وتجعله ثابتاً أمام تحديات العصر والتيارات الفكرية المختلفة ، ولا يكون حائراً متردداً على مفترق الطرق، ولا تذوب هويته في أمواج الأفكار المتعارضة، ولا يميل نحو الشرق ولا نحو الغرب، ولا يكون متساهلاً مفرطاً[3].

ومن خلال هذا المفهوم دعا الإسلام إلى تحصين الفرد والمجتمع بالعقيدة الصحيحة من خلال الاعتصام بالكتاب والسنة، ولهذا خصص الإمام البخاري في صحيحه باباً أطلق عليه باب الاعتصام بالكتاب

---

[1] – جمال الدين محمد، **أصول المجتمع الإسلامي**، (دار الكتاب اللبناني، ط ١، بيروت ،١٤١٢ هـ –١٩٩٢ م)، ص ١٨٣.

[2] – جمال الدين محمد، **المرجع السابق**، ص ١٨٥.

[3] - الريسوني، علي بن أحمد، **فقه الدعوة الإسلامية**، (وزارة الأوقاف، ط ١، الرياض، ٢٠٠٩م)، ص ٣.

والسنة[1]، فالاعتصام بالكتاب والسنة يشمل جميع مجالات الحياة، ويهتم اهتماماً ويوازن بين بالدنيا والآخرة ويهتم بالنفس الإنسانية بكافة جوانبها[2] .

فالوسطية إذاً هي خاصية من خواص الأمة الإسلامية كما أخرجها الله تعالى خير أمة للناس وكما أرادها أن تكون، وهي مقصد وهدف وجب على هذه الأمة أن تتحقق به من خلال جهاد واجتهاد دائمين، جهاد علمي وفكري وتربوي وثقافي، وجهاد عملي على مستوى آخر، مما يقتضي أن يقوم في الأمة باستمرار مجددون عدول، ينفون عن الإسلام غلو الغالين وتأويل الجاهلين وانتحال المبطلين، وهي لا تكون وسطاً إلا عندما تحمل هذه القيم وتحافظ عليها وتعمل بها وتسعى إلى تحقيقها لتستحق عند ذاك أن توصف بأنها خير أمة أخرجت للناس كما قال الله تعالى فيها: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١١].

[1]- البخاري، **صحيح البخاري**، جـ ٩، ص ٩١.

[2] – محمد أسد، **الإسلام على مفترق الطرق**، (دار العلم للملايين، ط ١، المغرب، ١٤١٢ هـ –٢٠٠٠ م)، ص ١١٠.

المطلب الثالث: أقوال العلماء في بيان أهمية الوسطية.

الوسطية سمة بارزة من سمات الإسلام الحنيف، فهذه الشريعة الربانية متسمة بأنها شريعة السماحة ورفع الحرج لأنها موافقة للفطرة السليمة للمرء، والإسلام وسط في كل القضايا الدينية والدنيوية وفي العبادات والمعاملات، ولذا اجتبى الله ﷻ أمة الإسلام بأن جعلها أمةً وسطاً، وجعل منهجها منهجاً وسطياً، فهي الأمة التي تشهد على الناس جميعاً، فتقيم بينهم العدل والقسط، وتضع لهم الموازين والقيم.

وقد سعى علماء الأمة إلى توضيح الجوهر الناصع للعقيدة الإسلامية القائمة على الوسطية والاعتدال، وهي مبادئ تعبر عن جوهر الشريعة الإسلامية وأساسها لأنها من عند الله وقد اختارها الله لهذه الأمة المحمدية لتكون هي شريعتها الشاملة لكافة الشرائع، وقدَّر الله لها ذلك بقوله: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ... ﴾ [آل عمران: ١٩]، ومن هنا لابد من بيان أقوال العلماء في بيان مفهوم الوسطية ودورها في سلوك المسلم.

يقول عبد الله بن مسعود رضي الله عنه مبيناً منهج الصحابة في ذلك : " من كان منكم مستناً فليستن بمن قد مات، فإن الحي لا تؤمن عليه الفتنة، أولئك أصحاب محمد، كانوا أفضل هذه الأمة، أبرها قلوباً، وأعمقها علماً، وأقلها تكلفاً، اختارهم الله لصحبة نبيه عليه الصلاة والسلام، وإقامة دينه ، فاعرفوا لهم فضلهم، واتبعوهم على أثرهم وسيرتهم، فإنهم كانوا على الهدي المستقيم" [١].

وهكذا فهم الصحابة هذا المنهج، و كانوا على منهج الوسطية في كل شيء، وليس في جزئية معينة فحسب، فهم العدول الذين شهد لهم القرآن، وهم نواة هذه الأمة، فقد تربوا على منهج النبي عليه الصلاة والسلام وتلقوا منه مباشرة قيم ومبادئ وتشريعات الإسلام وفكره الصافي وثبتوا عليه فكانوا الجيل القرآني الفريد الذي تمثل هذه الوسطية وتمسك بها[٢].

---

[١]– ابن قيم الجوزية: محمد بن أبي بكر بن أيوب، ت: ٧٥١هـ، **إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان**،(٢ج) ، تحقيق محمد عزيز ،(دار علم الفوائد، ط ١، مكة المكرمة، ١٤٣٢ هـ – ٢٠١١ م)، جـ١،ص ٨٧.

[٢]- سيد قطب، **في ظلال القرآن**، جـ ١، ص ١٣٢.

ومما لا شك فيه أن الإنحراف عن الوسطية، لم يظهر إلا لمخالفة طريق السنة وهدي السلف، فظهر الغلو من جانب، والجفاء من جانب آخر، وكلا طرفي الأمر مذموم، لذلك قال أبو حيان التوحيدي رحمه الله:" دين الله بين المقصر والغالي"[1].

وقد قال ابن القيم رحمه الله: "فدين الله بين الغالي فيه والجافي عنه، وخير الناس النمط الأوسط الذين ارتفعوا عن تقصير المفرطين ولم يلحقوا بغلو المعتدين، وقد جعل الله سبحانه هذه الأمة وسطاً وهي الخيار العدل، لتوسطها بين الطرفين المذمومين، والعدل هو الوسط بين طرفي الجور والتفريط، والآفات إنما تتطرق إلى الأطراف والأوساط محمية بأطرافها، فخيار الأمور أوساطها"[2].

وقد بين القرضاوي أن للوسطية في الإسلام مظاهر متعددة في مجالات متنوعة، فالوسطية الإسلامية كامنة في الاعتقاد والعبادات والشعائر والأخلاق والتشريع، ففي مجال الاعتقاد نجد الإسلام وسطاً بين الخرافيين الذين يصدقون بكل شيء ويؤمنون بغير برهان وبين الماديين الذين ينكرون كل ما وراء الحس، كما أنه وسط بين الملاحدة الذين لا يؤمنون بإله قط وبين الذين يعددون الآلهة حتى عبدوا الأبقار وألّهوا الأوثان والأحجار، وهو وسط بين الذين يقدسون الأنبياء حتى رفعوهم إلى مرتبة الألوهية، وبين الذين كذبوهم واتهموهم وصبوا عليهم كؤوس العذاب، وهو وسط بين الذين يؤلِّهون الإنسان وبين الذين جعلوه أسير جبرية اقتصادية أو اجتماعية أو دينية[3].

---

[1]- التوحيدي، علي بن محمد، ت: ٤٠٠هـ، **البصائر والذخائر**، (١٠ ج)، تحقيق: وداد القاضي، (دار صادر، ط ١، بيروت، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م)، جـ ٥، ص ٢٢٢.

[2]- ابن القيم الجوزية، **إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان**، جـ ١، ص ١٨٢.

[3] – القرضاوي، يوسف عبدالله، **فقه الوسطية الإسلامية والتجديد**، (دار الشروق، ط ١، قطر، ٢٠١٠م)، ص ١٥، بتصرف.

مما تقدم يتبين للباحث:

أن الوسطية ليست مذهباً أو اتجاهاً جديداً في الإسلام، وإنما خصيصة من خصائص الإسلام إذا أُحسِن فهمه.

والمسألة الثانية أنها ليست صفة ينبغي أن تحتكرها جماعة أو حركة أو تيار، بل ينبغي أن تكون صفة الأمة الإسلامية جمعاء حينما تكون في مستوى ما طلب منها، وتكون أمة قائمة بحق على ما اصطفاه الله تعالى من أجله إلى الناس أي: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والإيمان بالله، وإقامة الشهادة بذلك كله على الناس من خلال إقامته في نفوس أفرادها وحياتهم الفردية والجماعية، وفي مؤسساتها وأنظمتها، ولقد تبين أن الوسطية تعني التوازن في السير والاستقامة على صراط الله المستقيم.

الفصل الثالث

الفكر الصوفي تعريفه نشأته ودوره في المجتمع العراقي

الفصل الثالث

الفكر الصوفي، تعريفه، نشأته، دوره في المجتمع العراقي.

المبحث الأول: تعريف التصوف وبيان أهميته وأسسه.

المطلب الأول: تعريف التصوف لغةً واصطلاحاً.

المطلب الثاني: أهمية التصوف وأقوال العلماء فيه.

المطلب الثالث : أهم الأسس التي يقوم عليها التصوف.

المبحث الثاني: تاريخ التصوف في العراق وأبرز طرقه.

المطلب الأول: نشأة التصوف في العراق ومدارسه.

المطلب الثاني : الطريقة القادرية.

المطلب الثالث: الطريقة الرفاعية.

المبحث الثالث: بيان دور التصوف ومقاماته وموقف الفكر الإسلامي منه.

المطلب الأول: دور التصوف وأثره في المجتمع.

المطلب الثاني: مقامات التصوف.

المطلب الثالث : موقف الفكر الإسلامي من التصوف.

الفصل الثالث: تعريف الفكر الصوفي وبيان تاريخه ودوره في المجتمع العراقي.

تمهيد:

للفكر الصوفي أهمية كبيرة عند المسلمين، فهو جزء لا يتجزأ من تاريخ وتراث هذه الأمة، وقد حظي بالقبول لدى الكثير من المسلمين لما يحمل من مبادئ وسلوكيات لها تأثيرٌ على القلب والجسد، فالقيم الروحية التي يحملها ذات أثر بالغ في شخصية المسلم، لأنها مستمدة من تعاليم الإسلام الحنيف، بالإضافة إلى أنه فكر تربوي روحي يحفز المسلم على الاجتهاد في العبادة كي يزداد تقرباً إلى الله ﷻ.

وهو فكرٌ نقي خالٍ في جوهره من الأباطيل التي ألصقت به والتي لا تنسجم مع مبادئه التي تنبثق من منهج الشريعة الغراء، ولهذا صار له أتباعٌ كثر في الأمة الإسلامية، لما يحمل من قيم روحية لها الأثر الواضح في حياة من سلك هذا الطريق، وقد أصبح لهذا الفكر طرق عدةٌ، حتى انتسب لها الكثير من الزهاد والعباد منهم: الشيخ عبدالقادر الكيلاني، والإمام القشيري، والسيد أحمد الرفاعي رحمهم الله تعالى، وغيرهم من الأعلام الذين حملوا هذا الفكر.

ولقد أصبح للفكر الصوفي مكانة مهمة في تاريخ المسلمين بشكلٍ عام، والعراق بشكلٍ خاص، لما له من أثر بارز داخل العراق وفي الكثير من البلدان الإسلامية الأخرى.

المبحث الأول: تعريف التصوف وبيان مفهومه وأسسه.

المطلب الأول: تعريف التصوف لغةً واصطلاحاً.

أولاً: التصوف في اللغة:

تعددت الأقوال عند العلماء في اشتقاق كلمة التصوف عند المسلمين، فمن يبحث عن جذر التصوّف في اللغة العربية يجد: "أنّ الجذر هو صُوُف، فالكلمة قد تكون آتية من الصوف الذي هو ما يكسو ظهر الضّأن ونحوه"[١].

وكلمة التصوف هي من الفعل صَوَّف بتشديد الواو، أي جعله متصوفاً، وتصوف صار صوفياً، أي تخلق بأخلاق الصوفية، والصوفية هم فئة من المتبعين لنصوص الكتاب والسنة، وأحدهم الصوفي[٢].

وقد ذهب ابن خلدون ، إلى أنّ لفظة الصوفية والتصوف مشتقّة من اللغة العربية، فهي تطلق على من لبس الصوف الذي اشتُهر به أهل هذا الطريق، ومعناه الابتعاد عن زينة الدنيا في ظل إقبال الناس عليها[٣].

ومن الوارد أن اشتقاق كلمة التصوف فهو من الصوفة، لأن الصوفي مع الله عز وجل كالصوفة المطروحة، لاستسلامه لله تعالى[٤]، وقيل مأخوذ من الصُفَّة، لأن صاحبه تابعٌ لأهل الصُفَّة الذين هم الرعيل الأول من رجال التصوف، وهم مجموعة من المساكين الفقراء كانوا يقيمون في المسجد النبوي الشريف ويعطيهم رسولﷺ الله من الصدقات والزكاة[٥].

---

[١]- ابن منظور، **لسان العرب**، جـ١٥، ص١٩٩-٢٠٠.

[٢] – الأزدي، علي بن الحسن، ت: ٣٠٩هـ ، **المنجد في اللغة**، تحقيق: أحمد مختار ،(عالم الكتب، ط١، القاهرة، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م)، ص ٤٤١.

[٣]– ابن خلدون، عبدالرحمن بن محمد، ت: ٨٠٨هـ، **تاريخ ابن خلدون**، تحقيق: خليل شحاذه، (دار الفكر، ط ٢، بيروت، ١٤٠٨هـ، – ١٩٨٨م)، ص ٦١١.

[٤]– ابن عجيبة، أحمد بن محمد، ت: ١٢٦٦هـ،**إيقاظ الهمم في شرح الحكم**، (دار المعارف، ط١، بيروت، ١٣٩١هـ – ١٩٧١م)، ص٦.

[٥]- العيسى، عبدالقادر بن عبدالله، **حقائق عن التصوف**، (دار العرفان، ط٢١، حلب،١٩٩٣م)، ص ٢٦.

ثانياً: التصوف في الإصطلاح:

عرف العلماء التصوف بتعريفات عِدَّةٍ أبرزها:

قال الشيخ عبد القادر الكيلاني : "التصوف ليس ما أخذ عن القيل والقال ولكن أخذ من الجوع وقطع المألوفات والمستحسنات"[١].

وذكر الغزالي رحمه الله: التصوف هو تجريد القلب لله تعالى واحتقار ما سواه، أي تُخلِص القلب لله تعالى ، واعتقاد أن ما سواه اعتقاداً أنه لا يضر ولا ينفع، فلا يعول إلا على الله، فالمراد باحتقار ما سواه، اعتقاد أنه لا يضر ولا ينفع ، وليس المراد الازدراء والتنقيص[٢].

وقال معروف الكرخي رحمه الله" التصوف الأخذ بالحقائق، واليأس مما في أيدي الخلائق"[٣].

وقال القشيري رحمه الله : " التصوف علم تعرف به أحوال تزكية النفوس وتصفية الأخلاق وتعمير الظاهر والباطن لنيل السعادة الأبدية" [٤].

إذاً فالتصوُّف طريقةٌ في السلوك تعتمد على التحلّي بالفضائل وتزكية النفس وسعيًا إلى مرتبة التدرج في التقرب إلى الله عز وجل.

ويستنتج من هذه التعريفات:

أن التصوف هو التقرب إلى الله عز وجل، وذلك بإقامة الفرائض والواجبات وفق سنة الرسول عليه الصلاة والسلام، والحرص على أن يكون القلب صافياً في الأقوال والأفعال، وأن تكون العبادة خالصةً لله عز وجل.

كما ويمكن القول بعبارة أخرى أنه فكر روحاني يهتم بباطن الإنسان ووجدانه أكثر من اهتمامه بظاهره، يؤمن إيماناً حتى يمتلئ القلب محبتاً لله عز وجل وفق شريعته.

---

[١] – انظر: الكيلاني، عبدالقادر بن صالح، ت:٥٦١هـ ، **آداب السلوك**، تحقيق: محمد غسان، (دار السنابل، ط ١، دمشق ، ١٥١٦هـ – ١٩٩٥م)، ص ١٨٩.

[٢] – أبو اليسر، عابدين محمد، **حكايا الصوفية**، (دار البشائر، ط ١، بيروت، ١٩٩٣م)، ص٢٥_٢٦.

[٣] – عبد الرحمن بدوي، **تاريخ التصوف الإسلامي**، (دار الشعاع، ط٣، بيروت، ٢٠٠٨)، ص١٧.

[٤] – القشيري، عبدالكريم بن هوزان، ت: ٤٦٥هـ ، **الرسالة القشيرية**،(٢ ج)، تحقيق: عبدالحليم محمود، (دار المعارف، ط ١، القاهرة، ١٤٣١هـ – ٢٠١٠م)، جـ ١، ص٧.

المطلب الثاني: أهمية التصوف وأقوال العلماء فيه.

أولاً: أهمية التصوف:

يعد التصوف فكراً ضرورياً لتحقيق التوازن في الحياة، وهو طريقة تعبدية للانسجام مع واقع المسلمين، ويعتبر مدرسة إسلامية فكرية مستمدة من هدي النبي ﷺ، وهو ليس مذهباً معيناً ولا فرقةً، ويعتبر في الوقت ذاته منهاجاً مهماً لتسديد القيم والسلوك، ورسالة روحية لبيان الحلول الناجحة للمشاكل التي تعاني منها المجتمعات الإنسانية.

فالتصوف بهذا المعنى هو سلوك يتزود به الإنسان من قيم الصلاح والتقوى، بما يجعله من السالكين في دروب الصالحين الذين يرجون رحمة الله تعالى، وهو محطةُ لإصلاح القلب والسريرة، وهو أيضاً منهج فكري إرشادي يفيد الإنسان في تحرير نفسه من سلطان الهوى وإتباع الشهوات وملذات الحياة[1].

وقد بين رسول الله ﷺ منزلة القلب وأهميته في جسد الإنسان، فأشار إليه على أنه موطن الصلاح والتقوى وأفعال الخير، قال علية الصلاة والسلام في الحديث الصحيح:(... أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ) [2].

وقال أيضاً عليه الصلاة والسلام: (إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى أَجْسَامِكُمْ وَلَا إِلَى صوركم، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ)[3].

لذا فإن دوام صلاح حال الفرد خاصه والمجتمع عامة، متوقف على إصلاح القلوب التي هي المصدر الأساس للأعمال، فوجب على الإنسان الابتعاد عن الصفات المذموم التي نهى الشرع عنها، والعمل بالصفات الحسنة التي أمر الله ﷻ بها بهذا العمل ليكون القلب سليماً ويكون المسلم من الفائزين ومن المفلحين[4].

قال تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ۝٨٨ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾

---

[1] – العيسى، **حقائق عن التصوف**، ص ٢٨.

[2] –البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب الإيمان ، باب فضل من استبرأ لدينه،جـ١، ص٢٠،حديث(٥٢)؛وانظر: مسلم: **صحيح مسلم**، كتاب المساقات، باب اخذ الحلال وترك الشبهات، جـ ٣، ١٢١٩،حديث(١٥٩٩).

[3] – مسلم، **صحيح مسلم**، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم ظلم المسلم، وخذله، واحتقاره ودمه، وعرضه، وماله ، جـ٤ ، ص١٩٨٦،حديث(٢٥٦٤).

[4] – العيسى، **المرجع السابق**، ص ٢٩.

[الشعراء: ٨٨- ٨٩].

ومن أجل ذلك فإن الصفاء القلبي أصبح ضرورة في حياة الإنسان، لما له من دور في إصلاح وتزكية للنفس البشرية، وهذا ما تؤكده الشريعة الإسلامية، التي جاء بها القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة على صاحبها الصلاة والسلام، وذلك من خلال النصوص الآتية:

أ: الأدلة من القرآن الكريم:

لقد جاءت العديد من الآيات القرآنية التي توجب على المسلم أن يكون مخلصاً في جميع عباداته لله تبارك وتعالى، فالعبادة لا تقبل بغير إخلاص، ومن هذه الآيات، قوله تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ﴾ [البينة: ٥].

وقوله تعالى : ﴿قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا﴾

[الكهف: ١١٠].

قال السعدي رحمه الله في تفسير هذه الآية: " أي: لا يرائي بعمله، بل يعمله خالصاً لوجه الله تعالى، فهذا الذي جمع بين الإخلاص والمتابعة"[١].

ب: الأدلة من السنة النبوية:

وردت الكثير من الأحاديث النبوية التي تتحدث عن إصلاح القلوب وتزكية النفوس من خلال الدعوة إلى تربية النفس وتهذيبها على طاعة الله، وكذلك النهي عن كل ما يفسدها من الحسد والحقد والغش والتباغض والتدابر، وغير ذلك من مكدرات النفس ومفسداتها، ومن أبرز تلك الأحاديث:

---

[١]- السعدي، عبدالرحمن بن ناصر، ت ١٣٧٦هـ، **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، تحقيق، عبدالرحمن اللويحق، (مؤسسة الرسالة، ط ١، بيروت، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م)، ص ٤٨٩.

قال عليه الصلاة والسلام:

(لَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَانًا، وَلَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثٍ)[1].

قال النووي في قوله عليه الصلاة والسلام: "وَلَا تَحَاسَدُوا وَلَا تباغضوا الخ: الْحَسَد تمني زَوَال النعم وَهُوَ حرَام، والتدابر والمعاداة، وَقيل المقاطعة لِأَن كل وَاحِد يولي صَاحبه دبره، وَمعنى كونُوا عباد الله إخوانا أَي: تعاملوا وتعاشروا مُعَاملَة الإخوة ومعاشرتهم فِي الْمَوَدَّة والرفق والشفقة والملاطفة والتعاون فِي الْخَيْر وَنَحْو ذَلِك، مَعَ صفاء الْقُلُوب والنصيحة بِكُل حَال" [2].

ثانياً: أقوال العلماء في التصوف:

اكتسب التصوف أهمية لدى الكثير من المسلمين لما له من دور روحي يؤثر في حياة المسلم ويلامس قلبه، فهو يحث على وجوب التعلق بالله تعالى وتسليم الأمر له سبحانه، وقد ألف الكثير من العلماء وصنفوا المصنفات العديدة في التصوف والحث عليه.

والأقوال كثيرة في هذا الباب، وسيذكر الباحث البعض منها.

قال السيد أحمد الرفاعي: " هذا الدين الجامع، باطنه لبٌّ ظاهره، وظاهره ظرف باطنه، لولا الظاهر لما بطن لولا الظاهر لما كان ولما صحَّ، القلب لا يقوم بلا جسد، بل لولا الجسد لفسد، والقلب نور الجسد "[3].

ولعله يقصد هنا بالدين الجامع علم التصوف، وقد سمي لدى أغلب العلماء علم الباطن لما فيه من صلاح للقلوب.

لذلك أكد العلماء على وجوب تنقية القلب من جميع الأمراض والآفات التي تعلق فيه، سواء كانت هذه الذنوب هي من الكبائر التي تحتاج إلى توبة دائمة أو من صغائر اللمم.

قال ابن عابدين : "إن علم الإخلاص فرض عين والعجب والحسد والرياء مثل غيرها من آفات النفوس، كالكبر، والشح، والحقد ،والغش ،والغضب، والعداوة ،والبغضاء ،والطمع ،والبخل، والبطر، والخيلاء، والخيانة، والمداهنة، والاستكبار عن الحق، والمكر، والمخادعة، والقسوة ،وطول

---

[1] – الإمام البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب الأدب، باب ما ينهى عن التحاسد والتدابر ، جـ٨، ص ١٩،حديث(٦٠٦٥)؛ مسلم: **صحيح مسلم**، كتاب البر والصلة والآداب ، باب النهي عن التحاسد والتباغض والتدابر ، جـ٤، ص ١٩٨٣،حديث(٢٥٥٨).

[2] – النووي، يحيى بن شرف الدين، ت: ٦٧٦هـ ، **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج**، (١٨ ج)، (دار إحياء الثراث العربي، ط ٢، بيروت، ١٤٣١هـ – ٢٠١٠م)، جـ ٢، ص ٢٧٤.

[3] – الرفاعي، أحمد بن علي، ت: ٥٧٨هـ، **البرهان المؤيد**، (دار المشاريع، ط١، مصر،١٤٢٩هـ – ٢٠٠٨م)، ص ١٢٢.

الأمل ونحوها مما هو مبين في ربع المهلكات في الإحياء، قال فيه : ولا ينفك عنها بشر، فيلزمه أن يتعلم منها ما يرى نفسه محتاجاً إليه وإزالتها فرض عين ،ولا يمكن إلا بمعرفة حدودها وأسبابها وعلاماتها وعلاجها فإن من لا يعرف الشرَّ يقع فيه"[1]

إذاً من خلال ما سبق يمكن استنتاج الآتي:

أ – يعتبر الفكر الصوفي من الأفكار التي تُرغب في وجوب تهذيب سلوك المسلم حتى يصبح إنساناً مستقيماً متجرداً عن جميع الشهوات ويسير في طريق السالكين.

ب – التصوف له قبول عند الكثير من المسلمين، لما يحمل من أفكار وثقافات بناءة تربي النفس وترتقي بها في مدارج السالكين إلى الله ﷻ، وتقود إلى الفوز والفلاح والسعادة في الدنيا والآخرة.

ج – أصبح التصوف في الوقت الحاضر بمثابة حياة روحية يسعى الدين الإسلامي الحنيف لتربية الناس عليها، وذلك بسبب تزاحم الخبث والفساد الذي يركز عليه أصحاب الأفكار الهدامة لإبعاد أبناء المسلمين وأجيالهم عن القيم وعن الفضيلة والاستقامة، كذلك وأيضاً يجسد التصوف الصحيح حقيقة هذا الدين، لأنه يحرك الإنسان نحو فعل الخير الذي يريده الله تعالى، فلا حقد، ولا عداء، ولا حسد، ولا بغضاء، ولا كراهية، ولا تقصير بحق الله، ولا تطاول على حقوق الناس والعباد.

د– التصوف هو مفتاح الوصول بالعبد الصادق إلى مرضات لله تعالى، وهو الذي يعين الإنسان على التعايش السلمي مع المجتمع.

هـ – إن التصوف يقدم للإنسان حلولاً تربوية روحية عملية تساعده على ترويض نفسه، وتهذيب أخلاقه، وتخلصه من الأنانية وحب الذات.

---

[1] – ابن عابدين، محمد أمين، ت: ١٢٥٢هـ ، **رد المحتار على الدر المختار**، (٦ج)، (دار الفكر، ط ٢، بيروت، ١٣٨٦هـ – ١٩٦٦م)، جـ ١، ص ٣١.

المطلب الثالث: أهم الأسس التي يقوم عليها التصوف:

هناك الكثير من الأسس التي يقوم عليها الفكر الصوفي، وقد تكلم فيها وتناولها الكثير من العلماء، وسوف يتطرق الباحث إلى أهم تلك الأسس التي يقوم عليها الفكر الصوفي، ومنها ما يأتي:

أولاً: المجاهدة النفسية:

المجاهدة هي منع النفس عن الملذات حتى لا تنشغل وتتوقف عن عبادة الله عز وجل[1] .

والمجاهدة النفسية وفق هذا المبدأ، قد بينها عليه الصلاة والسلام: (المجاهد من جاهد نفسه في طاعة الله، والمهاجر من هجر الخطايا والذنوب)[2].

فمجاهدة النفس تدخل في طاعة الله تبارك وتعالى ومرضاته، وهي شرط من شروط إرتقاء النفس للأفضل، وهي في رأي الباحث ليست مطلقة، بل معتدلة دون إجحاف بحق النفس، وليست حرماناً لها من الطيبات التي أحلها الله للإنسان وحثه على التمتع بها بالحلال، ولكن المقصود بالمجاهدة هنا فيما يراه الباحث، هو منع النفس من الإسراف والتمادي في الاستجابة لشهواتها بشكل مطلق، وبذلك تتحقق التربية والمجاهدة بالاعتدال، مع التمتع الحلال بالطيبات لما أمر اللهﷻ به في محكم التنزيل: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ﴾ [المؤمنون: ٥١]، وهذا هو التصور الإسلامي الصحيح الذي بُنِيَ عليه الفكر الإسلامي المستند إلى الكتاب والسنة النبوية المطهرة، قال ابن عجيبة : " لابد للمريد في أول دخوله الطريق من مجاهدة ومكابدة، وصدق وتصديق، وهي مظهر ومجلاة للنهايات، فمن أشرقت بدايته أشرقت نهايته "[3].

وبهذا فإن الفكر الصوفي قد أتخذ من المجاهدة النفسية عملاً فعلياً ضد جميع الأخلاق والتصرفات القبيحة، في سبيل إصلاح الحالة الفكرية وبناء الأخلاق التي يريدها ديننا الحنيف.

---

[1] – الغزالي، **إحياء علوم الدين**، جـ ١، ص ١٩.

[2] – أحمد، **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، مسند فضالة بن عبيد، جـ٣٩، ص ٣٧٦،حديث(٢٣٩٥٣).

[3] – ابن عجيبه، أحمد بن محمد، **إيقاظ الهمم في شرح الحكم**، ت: ٧٠٩هـ ، (٢ ج)، دار الكتب العلمية، ط ١، بيروت، ١٤٠٤هـ – ١٩٨٢م، جـ ٢، ص ٣٧٠.

ثانياً : التخلي والتحلي:

يعتبر مفهوم التخلي والتحلي من أهم مبادئ الفكر الصوفي وأسسه التي ترتقي بالأخلاق وتصل بها إلى المرتبة الرفيعة والمقام العالي، وهذا المبدأ مهم لطالبي أساسيات السلوك العملي في سبيل رضا الله ﷻ، وذلك لأنه يتمثل بالتخلي عن ارتكاب المعاصي بعد الرجوع إلى الله والتوبة النصوح، إذ يتخلص الصوفي من حُجُب الذنوب التي سترت القلب عن أنوار الحق، ومن هنا تعود الصفات الحميدة لتحل في القلب والطبع فتتهذب الأخلاق، وتتطهر النفس، ويتجلى بها القلب ليبلغ نقاءه الروحاني والوجداني .

" فمن جاهد نفسه على التحلي بالفضائل، وجاهدها على التخلي من الرذائل، حصل له خير كثير، واندفع عنه شر مستطير، فالأخلاق منها ما هو غريزي فطري، ومنها ما هو اكتسابي يأتي بالدُّربَةِ والممارسة "[1].

ولهذا فإن علماء التصوف دائماً ما يحثون على كثرة ذكر طاعة الله ومخافته، والتخلي عن الصفات المذمومة، والتي من شأنها أن تكون حاجزاً بين المسلم وربه .

قال الإمام شمس الدين المقدسي:

" عَلَيْك رَحِمَك اللَّهُ بِتَقْوَى اللَّهِ وَإِيثَارِ طَاعَتِهِ وَرِضَاهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ سِرًّا وَجَهْرًا مَعَ صَفَاءِ الْقَلْبِ مِنْ كُلِّ كَدَرٍ وَلِكُلِّ أَحَدٍ وَاتْرُكْ حُبَّ الْغَلَبَةِ وَالتَّرَؤُّسِ وَالتَّرَفُّعَ قَالَ إبْرَاهِيمُ بْنُ أَدْهَمَ: لَا يَنْبَغِي لِرَجُلٍ أَنْ يَضَعَ نَفْسَهُ دُونَ قَدْرِهِ وَلَا يَرْفَعَ نَفْسَهُ فَوْقَ قَدْرِهِ، وَكُلُّ وَصْفٍ مَذْمُومٍ شَرْعًا أَوْ عَقْلًا أَوْ عُرْفًا، كَغِلٍّ وَحِقْدٍ وَحَسَدٍ وَنَكَدٍ وَغَضَبٍ وَعُجْبٍ وَخُيَلَاءَ وَرِيَاءٍ وَهَوًى وَغَرَضِ سُوءٍ وَقَصْدٍ رَدِيءٍ وَمَكْرٍ وَخَدِيعَةٍ، وَمُجَانَبَةِ كُلِّ مَكْرُوهٍ لِلَّهِ تَعَالَى، وَإِذَا جَلَسْت مَجْلِسَ عِلْمٍ أَوْ غَيْرِهِ فَاجْلِسْ بِسَكِينَةٍ وَوَقَارٍ وَتَلَقَّ النَّاسَ بِالْبُشْرَى وَالِاسْتِبْشَارِ"[2]، ومن هنا يتجلى أن التقوى وطاعة الله ﷻ من أهم أسباب انشراح وصفاء القلوب إلى الله، ولهذا فإن وظائف السالك بين يدي الله تعالى يمكن إجمالها بثلاث هي التخلّي والتحلّي والتجلّي: فالتخلّي هو التخلصُ من أمراض القلوب والانعتاق من هوى النفس وحب الدنيا وهو من فعل العبد بتوفيق الله،

---

[1] – الحمد، محمد إبراهيم، **سوء الخلق**، (دار أبن خزيمة، ط ٢، د. م، ٢٠١٠م)، ص ٩٤.

[2] – المقدسي، محمد بن مفلح، ت: ٧٦٣هـ ، **الآداب الشرعية والمنح المرعية**، (٣ ج)، (عالم الكتب، ط ١، د. م، ١٤٣١هـ – ٢٠١٠م)، جـ ٢، ٥٥٧.

والتحلي هو التحقق بالمقامات العلية والأحوال السنية والأخلاق النبوية، وهو من فعل العبد أيضاً بتوفيق الله ، أما التجلي فهو ما يلقيه الله تعالى في قلب العارف من العلوم والمواهب والتجليات والأنوار وهو محضُ تلقّ وعطاء لا يد للعبد فيه "[1].

وبناءً على ما تقدم فإن أسس التصوف تتلخص بما يلي:

أ- مجاهدة النفس وهي في التخلي عن جميع الذنوب بعد التوبة إلى الله تعالى، والتخلص من أدران الخطايا، وهجر المعاصي والأشياء القبيحة.

ب- التحلي والتخلي وهو من أسس الفكر الصوفي العرفاني، بل هو أحد المبادئ العملية في التطبيق السلوكي عند علماء الفكر الصوفي.

ج- تهذيب الأخلاق، وتطهير النفس والقلب وتنقيتهما، والتمسك بالصفات الحميدة.

[1]- أبو الهدى اليعقوبي، محمد أبو الهدى، **الأخلاق**، (منشور ضمن وقائع صوفية على الإنترنيت، بتاريخ ٢٤ مارس ٢٠١٢ م) ص ٧.

المبحث الثاني: تاريخ التصوف في العراق وأبرز طرقه.

المطلب الأول: تاريخ نشأة التصوف في العراق ومدارسه.

أولاً: تاريخ التصوف في العراق:

يعد الفكر الصوفي من المحطات المهمة في تاريخ العراق، لأنه جزء من تركيبته التربوية الفكرية الإسلامية، وكما إن كل تيار فكري ظهر في فترة ما تأثر بظروف معينة ساهمت في تكوينه ونشأته، فكذلك كانت بداية نشأة وتكوين التصوف في العراق، في القرن الثاني الهجري[1]، وهو يعد واحداً من البلدان التي نشأ فيها التصوف، ولا يزال إلى يومنا هذا يتمتع بالقبول عند فئات من المسلمين في هذا البلد.

ومن هنا لابد من الإشارة إلى نشأة الفكر الصوفي في هذا البلد، وبيان تعدد مدارسه لما له من مكانة تاريخية كبيرة، ثم بيان الدور الذي أدّاه خلال التاريخ، إذ أن التصوف مدرسة فكرية مهمة لها مكانتها في المجتمع العراقي، وقد كان العراق ولا يزال يستقطب الكثير من العلماء وطلبة العلم وأصحاب الفكر الصوفي بكافة توجهاتهم.

وعلى الرغم من الظروف القاسية والصعبة التي مر بها العراق في مراحل تاريخه، إلا أنه لايزال تدرس فيه علوم الشريعة الإسلامية بكافة فروعها، إذ احتوى مناهج رصينة أقبل على تلقيها طلبة العلم، وبسببها نشأت عدد من مدارس التصوف في بلاد الرافدين، كالمدرسة البصرية[2] نسبة إلى الحسن البصري، والمدرسة البغدادية[3]، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أثر هذه المدارس، وعلى انتشارها في بلاد المشرق العربي والاسلامي.

---

[1] – ابن خلدون، **المقدمة**، ص ٤٦٧.

[2] – الدنيوري، عبدالله بن مسلم، ت:٢٧٦هـ، **المعارف**، تحقيق: ثروت عكاشه، (الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط ٢، القاهرة، ١٤١٢هـ – ١٩٩٢م)، ص ٥٣.

[3] – الدنيوري، **المصدر السابق**، ص ٥٤.

لقد كانت مدرسة العراق الصوفية من أهم وأكبر مدارس التصوف الإسلامي، وكان لها الدور الرائد بين الطرق الصوفية في البلدان الإسلامية الأخرى، فأغلب هذه المدارس تعود في جذورها إلى هذه المدرسة[1]. ويرجع سبب نشأة التصوف في العراق وازدهاره، إلى عاملين أساسيين:

أ: الزهد:

والزهد يعني في الفكر الصوفي بشكل النظر إلى الدنيا على أنها فانية زائلة، وأن الإنسان لن يخلد فيها، وهذا المبدأ هو المبدأ العام للشريعة الإسلامية في نظرتها إلى الدنيا[2].

وقد كان للعلماء من أهل العراق دور بارز في بيان صور الزهد، وإعطائه الصورة الواضحة من خلال تمثل مخافة الله وحب الآخرة والعمل لها، والإعراض عن الدنيا وحب الترفع عنها وعدم اللهاث خلف متاعها الزائل، والتمسك بحياة التقشف والخوف من فعل المعاصي والمنكرات[3].

ولقد عاش الزهاد في العراق حالة من الفزع والخوف لأن مشاهد يوم القيامة كانت شاخصة أمامهم، اتخذوا من البكاء وسيلة للتكفير عن المعاصي والذنوب، بالإضافة إلى محاسبة النفس عن كل صغيرة وكبيرة، فهذا الحسن البصري رحمه الله يرى" أن إصلاح المسلم يأتي بطريقة محاسبة النفس"[4].

لهذا فإن حركة الزهد في العراق كانت من البواكير الأولى لنشأة الفكر الصوفي في العراق وتبلوره، ويجد المتتبع لسير الزهاد والعُبَّاد والصالحين في القرون الهجرية الأولى نماذج عالية من السلوك في مدارج الصلاح، لذلك مدح عليه الصلاة والسلام خير القرون وأثنى عليها بالخيرية وغلبة الصلاح والتقوى على أهلها، وقد حددها عليه الصلاة والسلام وذكرها بأنها القرون الهجرية الثلاثة الأولى، فقال ﷺ (خَيْر القرون قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ يَكُونُ بَعْدَهُمْ، قَوْمٌ يَشْهَدُونَ وَلا يُسْتَشْهَدُونَ، وَيَخُونُونَ وَلا يُؤْتَمَنُونَ،

---

[1] – المحمدي، عبدالقادر موسى، **نشأة التصوف الإسلامي وتطوره في العراق**، (دار الشؤون الثقافية العامة، ط ١، بغداد، ٢٠١٣م)، ص ٧٣.

[2] – الحسينان، خالد بن عبدالرحمن، **هكذا كان الصالحون**، (مركز الفجر للإعلام، ط١، مصر، ٢٠٠٩)، ص ٤٦.

[3] – المحمدي، **نشأة التصوف الإسلامي وتطوره في العراق**، ص ٥٣.

[4] – النشار، **نشأة الفكر الفلسفي**، ص ١٣٧.

وَيَنْذُرُونَ وَلا يَفُونَ، وَيَظْهَرُ فِيهِمُ السِّمَنُ) [1]، وهذا دليل قاطع على أن الأفضلية للقرن الذي بعث فيه ﷺ، ثم جاء من بعده الخلفاء الراشدون الخمسة فكان المسلم في عصرهم يعيش كما عاش في عهد النبي عليه الصلاة والسلام من زهد وورع، وذلك لأن الخلفاء رضي الله عنهم تلقوا تعاليمهم من النبي مباشرة وهم تلاميذه الأوائل، وأن الزهد كان السمة البارزة في كافة البلاد الإسلامية آنذاك في بلاد المغرب والشام ومصر واليمن والعراق وغيرها من الأمصار الإسلامية.

ب: مكانة العراق الصوفية تاريخياً:

لا يخفى على أحد ما للعراق من مكانةٍ تاريخية، فقد كان فتح العراق ودخوله تحت مظلة الإسلام في عهد امير المؤمنين سيدنا عمر بن الخطاب ﷺ، حتى أصبح منطلقاً مهماً في الفتوحات الإسلامية للبلاد التي تلي العراق جغرافياً، كبلاد فارس وما وراء النهر إلى أقصى بلاد الشرق عند أطراف الصين، حتى أطلق عليه تسمية جديدة فقيال: "العراق جمجمة العرب، وكنز الإيمان ورمح الله في الأرض ومادة الأمصار"[2].

فالعراق يعتبر مركزاً علمياً مهماً، وقاعدة مهمة للفتوحات التي فتحها الإسلام في البلاد الأخرى في الشرق بعد فتح العراق، إضافةً لكونه موقع تأسيس الدولة العباسية.

ولهذا كان من البديهي أن يكون العراق المحطة الأولى للفكر الصوفي، وخصوصاً في بغداد والبصرة، وكان يقصدهما العلماء والزهاد من جميع أمصار المسلمين[3].

---

[1]- مسلم، **صحيح مسلم**، كتاب فضائل الصحابة، باب فضل الصحابة ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم،جـ ٤، ص ١٩٦٢،حديث(٢٥٣٣).

[2]– ابن خيثمة، أحمد بن زهير، ت: ٢٧٩هـ، **التاريخ الكبير**، تحقيق: صلاح فتحي، (٤ ج)، (دار الفاروق، ط ١، القاهرة، ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م)، جـ ٢، ص ٣٨٥.

[3]– عزيز السيد جاسم، **متصوفة بغداد**، (دار الشؤن الثقافية، ط ١، بغداد، ٢٠١٢م)، ص ٤٥.

وتشير بعض المصادر التاريخية إلى أن العراق عرف قديماً بالفكر الصوفي، وأن مصطلح (الصوفي) ظهر تاريخياً في بغداد والبصرة، وأُطلق على رجال من المسلمين في كانوا كثيري الزهد والورع، فأطلق عليهم مصطلح صوفي، وما بعد ذلك أطلق لقب الصوفي على كل عابد وزاهد[1].

فالعراق إذاً يعد عاصمة لنشأة التيارات والمذاهب الفكرية الإسلامية البارزة، وفي الوقت نفسه كان العراق وسيبقى عاصمة للفكر الصوفي الإسلامي بسبب الأحداث التي جرت على أرضه .

ثانياً: مدارس العراق الصوفية وأثرها:

لقد ظهر عدد من المدارس الصوفية في العراق، وكان لها الأثر الواضح في الفكر الصوفي عموماً، فمدارس العراق الصوفية هي جزء من تراث هذه الأمة التي قدمت للمسلمين والعالم علوماً ومعارف كثيرة، ومنها المدارس الآتية:

أ: المدرسة البصرية:

تعد هذه المدرسة من أوائل المدارس الصوفية في العراق، وتعتبر أيضاً من أوائل المدارس الصوفية في العالم الإسلامي، وقيل أن تسميتها استمدت من اسم الإمام الحسن البصري رحمه الله المتوفى: ١١٠هـ.

وقد سلكت هذه المدرسة ومنذ نشوئها طريق الزهد والورع والاهتمام بطلاب العلم وتدريسهم، ودعت إلى تزكية النفس والنظر إلى الدنيا وملذاتها على أنها زائلة، ذلك أن زمن الإمام الحسن البصري رحمه الله، كان قريباً من زمن الصحابة رضي الله عنهم، وكان يسير على منهجهم وينهل من منهلهم حتى أصبح لهذه المدرسة الكثير من طلبة العلم، وكان لهم الدور البارز في نشر الدين الإسلامي وتعاليمه[2].

ويتضح مما سبق أن المدرسة البصرية كانت تهتم بطلاب العلم وبتعليمهم وترشدهم إلى ما فيه خير وإصلاح للمجتمع، وأن هذه المدرسة العريقة وصلت إلى الكثير من البلدان الإسلامية.

---

[1] – عزيز السيد جاسم، **متصوفة بغداد**، ص ٤٦.

[2] – عبدالله عبد العزيز، **التصوف العراقي ومدارسه وأثره على المشرق**، (الجامعة العراقية، د. ط، بغداد، ٢٠١٠م)، ص ٦٠.

أما بالنسبة للأثر الذي تركته هذه المدرسة على العالم الإسلامي، فقد تركت أثراً إيجابياً لأن كل المدارس الصوفية تعود إلى الحسن البصري رحمه الله، كون هذه الطرق اعتمدت طريق الزهد والورع وهذا أن دل على شيء إنما يدل على مكانة هذه المدرسة لدى المسلمين[1].

والمدرسة البصرية لا تعتمد على الزهد والورع وترك الدنيا فحسب، وإنما تعتمد على باقي العلوم الشرعية، ولذلك خرج علماء كبار من هذه المدرسة، تربوا على الزهد والورع وعلى يد مشايخهم الذين تنتهي طرقهم للإمام الحسن البصري رحمه الله[2].

ب: المدرسة البغدادية:

تعد مدينة بغداد صاحبة المكانة والمنزلة الرفيعة في قلوب المسلمين لأنها كانت عاصمة للبلاد الإسلامية أيام الدولة العباسية، أي عاصمة الخلافة العباسية في العراق، وما من علم من العلوم الشرعية وغيرها، إلا ولبغداد دور فيه، وبالتالي كان لها دور مهمٌ في نشأة الفكر الصوفي .

وقد نشأت هذه المدرسة الصوفية في هذه المدينة العريقة، وكانت ترشد الناس إلى الفضائل ومكارم الأخلاق وانشراح القلوب لله تعالى، بالإضافة إلى تربية الروح تربية صحيحة قائمة على صفاء النفس وتزكيتها وترك ملذات الدنيا[3].

إن مدرسة بغداد الصوفية من أهم وأوسع مدارس الفكر الصوفي على صعيد العالم الإسلامي، ولهذا تصدر أغلب صوفية المدرسة البغدادية وغيرهم من المدارس الأخرى كتب الطبقات وكتب التاريخ الإسلامي وغيرها[4].

ومن أوائل من أسس هذه المدرسة هو الشيخ معروف الكرخي رحمه الله المتوفى سنة ٢٠٠هـ ، ومما ذكره ابن الجوزي رحمه الله عن سيرته: "كان معروف الكرخي رحمه الله قاعداً على نهر دجلة في بغداد، إذ مر

---

[1] – النابلسي، عبد الغني بن اسماعيل، ت: ٩٨١هـ ، **الحديقة الندية في شرح الطريقة المحمدية والسيرة الأحمدية**، (٥ ج)، (دار الكتب العلمية ،ط ١، بيروت، ١٤٣٢هـ – ٢٠١١م)، جـ ١، ص ٥٤.

[2] – السامرائي، يونس ابراهيم، **الطرق الصوفية**، (دار المعارف، ط ١، بغداد، ٢٠٠٩م)، ص ٧٨.

[3] – ابراهيم محمد، **تاريخ متصوفة بغداد**، (مكتبة الشرق الجديدة، ط ١، بغداد، ٢٠٠٨م)، ص ٤.

[4] – المحمدي، **نشأة التصوف الإسلامي وتطوره في العراق**، ص ٧٣، بتصرف يسير.

بنا أناس في زورق يعصون الله ويشربون الخمر، فقال له أصحابه أما ترى أن هؤلاء في هذا الماء يعصون الله ادع عليهم، فرفع يده إلى السماء وقال إلهي وسيدي أسألك أن تفرحهم في الجنة كما فرحتهم في الدنيا، فقال له أصحابه إنما قلنا لك ادع الله عليهم لم نقل لك ادع الله لهم، فقال إذا فرحهم في الآخرة تاب عليهم في الدنيا ولم يضركم بشيء"[1].

وهذه دلالة واضحة على ما يحمله علماء التصوف من دعوة وفكر وسطي، وإرشاد روحي تربوي يهتم بالأسلوب اللين مع الناس دون تعصب وتشدد.

قال معروف الكرخي رحمه الله إن الفكر الصوفي هو "الأخذ بالحقائق واليأس مما في أيدي الخلائق"[2].

أثر المدرسة البغدادية في تنقية التصوف:

أما الأثر الذي تركته المدرسة البغدادية على المسلمين في العالم الإسلامي فقد كان كبيراً وواضحاً في المجتمع الإسلامي في العراق، وفي بغداد خصوصاً، وفي المجتمعات الإسلامية في العالم الإسلامي عموماً، إذ أن مدينةً مثل بغداد قد تمتعت بخصوصية كبيرة لأنها كانت عاصمة العالم الإسلامي، ولأنها عريقة بالحضارة والعلوم الشرعية، بالإضافة إلى الشعر والأدب، فهذه المكانة والخصوصية جعلتها مركزاً علمياً للتصوف الإسلامي[3].

وقد امتازت المدرسة البغدادية بسمات وخصائص جوهرية، أثرت من خلالها على المدارس الصوفية الأخرى في العالم الإسلامي، لأن طلابها كانوا يعملوا على تنقية الفكر الصوفي من الأفكار المنحرفة وتصفيته من الشذوذ والغلو في جميع أشكاله، وهذا فضل من الله أن هيأ رجالاً لحفظ هذا الفكر من التأويلات المنحرفة.

---

[1] – ابن القيم الجوزية، **صفوة الصفوة**، ص ٧٢.

[2] – القشيري، **الرسالة القشيرية**، جـ ١، ص ١٢٦.

[3] - الدينوري، عبدالله بن مسلم، ت: ٢٧٦هـ، **المعارف**، تحقيق: ثروت عكاشة، (الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط ٢، القاهرة، ١٤١٢هـ – ١٩٩٢م) ص ٣٣.

كما تصدى علماء التصوف في المدرسة البغدادية لمهمة إصلاح المجتمع الإسلامي عن طريق نشر الفضائل الكريمة بين الناس والدعوة إلى الله، والتحلي بمكارم الأخلاق، لهذا التزمت المدرسة البغدادية بالكتاب والسنة وتميزت بالجمع بين الحقيقة والشريعة منهاجاً لها[1].

ويرى الباحث أن المدرستين البصرية والبغدادية الصوفية قد ساهمتا في تثبيت القواعد الصوفية على الأسس الروحية السليمة والنقية، وفي ترسيخ التوجهات السلوكية الصوفية الملتزمة بالاعتدال والقائمة على هدي ورشاد شرعيين، لأن هدفهما الأول والأخير الاستظلال بلواء القرآن الكريم والسنة المطهرة.

[1] – الطوسي، عبدالله بن علي، ت: ٣٧٨هـ، **اللمع**، تحقيق: عبد الحليم محمود، (دار الكتب الحديثة، ط ١، مصر، ١٣٨٠هـ – ١٩٦٠م)، ص ٦.

المطلب الثاني: الطريقة القادرية.

تعد الطريقة القادرية من أوائل الطرق الصوفية في العراق، ولها انتشار واسع في البلاد الإسلامية، ولها أتباع كثر من المسلمين في أنحاء العالم، وأصل هذه الطريقة وانطلاقها كان من العراق من مدينة بغداد، وتنسب إلى مؤسسها الشيخ والإمام عبد القادر الكيلاني أو الجيلاني رحمه الله[1].

أولاً: منهج الشيخ عبد القادر الكيلاني التربوي:

أما دور الشيخ عبد القادر الكيلاني التربوي فقد تمثل في أنه جَدَّدَ الدعوة للإسلام وبين صورته الحقيقية، وكان رحمه الله إذا جلس يؤثر في الحضور لقوة ذكائه، وقد سلك في التربية الروحية لطلابه التي بينت لهم طريق معرفة الحقوق وتهذيب الأخلاق والقلوب بتوحيد الله تحت ظل الشريعة الغراء[2].

وأما منهجه الفكري في فهم الإسلام فهو مستمد من الإتباع والتأسي بسيد الخلق عليه الصلاة والسلام، وكان منهجه منهجاً معتدلاً مستمداً من الكتاب والسنة، مهتماً بالتزكية النفسية وتصحيح الأفكار الضالة التي يدخلها الجهلة في أحكام الدين، ولهذا اعتبر عبدالقادر الكيلاني من المجددين للفكر الإسلامي الوسطي في عصره [3].

---

[1] – هو: أبو محمد، محيي الدين الجيلاني، أو الكيلاني، أو الجيلي، عبد القادر بن موسى بن عبد الله بن جنكي دووست الحسني، مؤسس الطريقة القادرية، من كبار الزهاد والعباد، ولد رحمه الله في جيلان سنة ٤٧٠ هـ ، وتوفي في ٥٦١ هـ ، وانتقل إلى بغداد شاباً، سنة ٤٨٨ هـ، ويتصل نسبه من والده بسيدنا الحسن بن علي رضي الله عنهما، ومن جهة أمه فيتصل نسبه سيدنا الحسين بن علي رضي الله عنهما، فاتصل بشيوخ العلم والتصوف، وبرع في أساليب الوعظ، وتفقه، وسمع الحديث، وقرأ الأدب، درس على كبار علماء بغداد ثم نشأ وترعرع في بغداد وكان حنبلي المذهب، كان عالماً قوي الإيمان، وقوي العلم والدعوة والمعرفة بالله تعالى، سلك طريق الزهد والورع وكان معتدلاً بين الشدة واللين، وأشهر كتبه التي ألفها، (الغنية لطالب طريق الحق) و (الفتح الرباني) و (فتوح الغيب) و (الفيوضات الربانية)، لقبه أتباعه: بباز الله الأشهب، ومن ألقابه: تاج العارفين، محي الدين، قطب بغداد: انظر: الذهبي، محمد بن أحمد، ت: ٧٤٨هـ، **سير أعلام النبلاء**، (٢٥ ج)، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، (مؤسسة الرسالة، ط ٣، د. م، ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م)، جـ ٢٠، ص ٤٣٩، وانظر: الشامي، محمد بن يوسف، ت:٩٤٢هـ ، **سبل الهدى والرشاد**، (١٢ ج)، تحقيق: عادل عبد الموجود، (دار الكتب العلمية، ط ١، بيروت، ١٤١٤هـ – ١٩٩٣م)، جـ ٧، ص ٢٨٢.

[2] – الشنطوفي، علي بن يوسف، **بهجة الأسرار ومعدن الأنوار**، تحقيق: جمال الدين الكيلاني، (المنظمة المغربية للتربية والثقافة، ط ٢، المغرب، ٢٠١٣م)، ص ٨٥.

[3] - عزيز السيد جاسم، **متصوفة بغداد**، ص ١٢٣.

ثانياً: أسس الطريقة القادرية:

تعد أسس الطريقة القادرية من الأسس المهمة التي سارت عليها الطرق الصوفية الأخرى في العالم الإسلامي واتخذتها منهجاً لها، ومن المتعارف عليه عند أهل السير، أن الشيخ الكيلاني رحمه الله لم يؤسس الطريقة الصوفية في زمانه، بل كان رحمه الله من الدعاة المصلحين، لما يحمل من فكر فيه إصلاح للمجتمع، وهو صاحب فكر علمي تربوي، وقد تطورت الطريقة القادرية ثم تبلورت بعد وفاته على يد طلابه وأبنائه، واتخذت من منهجه وعلمه وإرشاده طريقةً لها [1].

في بدايات حياة الشيخ عبدالقادر الكيلاني رحمه الله لم تعرف الطريقة القادرية طريقه صوفية، ولكن طلاب العلم من الذين درسوا عنده، طوَّروا هذا المسلك واتخذوه منهجاً لهم، حتى أصبحت فيما بعد تعرف بالطريقة القادرية[2].

وقد اعتمدت الطريقة القادرية على أسس عدة مهمة مأخوذه من الشيخ عبد القادر الكيلاني، ومنها:

أ- على المسلم أن يكون ملتزماً بالقرآن والسنة، وأن يكون صادقاً مع ربه ونفسه ومع الناس، والأولى به ترك الوعد حتى لا يقع في محظور ما، لأن الوعد يترتب عليه الكذب، وعدم الصدق مع اللهﷻ إن لم يلتزم به[3].

ب- الإبتعاد عن إيذاء المسلمين وغير المسلمين، سواء كان هذا الإيذاء سراً أو علناً، لأن هذه الصفات هي صفات المسلم التي لا بد أن يتمثل بها[4].

ج- يجب اجتناب الكبائر ومجاهدة النفس في ترك الصغائر [5]،كما قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَجۡتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَۚ﴾ [النجم: ٣٢].

---

[1] - المحمدي، **نشأة التصوف الإسلامي وتطوره في العراق**، ص ١٩٢.

[2] - المحمدي، **المرجع السابق**، ص١٩٧.

[3] - الكيلاني، عبدالقادر بن موسى، ت: ٥٧١ هـ ، **فتوح الغيب**، (دار المصطفى، ط ١، مصر، ١٣٨٠هـ - ١٩٦٠م)، ص ٧١.

[4] - الكيلاني، **المصدر السابق**، ص ١٧٢.

[5] - الكيلاني، **المصدر نفسه**، ص ١٧٤.

إذاً يُستلخص من هذا: أن هذه القيم الروحية تربي الإنسان على الفضائل وترك الرذائل، وذلك من خلال تعويد القلب والنفس عليها، وهذا هو طريق الصالحين السالكين لطريق الحق واتباع هدي الشريعة الغراء تحت ظل الكتاب والسنة المطهرة.

ثالثاً: دور الطريقة القادرية في تربية المجتمع على المنهج الإسلامي الوسطي المعتدل:

إن الطريقة القادرية هي جزء من تراث الفكر الصوفي في العراق على وجه الخصوص، وبقية البلدان الأخرى عموماً، وقد انتسب الكثير من الناس أو نسب نفسه إلى هذه الطريقة والبعض لم يلتزم فكرها ومبادئها، والبعض منهم قد شوه صورتها وابتعد عن جادة الحق وعن الأسس التي سارت عليها هذه الطريقة، فهم لا يمثلونها، وغايتهم تشويه فكرها الحقيقي، لأن الطريقة القادرية الصوفية هي طريقة سلوكية تهتم بالقضايا التربوية وتصحيح الأفكار الضالة التي ينسبها عامة الناس إلى الفكر الإسلامي[١].

ولقد ساهمت الطريقة القادرية في بناء المجتمع وإصلاحه من خلال تهذيب النفس المسلمة[٢]، مستمدً فكرها من مبادىء وتعاليم الشريعة الإسلامية السمحة وكان لها دور مهم في إيضاح العقيدة الإسلامية بالاعتماد على منهج الصحابة الكرام، ومنهج السلف الصالح، وذلك من خلال القرآن الكريم والسنة المطهرة، وعن طريق حث الناس على الالتزام بالصلاة والذكر[٣]، ويبدو للباحث أن الطريقة القادرية تركت أثراً مهماً لدى فئات كثيرة في المجتمع العراقي، وعززت في نفوسهم المفاهيم الدينية وأسهمت في البناء الفكري السليم للفرد ، حتى يكون مؤمناً صالحاً يهتدي بهدي الشريعة.

---

[١]- التل، عمر سليم، **متصوفة بغداد**، (دار المأمون، ط ١، عمان، ٢٠٠٩م)، ص ٨٣.

[٢]- الشنطوفي، **بهجة الأسرار ومعدن الأنوار**، ص ٨٤.

[٣]- الشنطوفي، **المرجع السابق**، ٨٧.

المطلب الثالث: الطريقة الرفاعية.

تعتبر الطريقة الرفاعية في العراق إحدى الطرق الصوفية المهمة، لما لها من وجود واسع داخله وفي العالم الإسلامي، وتحمل هذه الطريقة الفكر الوسطي لإرشاد الناس وإصلاحهم، والمؤسس لها هو الشيخ والإمام السيد أحمد الرفاعي[1].

أولاً: منهج الشيخ أحمد الرفاعي التربوي:

تقوم الطريقة الرفاعية على العمل بمقتضى ظاهر الكتاب والسنة، ثم أخذ النفس بالمجاهدة والمكابدة، والإكثار من الذكر، وقراءة الورد، وذلك وفق إرشادات الشيخ وتوجيهاته، مع ضرورة التسليم والانقياد له والانصياع لأوامره، وعلى المريد أن يتمسك بالكتاب والسنة ثم بتعليمات الشيخ، ويعمل بما قاله من الالتزام بالسنة، وموافقة السلف الصالح على حالهم، ولباس ثوب التعرية من الدنيا والنفس، وتحمل البلاء، ولبس الوقار واجتناب الجفاء[2].

ولقد سلك الإمام الرفاعي كغيره من العلماء العاملين في تعليم الناس أمور دينهم، وكان مجداً في الوعظ والإرشاد وعقد حلقات العلم، حتى كان نبراساً يستضيء به الناس فيما ينفعهم، وكان كثيراً ما يذكر الناس بهدي الرسول عليه الصلاة والسلام وأسرار القرآن العظيم[3].

---

[1] – هو الشيخ والعالم الزاهد أحمد بن أبي الحسن بن سلطان علي، المكنى بأبي العباس الرفاعي، ولد الإمام الرفاعي رحمه الله في منطقة أم عبيدة ما بين واسط والبصرة في العراق، سنة ٥٢١هـ، ولما بلغ من عمره سبع سنوات، توفي والده وتربى عند خاله الشيخ منصور البطائحي، ثم انتقل هو ووالدته واخوته إلى واسط، درس على يد الشيخ أبي الفضل الواسطي ثم بدأ بتعليمه وإرشاده، وكان من العباد الزاهدين في أوائل حياته ثم أصبح فقيهاً وعالماً من الأمة وكان مجلسه يمتلئ بالناس، وقد شق طريقه بقوله: " طريقي دين بلا بدعة، انظر: ابن فضل العمري، أحمد بن يحيى، ت: ٧٤٩هـ، **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار**،(٢٧ج)، (المجمع الثقافي، ط١، أبو ظبي، ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٢م)، جـ ٨، ص ٤١٦، وانظر: الرفاعي، أحمد بن علي، ت: ٥٢١هـ، **حالة أهل الحقيقة مع الله**، (دار الربيع، ط ١، سوريا، ١٣٨٣هـ – ١٩٦٣م)، ص ٩.

[2] - السامرائي، يونس إبراهيم، **السيد أحمد الرفاعي حياته وآثاره**، (مطبعة الرشاد، ط ١، بغداد، ١٩٨٠م)، ص ٣١.

[3] - ابن الملقن، عمر بن علي، ت: ٨٠٤هـ، **طبقات الأولياء**، تحقيق: نور الدين شريبة، (مكتبة الخانجي، ط ٢، القاهرة، ١٤١٥هـ – ١٩٩٤م) ص ٩٦.

ولقد جعل الإمام الرفاعي رحمه الله حياته في خدمة الدين الحنيف وفي تعليمه للناس، وتمسكه بكتاب الله وسنة نبيه عليه الصلاة والسلام، لذلك أصبح له أتباع وطلاب علم كثر[1].

ثانياً: انتشار الطريقة:

إن مفهوم الطريقة ومقصدها كما بينها العلماء، هو أن يصل المسلم إلى مرضات الله بمنهج وسطي قائم على الاعتدال دون إفراط وتفريط.

لهذا فإن الطريقة الرفاعية لها انتشار واسع في العراق على وجه الخصوص وفي العالم الإسلامي على وجه العموم، وهي حالها حال الطريقة القادرية لم تعرف في حياة الإمام بالطريقة، وإنما طلابه وأحفاده من بعده قد سلكوا منهجه وجعلوا من طريقته ومنهجه قدوةً لهم، وسلكوا في فهمهم للإسلام وفي منهجهم سلوك الإمام الرفاعي[2].

وتعد الطريقة الرفاعية جزءاً من مدرسة بغداد الصوفية، ويعود انتشارها في العالم الإسلامي، إلى الدعاة الذي انتسبوا لها ولفكرهم الإسلامي الوسطي وأسلوبهم الحكيم في الدعوة، ولما لها من قبول لدى المسلمين، ولم يقتصر دعاة الرفاعية في طريقتهم على الفكر الصوفي فحسب، بل كانوا علماء بكافة العلوم الشرعية[3].

ثالثاً: أهم الأسس التي تقوم عليها الطريقة الرفاعية:

يعد فكر الطريقة الرفاعية من مرتكزات الفكر الصوفي لما لها من انسجام مع واقع المسلمين، وقد وُضعت أسس وثوابت تقوم عليها الطريقة في سبيل نشر فكرها الصوفي الوسطي المعتدل المستنبط من نصوص الشريعة، ومن تلك الأسس:

---

[1]- الصفدي، صلاح الدين خليل، ت: ٧٦٤هـ، **الوافي بالوفيات**، (٣٠ج) (دار احياء التراث، ط ١، ٢٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م)، ج ٧، ص ٢١٩.

[2]- الواسطي، عبد الرحمن بن احمد، ت: ٧٠٤هـ، **ترياق المحبين**، (دار البهية، ط ١، مصر، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م)، ص ١٧.

[3]- المِحمدِي، **نشأة التصوف الإسلامي وتطوره في العراق**، ص ١٢٣.

أ- التمسك بعقيدة التوحيد لله عز وجل وتنزيهه في ذاته وصفاته وأسمائه[1].

ب- حث طلاب العلم والمريدين على التمسك بالكتاب والسنة، وذلك بأخذ الأحكام الشرعية والعمل بها من أوامر ونواهي، حتى لا يقع المسلم في محظور ما[2].

جـ- حث المسلمين على المحبة الصادقة للرسول عليه الصلاة والسلام، ولآل بيته الأطهار وأصحابه الأبرار، لأن محبة الرسول فوق كل اعتبار، وهي جزء من إيمان المسلم الصادق[3]، كما أن محبة الرسول عليه الصلاة والسلام وآل بيته الأطهار وأصحابه الأبرار هي واجبة على كل مسلم، لأن هذه المحبة هي اللبنة الأولى للفكر الصوفي الصحيح.

د- ترغيب الناس وحثهم على ذكر الله تعالى، وعلى الصلاة والسلام على رسوله ﷺ، لأن حلقات الذكر والتسبيح جزء لا يتجزأ من أسس الطريقة[4].

والحقيقة أن الأسس التي تعتمد عليها الطريقة الرفاعية، هي أسس تنبثق من قوعد الشريعة الغراء، ولا تخالف الشرع الحنيف بكل تعاليمه، لأنها أسس روحية غايتها تزكية النفس البشرية وتصفيتها من الذنوب والشوائب.

رابعاً: دور الطريقة الرفاعية في بناء وإصلاح المجتمع:

تعتمد الطريقة الرفاعية في بناء وإصلاح المجتمع على تقويم سلوك الإنسان، والسير في طرق الصلاح وذلك بالاعتماد على القواعد الأصيلة المبنية على الكتاب والسنة.

وقد ذكر عن الإمام الرفاعي أنه قال : " طريقي دين بلا بدعة، وعمل بلا كسل، ونية بلا فساد، وصدق بلا كذب، وحال بلا رياء " [5].

---

[1] - الرفاعي، محمد بن حسن، **الطريقة الرفاعية**، (دار المصطفى، ط ١، القاهرة، ١٩٨٥م)، ص ٨.

[2] - الرفاعي، **المرجع السابق**، ص٩.

[3] - الرفاعي، **المرجع نفسه**، ص ١٠.

[4] - الراوي، إبراهيم بن محمد، **السير والمساعي**، (دار التقوى، ط ١، دمشق، ٢٠٠٦م)، ص ٢١.

[5] - ابن فضل العمري، **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار**، جـ ٨،ص ٤١٦.

إن كلام السيد الرفاعي رحمه الله يمثل الدين الوسطي المتمسك بالكتاب والسنة المطهرة، ويركز على الابتعاد عن البدع وجعل النية خالصةً لوجه الله تعالى خالية من الكذب والافتراءات.

ولقد عملت الطريقة الرفاعية في فترة السبعينات من القرن الماضي على تصفية التصوف من الشوائب وإرشاد المجتمع وتوجيهه إلى الطريق الصحيح وفق المنهج الرباني[1].

وقد اتخذت الطريقة الرفاعية من التكايا والزوايا مركزاً للإرشاد وتوجيه الناس في التربية الروحية، بالإضافة إلى تأسيسها المدارس والمعاهد الدينية في العراق والإنفاق عليها.

وقد كانت التكايا التي تنسب إلى الطريقة الرفاعية مجلساً لتعليم الفقه وتعليم علوم الشريعة بكل موضوعاتها، كما كانت تعلم أصول التلاوة، وعملت على جمع الناس في طاعة الله، وتهذيب النفوس والتمسك بالوسطية والاعتدال، فكانت محلاً لحل مشاكل الناس وإصلاح ذات البين، وكانت تحرص على إحياء ذكرى المولد النبوي لتذكير الناس بالسيرة العطرة للنبي ﷺ وتعطير الأرواح في مدحه، وتعليم الناس شمائله وتربية المريدين بالالتزام والأذكار التي وردت في البراهين، وعملت الطريقة الرفاعية أيضاً على حث الناس على التداوي من كثير من الأمراض الجسدية والروحية بالرقية الشرعية، وكان لها الدور في نشر العلم الشرعي في القرى والأرياف التي يصعب الوصول إليها في تلك الفترة، وكان من نهجها أيضاً عدم تكفير المسلمين، والسعي لجمع شمل الأمة[2].

إذاً فلقد اعتمدت الطريقة الرفاعية الإصلاح الروحي للناس وحل المشاكل الإجتماعية سبيلاً، وسعت لتعليمهم العلوم الشرعية، والتزمت منهج الاعتدال والحكمة في التعامل مع المجتمع بالاعتماد على الكتاب والسنة النبوية، وكان انطلاق دعوتها من التكايا والزوايا، لأن التكايا والزايا هي أمكنة للعبادة وللذكر،

---

[1] – مقابلة شخصية، مع السيد بدر السيد صابر السيد عبدالعزيز آل الشيخ خلف الرفاعي، نقيب السادة الرفاعية الأشراف في العراق، بتاريخ ٢٠٢١/٣/٢٧، بخصوص الطريقة الرفاعية ودورها في المجتمع العراقي، وبحضور ولده السيد عبدالرحمن الرفاعي في مدينة تكريت، في قرية السادة الرفاعية، عند منزله .

[2] – مقابلة شخصية، مع السيد الشيخ مصطفى السيد صابر السيد عبدالعزيز آل الشيخ خلف الرفاعي، شيخ الطريقة الرفاعية في مدينة تكريت وأحد مرشدي الطريقة الرفاعية في العراق، بتاريخ ٢٠٢١/٦/٢، بخصوص دور التكايا والزوايا في المجتمع العراقي، مدينة تكريت، في رحاب التكية الرفاعية، قرية الدبسة.

وملتقى الناس يتم فيه توجيههم وإرشادهم للطريق المستقيم، وهي خالية من الشعوذة كما ينسب إليها بعض المغرضين وتركت الأثر الإصلاحي في المجتمع في فترة الدراسة وإلى اليوم الراهن.

ويرى الباحث أن دور الطريقة الرفاعية الوسطي المعتدل، شأنه شأن أدوار سائر الطرق التي تشاركها المنهج الفكري والدعوي، ينبغي أن يزداد ريادةً وتأثيراً في المجتمع العراقي من خلال الإرشاد والتوجيه، وبأساليب عقلانية حكيمة، وبالاستفادة من الرسائل الحديثة المتوفرة في العصر الراهن مع تقدم العلم والتكنولوجيا، ويدرك الباحث أن دورها ذاك ليس بالسهل الهين في ضوء الفساد الذي تبثه الفضائيات الهدامة ووسائل الإعلام الهابطة، ولكن التمسك بمنهج الكتاب والسنة القويم القائم على الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة، كفيل بإحداث تأثير إيجابي لهذه الاتجاهات الفكرية النقية كالطريقة الرفاعية والقادرية وغيرها من حملة الدعوة الإسلامية، والتي تعمل لإصلاح المجتمع، ورد الهجمات اللاأخلاقية عنه، ولا بد في المستقبل أن تأخذ دورها الحقيقي في إرشاد الناس وتوجيههم، إن هي التزمت بمنهاج الله تعالى في الدعوة وبالقواعد والأساليب الوسطية الحكيمة المستمدة من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة.

المبحث الثالث: بيان دور التصوف ومقاماته وموقف الفكر الإسلامي منه.

المطلب الأول: دور التصوف التربوي وأثره في المجتمع العراقي.

يعد الفكر الصوفي من الأفكار المهمة في تراث وتاريخ الأمة الإسلامية، إذ كان له الدور المؤثر في الحياة الاجتماعية لدى كثير من المسلمين، حتى أصبح جزءاً من سلوك من أعتقد به وسار في ركبه، وقد ساهم هذا الفكر في المحافظة على الكثير من المبادىء والأخلاق التي جاء بها الإسلام.

والتصوف من حيث المبدأ، فكر سلوكي يطهر النفس من العادات السيئة، ويدعو إلى الفضيلة ومكارم الأخلاق، ومنهجه مستنبط من أصول الكتاب والسنة، فالإسلام هو المنهج الرباني الذي يريد للإنسان أن يكون صالحاً، يؤثر في غيره ويكون عنصراً صالحاً وفق مبادىء الشريعة الإسلامية،

قال تعالى: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا﴾ [الفرقان:٦٣].

وقال تعالى:

﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمۡ عَنِ ٱلۡمَضَاجِعِ يَدۡعُونَ رَبَّهُمۡ خَوۡفٗا وَطَمَعٗا وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ﴾ [السجدة: ١٦].

والآيات التي تدعو إلى صلاح الفرد المسلم وبناء شخصيته على التقوى كثيرة، وهي أدلة واضحة على اهتمام القرآن بالتربية الروحية، وإرشاد النفس البشرية إلى طاعة الله تعالى.

التصوف منهج إسلامي تربوي:

يعد الفكر الصوفي فكراً إسلامياً تربوياً أصيلاً، وقد أصَّله القرآن بنصوصه المعتدلة المتوازنة التي تربي المسلم على الاعتدال، وبالحث على التربية للنفس بتزكيتها.

قال تعالى: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴾ [الشمس: ٩ – ١٠]،وقال كذلك: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفۡسُ ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ ۝٢٧ ٱرۡجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةٗ مَّرۡضِيَّةٗ ﴾ [الفجر: ٢٧ – ٢٨]

والفكر الصوفي يختلف عن غيره في أسلوب التغيير والدعوة إلى الله، فبدلاً من استخدام القوة والعنف وسيلة للرد على الآخر وإقصائه، يركز على استخدام العبودية لله تعالى وسيلة لإصلاح الذات وتخليصها من الشهوات والملذات في الحياة الدنيا، فالمؤمن عندما يحقق في نفسه العبودية لله تعالى، فهو على خير كثير، وليس له أكثر مما كتبه الله له .

ولهذا فإن أصحاب الفكر الصوفي كثيراً ما يكررون نصائحهم وإرشاداتهم الروحية بأن يكون الإنسان كالميت بين يدي المغسل، يسلم أمره لله تعالى فهو أولى بالعناية به والاهتمام بمصالحه [١].

فالنصح والإرشاد قد يعزز من ثقافة المسلم ويجعله يسلك الطريق الصحيح القائم على الكتاب والسنة المطهرة.

وقد ذكر القشيري رحمه الله جملة أخلاق لخصها بالتوبة، والتقوى، والزهد، والورع، والخوف، والرجاء، والجوع، ومخالفة النفس، وترك الشهوات والحسد والغيبة، والقناعة، والتوكل، والصدق، والجود، والسخاء والشكر، والصبر، والاستقامة، والإرادة، والإخلاص وغيرها [٢].

ومما ذكره الإمام القشيري نفهم اهتمام العلماء من حملة الفكر الإسلامي، سواء الفكر الصوفي أو غيره من تيارات الفكر الإسلامي الوسطي الشامل، نفهم اهتمامهم لكل جانب من جوانب التصوف، وكيف

---

[١] – التكريتي، **اتجاهات فكرية معاصرة**، ص ٣٠.

[٢] – القشيري، **الرسالة القشيرية**، جـ ١، ص ١٧.

كان من الواجب عليهم بذل الجهد للتخلق بما يمكن للبشر أن يتخلقوا به من الأخلاق الإلهية التي تتمثل في التقوى والزهد والورع، ومن هنا جعلوا الاقتداء بأخلاق النبي ﷺ غايتهم، لأنه ﷺ أسمى نموذج للكمال البشري وخير من يتأسى به.

فهذا عبد الله بن المبارك رحمه الله، الذي استطاع بفضل سلوكه العملي الرائد، وبسلوكه القويم أن يصل إلى فهم الحياة الروحية في الإسلام فهماً صحيحاً، فكان إلى جانب زهده وورعه المعروف، وكثرة تمسكه بالعبادات، كان مجداً في عمله إلى جانب عبادته، فقد قال له مرة الزاهد الكبير، الفُضَيْل بن عياض كما ذكر ذلك الخطيب البغدادي رحمه الله: " يا ابن المبارك، أنت تأمرنا بالزهد والتقلل والبلغة، ونراك تأتي بالبضائع من بلاد خراسان إلى البيت الحرام، وكيف ذاك ؟ فقال: إنما أفعل ذلك لأصون ماء وجهي، وأكرم به عرضي، وأستعين به على طاعة ربي، لا أرى لله حقاً إلا سارعت إليه حتى أقوم به، فقال الفضيل: يا ابن المبارك، ما أحسن ذا إن تم ذا"[1] .

ولذلك فإن الفكر الصوفي في الإسلام يقدم نماذج من مبادئ تربوية سلوكية يحتاجها المجتمع الإسلامي في كل حين، بل إنه يمثل الصفاء الروحي والإيمان العميق، وكل ما يبث التسامح بين الخلق، والتي تعتبر قيم إيمانية روحية مستنبطه من مفاهيم القران الكريم والسنة المطهرة، وهو ما يؤدي إلى صلاح المجتمعات، ومن خلال هذه المعاني الروحية والأخلاقية في التربية، وقد ترك هذ الفكر أثراً إيجابياً في نفوس الناس، إذ استطاع أن يترك فيهم منهجاً معتدلاً قائماً على الوسطية والاعتدال، بالإضافة إلى حب الآخرين والتعايش السلمي في المجتمع.

[1] – الخطيب البغدادي، **تاريخ بغداد**، جـ ١٠، ص ١٦٦، ١٦١.

المطلب الثاني: مقامات التصوف.

من مزايا الفكر الصوفي أن له مقامات عدة مستنبطة من مبادىء الإسلام، ويحسن هنا أن يسلط الباحث الضوء على تلك المقامات:

أولاً: مقام الزهد:

يعتبر الزهد من المقامات المهمة للإنسان، وهو التوقف عن المعاصي، والمجاهدة في ترك الشهوات، والتمسك بذكر الله والانشغال به، ولقد رغب القرآن الكريم في الزهد والإعراض عن مغريات الحياة الدنيا، وكذلك لقوله تعالى:

﴿يَٰقَوۡمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا مَتَٰعٞ وَإِنَّ ٱلۡأٓخِرَةَ هِيَ دَارُ ٱلۡقَرَارِ﴾ [غافر:٣٩].

ولقد وردت آيات عدة تشير إلى معاني الزهد، ووردت لفظة (الزهد) في قوله تعالى: ﴿وَشَرَوۡهُ بِثَمَنِۭ بَخۡسٖ دَرَٰهِمَ مَعۡدُودَةٖ وَكَانُواْ فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ﴾ [يوسف: ٢٠].

يقول الطوسي رحمه الله : " إن مقام الزهد مقام شريف وهو أساس الأحوال الرضية والمراتب السنية، وهو أول قدم القاصدين إلى الله عز وجل ،والمنقطعين إلى الله ،والراضين عن الله والمتوكلين على الله تعالى ،فمن لم يحكم أساسه فى الزهد لم يصح له شيء مما بعده، لأن حب الدنيا رأس كل خطيئة، والزهد في الدنيا رأس كل خير وطاعة "[1].

وقد عرف العلماء الزهد بعدة تعريفات ومنها:

الزهد: هو ترك الحياة الدنيا، بما فيها من ملذات، وتعلق القلوب بالله[2].

[1] – الطوسي، **اللُّمع**، ص ٧٢.

[2] – ابن فورك، محمد بن الحسن، ت: ٤٠٦هـ، **الإبانة عن طرق القاصدين**، (دار الكتب العلمية، ط ٢، بيروت، ١٣٣٠هـ – ٢٠١٩م)، ص ٥٢.

وقال سفيان الثوري رحمه الله " الزهد في الدنيا: قصر الأمل، ليس بأكل الغليظ[1] ولا بلبس العباءة "[2].

إذاً الزهد فيما يراه الباحث هو تجرد النفس عن الهوى، والإقبال على الله فيما أمر ونهى.

ومن المعلوم أن النفس الإنسانية في طبيعتها التي خلقها الله ﷻ عليها محبة للدنيا وحلاوتها ومتاعها وجمال زخرفها، قال تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ﴾ [آل عمران: ١٤].

وقال عليه الصلاة والسلام في الحديث الصحيح: (إِنَّ الدُّنْيَا حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ، وَإِنَّ اللهَ مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيهَا، فَيَنْظُرُ كَيْفَ تَعْمَلُونَ، فَاتَّقُوا الدُّنْيَا وَاتَّقُوا النِّسَاءَ، فَإِنَّ أَوَّلَ فِتْنَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَتْ فِي النِّسَاءِ)[3].

وقال أبو عبيدة في بيانه معنى هذا الحديث، " إن الدنيا حلوة خضرة، فمن أخذها بحقّها بورك له فيها"[4].

ولهذا يجب على المسلم السالك أن يجاهد نفسه ولا يشغلها بحب الدنيا وملذاتها ولا يتكالب عليها، ولا يحرم نفسه من خير الآخرة، لأنه قد يحرم من خير الدنيا والآخرة معاً إذا تمسك بدنياه على حساب آخرته.

يقول السلمي رحمه الله: " لا يصح الزهد إلا بعد تصحيح التوبة والإنابة إلى الله، والزهد على عدة وجوه: زهد في الدنيا وعروضها، وزهد في الخلق وتعظيمهم، وزهد في الحرام، وزهد في الشبهات، وزهد في الحلال مخافة الحرام " [5].

إذاً مفتاح الزهد وبابه هو أن يكون الإنسان منيباً صادقاً في توبته، حتى تكون النية خالصة لوجه الله تعالى.

---

[1]- الغليظ: وهو الطعام الذي يحتوي على زيوت كثيفة، انظر: الأصمعي، عبد الملك بن قريب، ت: ٢١٦هـ، **الأبل**، تحقيق: حاتم الضامن، (دار البشائر، ط ١، دمشق، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م)، ص ١١٩.

[2]- الأزهري، أحمد محمود، **قواصم الظهور على دار الغرور**، (دار أبن خزيمة، د. ط، د. م، ٢٠١١م)، ص ٦.

[3]- مسلم، **صحيح مسلم**، كتاب الرقائق، باب أكثر أهل الجنة الفقراء وأكثر أهل النار النساء وبيان الفتنة بالنساء ، ،جـ ٤، ص٢٠٩٨،حديث (٢٧٤٢).

[4]- ابو عبيد، القاسم بن سلام، ت: ٢٢٤هـ، **غريب الحديث**، (٥ ج)، تحقيق: حسين محمد، (الهيئة العامة لشؤن المطابع، ط ١، القاهرة، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م)، جـ ٢، ص ١٤٥.

[5]- السلمي، محمد بن الحسين، ت: ٤١٢هـ، **درجات المعاملات**، تحقيق: سليمان إبراهيم، (دار الناشر، ط ١، الكويت، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م)، ص ١٦٩.

والزهد في الإسلام لا يعنى التخلي عن الدنيا بكليتها، لأن الله عز وجل خلق الإنسان واستخلفه فيها ليرى كيف يعمل وليحاسب على هذا الإستخلاف، فقد كان رسول الله ﷺ أزهد الخلق، وكان يوازن بين عمليّ الدنيا والآخرة، ويحث أصحابه على العمل وقد وردت آيات كثيرة تحث على العمل وعدم الإتكال، فقال تعالى: ﴿وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۖ ﴾ [التوبة: ١٠٥].

أ– العلاقة بين الزهد والتصوف وبين الفكر الإسلامي الوسطي:

لا شك أن أصل التصوف يعود إلى الزهد فأوائل الصوفية قد بنوا فكرهم الصوفي على الزهد والورع، وفي الحقيقة والزهد هو مرحلة انتقالية أدت إلى ظهور التصوف في الإسلام، إلا أن اصحاب الفكر الصوفي قد انفردوا عن الزهّاد بصفات وأحوال.

والتصوف هو مذهب إسلامي، لكن وفق الرؤية الصوفية ليس كذلك، وإنما هو أحد مراتب الدين الثلاثة " الإسلام، والإيمان، والإحسان "، فمثلما اهتم الفقه بتعاليم شريعة الإسلام، وعلم العقيدة بالإيمان، فإن التصوف اهتم بتحقيق مقام الإحسان، مقام التربية والسلوك، مقام تربية النفس والقلب وتطهيرهما من الرذائل وتحليتهما بالفضائل، وهو الركن الثالث من أركان الدين الإسلامي الكامل بعد ركني الإسلام والإيمان، وقد جمعها حديث جبريل، وذكرها ابن عاشر في منظومته "المرشد المعين على الضروري من علوم الدين"، وحث أكثر على مقام الإحسان، لما له من عظيم القدر والشأن في الإسلام[1].

وقال الخالدي: " مقام الإسلام يُعبّر عنه بالشريعة، ومقام الإيمان بالطريقة، ومقام الإحسان بالحقيقة، فالشريعة تكليف الظواهر، والطريقة تصفية الضمائر، والحقيقة شهود الحق في تجليات المظاهر، فالشريعة أن تعبده، والطريقة أن تقصده، والحقيقة أن تشهده"[2].

أما الزهد فهو العزوف عن ملذات حياة الدنيا ومتاعها، والتقرب من الآخرة ورجاء نعيمها[3].

والزُّهد في الإسلام خلقٌ يدعو صاحبه إلى عدم الانغماس في الدُّنيا بحيث ينسى المسلم آخرته، ولا يعني الزهد بحالٍ من الأحوال أن يكون المرء في الدُّنيا فقيراً جائعاً،[4] بل إنَّ الإسلام حثَّ على العمل وعلى

---

[1]- الخالدي، عبدالسلام عمران، **الأقمار المشرقة لأهل الشريعة والطريقة والحقيقة**،(دار الكتب العلمية، ط ١، بيروت، ٢٠١٨م)، ص٥٠.

[2]- الخالدي، عبدالسلام عمران، **رسائل النور الهادي**، (دار الكتب العلمية، ط ١، بيروت، ٢٠٠٤م)، ص ٦١.

[3]- الخطيب البغدادي، **تاريخ بغداد**، جـ ٨، ص ١١٢.

[4]- أبو زهرة، محمد بن احمد، **زهرة التفاسير**، (١٠ج)، (دار الفكر العربي، ط ١، بيروت، ٢٠١٠م) جـ ٣، ص ١٤٣٧، بتصرف.

كسب المال الحلال مهما كثر، إلَّا أنَّه أيضاً أمر ألّا يكون هذا المال هو همَّ الإنسان فيكون سبباً في ضياع آخرته.

ويجب على المسلم أن يزهد بما عنده في الدنيا وينظر إليها على أنَّه قليلٌ زائلٌ بالمقارنة بما في الآخرة من نعيمٍ مقيمٍ، قال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُؤۡتَوۡنَ أَجۡرَهُم مَّرَّتَيۡنِ بِمَا صَبَرُواْ﴾ [القصص: ٥٤]، والزهد في الإسلام يدفع صاحبه إلى العمل والإيجابيَّة في الحياة والإنجاز فيها، فمن الزهد أن يحرص المسلم على مصادر الرّزق الحلال، وأن لا ينظر إلى رزق غيره،[1] قال تعالى:﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيۡنَيۡكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعۡنَا بِهِۦٓ أَزۡوَٰجٗا مِّنۡهُمۡ زَهۡرَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا لِنَفۡتِنَهُمۡ فِيهِۚ وَرِزۡقُ رَبِّكَ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰ﴾ [طه: ١٣١].

أما عن التصوف وعلاقته بالفكر الإسلامي، فقد حافظ التصوف في فترة الدراسة على النسيج الإجتماعي في العراق ولا زال يساهم في حماية وحدته الوطنية لأن، جزء من الفكر الإسلامي وينبثق من أسس وقواعد إسلامية، ويلتزم منهج الوسطية والإعتدال[2].

ثانياً: مقام التوبة:

لقد اهتم الصوفية بالتوبة وجعلوها مقاماً من مقامات التزكية والتربية، فهي معراج النادمين والسالكين، ولها بالغ الأثر في إصلاح للنفس البشرية، ويمكن القول بأن التوبة هي ترك الذنوب والمعاصي، والندم على ما سبق، ولا بد فيها للإنسان من أن يكون ذا عزيمةٍ وإرادة قوية تجاه ترك الذنوب، والامتثال لأوامر الشريعة الغراء والعمل وفق منهجها القويم.

قال ابن القيم الجوزية رحمه الله في تعريف التوبة:

" إن حقيقة التوبة هي الندم على ما سلف منه في الماضي، والإقلاع عنه في الحال، والعزم على ألا يعاوده في المستقبل "[3].

وقد وضع أهل التصوف شروطاً للتوبة وهي:

---

[1]- الزحيلي، وهبة مصطفى، **الفقه الإسلامي وأدلته**، (١٠ ج)، (دار الفكر، ط ٤، دمشق، ٢٠٠٩م)، جـ ٩، ص ٦٣٩٦.

[2]- الويسي، ياسين حسين، **التصوف في العراق ودوره في البناء الفكري**، (دار الزمان، ط ١، بغداد، ٢٠٠٩م)، ص ٤٣.

[3]– ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر، ت: ٧٥١هـ، **مدارج السالكين**، (٢ ج)، تحقيق: محمد البغدادي، (دار الكتاب العربي، ط ٣، بيروت، ١٤١٦هـ – ١٩٩٦م)، جـ ١، ص ١٩٩.

أ- الإقلاع عن الذنب في الحال[1]، لأن الإقلاع عن الذنوب والمعاصي من أعظم القربات إلى الله تعالى، وشرطه أن تكون النية خالصة لوجه الكريم.
ب- الندم على ما سبق من المعاصي [2]، إذ إن الندم على المعاصي باب من باب الاستقامة للإنسان، والندم هو الشعور بالخطيئة، فإذا شعر الإنسان بالخطيئة استقر حاله وسار بسلوكٍ صحيح[3].

أ- أقسام التوبة:

يرى الصوفية أن التوبة تقسم إلى أقسام ثلاثة:

أ- توبة الرجوع إلى الله عز وجل في السراء والضراء:

وهي التي يرجع صاحبها عن الذنب خوفاً من عقاب الله تعالى في الآخرة، وهي من صفات عامة المؤمنين، قال تعالى: ﴿...وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ [النور: ٣١].

يقول الإمام القرطبي رحمه الله:" قوله تعالى (وتوبوا) أمرٌ، ولا خلاف بين الأمة في وجوب التوبة ،وأنها فرض متعين، والمعنى : وتوبوا إلى الله : فإنكم لا تخلون من سهو وتقصير في أداء حقوق الله تعالى، فلا تتركوا التوبة في كل حال"[4].

وإن الرجوع الى الله رحمة منه، لأن الرجوع هداية، وبالهداية يستقيم حال الإنسان ويستقيم سلوكه.

ب- الإنابة :

وهي عبارة عن الرجوع عن الصغائر، حباً في طاعة الله ،ورغبة في ثوابه، لأن الإنابة صفة الأولياء المقربين .

قال تعالى: ﴿وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ وَأَسۡلِمُواْ لَهُۥ﴾ [الزمر: ٥٤].

---

[1]- الرباط، خالد عزت، **الجامع لعلوم الإمام أحمد**، (دار الفلاح، ط ١، مصر، ٢٠٠٩م)، ص ٢٠.

[2]- الرباط، **المرجع السابق**، ص ٢١.

[3]- الرباط، **المرجع نفسه**، ص ٢١.

[4]- القرطبي، محمد بن أحمد، ت: ٦٧١هـ، **الجامع لأحكام القرآن**، (٢٠ج)، تحقيق: أحمد البردوني، (دار الكتب المصرية، ط ٢، القاهرة، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م)، جـ ٦، ص ٤٧٧٤.

ج- الأوبة :

وهي أن يتوب الإنسان ويرجع إلى الله تعالى، رهبة من عقابه، وطمعاً في ثوابه، بل يرجع إلى الله حباً له وشوقاً إليه، وهذه هي صفة الأنبياء والمرسلين ،حيث قال تعالى فى حق نبي الله سليمان عليه السلام : ﴿نِعۡمَ ٱلۡعَبۡدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٞ﴾ [ص: ٣٠].

إذاً فالتوبة صورة أساسية في حياة المسلم، ودرعاً لتحصين إيمانه المسلم، لأن المسلم بدونها يكون خارج إطار الشريعة، هي تجديد العهد والميثاق مع الله ﷻ[1].

وبناءً على ما تقدم، تعد هذه القيم قيماً فكرية صوفية، لأن الفكر الصوفي هو فكر تزكية وتربية روحية، وبالتالي هو فكر إسلامي أصيل دعا إليه القران والسنة، وهو فكر يدعوا إلى الاعتدال والتمسك بالمنهج الإسلامي الوسطي، وهذه المقامات الآنفة الذكر هي مقامات منبثقة من أسس وقواعد الشريعة الإسلامية.

[1]- الشعراوي، محمد متولي، ت: ١٤١٨هـ، **تفسير الشعراوي- الخواطر**، (٢٠ج)، (دار اخبار، ط١، مصر، ١٩٩٧م)، جـ ٤، ص ٢٠٦٧.

المطلب الثالث: موقف الفكر الإسلامي من التصوف.

يعد الفكر الصوفي الإسلامي جانباً روحياً وتربوياً في الفكر الإسلامي، وذلك بتطوره عبر الزمن، وقد بُنِيَ على الزهد والورع، لذلك أصبحت رحلة التصوف الإسلامي من أخصب الرحلات في الحضارة الإسلامية، إذ يمثل التصوف جانب الروح والذوق والوجدان في أسمى معانيه.

ويعد التصوف الاسلامي من أبرز الروافد والمصادر الفكرية التي تؤلف الفكر الإسلامي، لذا أصبح ومنذ ظهوره مدرسة فكرية وتياراً دينياً له فاعلية واضحة وتأثير كبير في المجتمع الإسلامي العراقي بشكل خاص، والفكر الإسلامي بشكل عام.

ويدرك الباحثون المنصفون للفكر الإسلامي أن الفكر الصوفي الإسلامي بنى قواعده على أصول صحيحة من الكتاب والسنة، لذلك كان التلازم بين التصوف والفكر الإسلامي أمراً واقعياً [١].

فالدارسون والباحثون للتصوف وأصالته وتاريخ نشوئه يقررون أن موقف الناس من التصوف قد استقر على مذاهبَ ثلاثة.

الأول: مذهب يرى التصوف أجنبياً عن الإسلام في أصله، ونشأته، وأفكاره، وعليه، فهو فكر منحرف كله[٢]، وهذا رأي من يرفض التصوف جملةً وتفصيلاً.

الثاني: مذهب يقابل الأول يقبل التصوف بكل ما فيه، ويراه إسلامياً خالصاً[٣].

الثالث: مذهب يرى أن التصوف في أُصوله وأفكاره نشأ إسلامياً لكنه تلبس بالفلسفة لاحقاً، وأصابه الميل والانحراف، فكان منه الإسلامي (المعتدل)، ومنه الجاهل الذي لا يلتزم بأصوله[٤].

لذا حاول الكثير من شيوخ وعلماء التصوف أمثال الشيخ أحمد الرفاعي وعبدالقادر الكيلاني وغيرهم من علماء التصوف إصلاح ما أصابه من ميل وشطحات ودعوا للعودة به إلى منابعه الصحيحة الأُولى[٥].

---

[١] – محمد العبدة، طارق عبد العليم، **الصوفية نشأتها وتطورها**، (د. د، ط ٤، د. م، ١٤٤٢هـ – ٢٠٠١م)، ص ٤.

[٢] – عبد العظيم، لطف الله خوجة، **موضوع التصوف**، سلسلة بحوث محكمة، (مطبعة صوفية حضرموت ، مكة المكرمة، ١٤٢٧هـ، ص١٠.

[٣] - القشيري، **الرسالة القشيرية**، جـ ١، ص ٦.

[٤] – عبد العظيم حوجه، **المرجع السابق**، ص ١٢.

[٥] - حسين غباش، **معراج السالكين**، (دار الفارابي، ط ١، بيروت، ٢٠١٦م)، ص ٢٨– ٣٥.

ويرى الباحث أن الفرقاء كلهم على جانب من الصواب، إذ إن التصوف في حقيقته عند نشأته، كان فكراً إسلامياً صافياً، لكنه مع ابتعاده التدريجي عن عصر النبي ﷺ وعصر الصحابة رضي الله عنهم ومن تبعهم من السلف الصالح، أصبح يشوبه الكثير من الشوائب العقدية والسلوكية، وصار يحتاج مع مرور الزمن لمن يجدد فيه وينقيه من الزلل والدخنة الذي التي لحقت به، ولأجل هذا كان التجديد ضرورة في الفكر الإسلامي، وفي الوقت ذاته خاصية من خواص هذه الأمة، كما جاء في الحديث عن النبي ﷺ حيث قال: (إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَبْعَثُ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِائَةِ سَنَةٍ مَنْ يُجَدِّدُ لَهَا دِينَهَا) [1].

وعند التدقيق في المدارس الصوفية المتعددة، يتبين أن التصوف بمعناه الأول وبطرقه المختلفة، لا يمكن الحكم عليه ووضعه في بوتقة واحدة، بل وجد من طرقه من لديه بعض التجاوزات الشرعية في أسلوبه ومنهجه الصوفي، وهناك في الطرف الآخر من كان على التزام بالضوابط الشرعية واتباع لمنهجه ﷺ ومنهج السلف الصالح من بعده في نظرته وتطبيقاته لمعاني التصوف.

ولذلك يجد الباحث في دراسته هذه أن التصوف والفكر الصوفي بمضمومه فكر إسلامي وسطي له قبول لدى شرائح واسعة من المجتمع العراقي، وكان عاملاً من عوامل السلم والتعايش الاجتماعي فيه.

[1]- انظر: ص ٦٥، من هذه الدراسة.

النتائج

١- يعد الفكر الإسلامي في العراق امتداداً للفكر الإسلامي الأصيل المستمد في أصوله الإسلامية من الكتاب والسنة النبوية المشرفة.

٢- الفكر الإسلامي هو إفراز لفكر المسلمين من أفكار اجتهادية بشرية تمثل العلوم الإسلامية من الفلسفة، وعلم الكلام، والفقه وأصوله، والتصوف، والعلوم الإنسانية الأخرى منذ عصر الصحابة إلى الوقت الراهن في إطار الفهم الإسلامي .

٣- يتكون الفكر الإسلامي من أفكار العلماء المسلمين واجتهاداتهم وتصوراتهم منذ عصر النبوة حتى الوقت الراهن، في العلوم العقلية والنقلية.

٤- يقوم الفكر الإسلامي على مبدأ الشورى الملتزمة، ويقبل التعددية في الرأي والعقيدة، ويحترم الرأي الآخر ضمن ثوابت العقيدة الإسلامية.

٥- الفكر الإسلامي فكر واقعي في بنائه النظري وفي اجتهاداته العملية، ويبعد الإنسان عن الخيالات والأوهام.

٦- تفرد الفكر الإسلامي عن سائر الأديان والمذاهب الفكرية الأخرى في ابتكار وإبداع مفهوم الوسطية في كافة جوانب الحياة.

٧- الوسطية مزية هذه الأمة وصفة لها، ولا تنالها إلا بتحكيم دينها الذي يدعو إلى التوسط والاعتدال، واتباع نهج النبي عليه الصلاة والسلام.

٨- الفكر الصوفي في العراق هو فكر أصيل وهو جزء من الفكر الإسلامي الوسطي المستمد من الكتاب والسنة المطهرة.

٩- التصوف له الأثر الإيجابي في المجتمع العراقي في فترة الدراسة، لما يتميز به من منهج وسطي وتربوي قائم على تزكية النفس البشرية.

١٠- الطريقة القادرية والطريقة الرفاعية، طريقتان قائمتان على أسس ومناهج إسلامية، ولهما انتشار واسع في العراق.

١١- يُعَدُّ العراق أحد مراكز التصوف في العالم الإسلامي، كون أوائل مدراس التصوف أسست في البصرة وبغداد.

التوصيات

١- يوصي الباحث بإجراء المزيد من الدراسات والأبحاث الأكاديمية الرصينة لاستكمال دراسة الفكر الإسلامي في الفترة التي أعقبت عام (٢٠٠٠م) وحتى الوقت الحاضر، والتعرف على التحولات التي طرأت على بُنية هذا الفكر وتكوينه في ظل التغيرات التي تشكل منها المجتمع العراقي في الفترة المذكورة.

٢- يوصي الباحث الجهات الأكاديمية والعلمية ومراكز الأبحاث في العراق بعقد ندوات ومؤتمرات علمية تناقش تطور الفكر الإسلامي في العراق منذ الحرب العالمية الأولى وحتى الوقت الراهن، لاستخلاص المزيد من الدروس والنتائج التي تسهم في زيادة التلاحم والترابط والانسجام بين مكونات المجتمع العراقي.

٣- يوصي الباحث صانعي القرار في العراق بتكثيف الجهود لتقريب التيارات الفكرية المختلفة، وبلورة اتجاه فكري وطني واحد يتجاوز الاختلافات بشتى مسمياتها، ويصب في مصلحة الوطن والمجتمع والدولة، ويتطلع للمستقبل برؤية فكرية موحدة.

٤- العمل على تشكيل تيار فكري وسطي في العراق، يستمد قيمه ومبادئه من الكتاب والسنة النبوية، ويوسع الدائرة الشعبية التي تؤمن بقيم التسامح والوئام والعيش المشترك التي يدعو لها، كي تشمل المجتمع العراقي في جو من السلم الاجتماعي والوحدة الوطنية.

الخاتمة

تناولت هذه الدراسة الفكر الإسلامي في العراق في الثلث الأخير من القرن العشرين، واقتصرت على دراسة تيارين للفكر الإسلامي من الناحية الفكرية، هما التيار الوسطي، والتيار الصوفي، وذلك لأن هذين التيارين هما الأبرز على الساحة العراقية في الفترة الزمنية التي ركزت عليها هذه الدراسة، علاوةً على ما شهده العراق آنذاك من أوضاع غير مستقرة، وكان للفكر الإسلامي حينذاك الأثر البالغ في الحفاظ على الاستقرار الاجتماعي والسلم الأهلي والتعايش بين الناس، لأنه فكر رباني يجمع الناس ويؤاخي بينهم على التوحيد، ويوثق الروابط بينهم على أسس التآخي والتماسك والوحدة.

وقد عنيت هذه الدراسة بالبحث في طبيعة الفكر الإسلامي الوسطي ومفهومه، وتطرقت إلى تعريفه وخصائصه التي تتمثل بالربانية وبالعموم والشمول، وهي خصائص تميزه عما سواه من الفكر الوضعي باتجاهاته المختلفة.

كما تطرقت هذه الدراسة إلى التعريف بالتيارين الفكريين اللذين اختصت بدراستهما، إضافة إلى بيان خصائص كل منهما، وإلى بيان العوامل المؤثرة في تكوين الفكر الإسلامي، علاوةً على بيان معنى الوسطية ودلالتها ومفهومها من الناحية الفكرية والعملية، وذكر آراء العلماء الواردة في أهميتها، وبيان مقتضياتها والأدلة الواردة في الكتاب والسنة حول تلك المقتضيات.

وذهبت الدراسة أيضاً إلى الحديث عن التصوف وأبعاده في الإسلام، وإلى بيان مقامات التصوف باعتباره تياراً عريقاً ممتد الجذور في التاريخ الإسلامي، وأنه أسهم إلى حدٍ كبير في مسارات الحضارة الإسلامية، كما تناولت أبرز الطرق الصوفية في العراق ذات الأثر الكبير في المجتمع العراقي كالطريقة القادرية والطريقة الرفاعية، وأبرزت الدراسة الأسس التي قامت عليها هاتان الطريقتان، والمدارس الصوفية ذات الأثر التربوي للتصوف في حياة المجتمع العراقي، وختمت هذه الدراسة ببيان أهم النتائج التي تمخضت عنها، وأوردت بعض التوصيات التي يرى الباحث أن المجتمع الإسلامي في العراق بحاجه إلى الأخذ بها والسعي لتحقيقها.

وبعد: فهذا جهد الباحث في إنجاز هذه الرسالة سعى خلاله إلى بيان حالة الفكر الإسلامي في العراق، وقد عمل على مناقشة وتحليل ما تضمنه هذا الموضوع من جوانب ضمن الخطة المقررة في هذه الرسالة، فإن أصاب في دراسته وفيما قدمه من معلومات وآراء علمية فهو الفضل من الله تعالى والتوفيق منه، وله الحمد على تسديده وعونه، وإن قصَّر في الوصول بالموضوع إلى غايتة التي أراد، فهو القصور البشري والضعف الذي لا مناص منه، وحسبه أنه اجتهد وسعى للوصول إلى تحقيق الغاية المنشودة.

والحمد لله رب العالمين أولاً وآخراً.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

١. ابراهيم محمد، **تاريخ متصوفة بغداد**، (مكتبة الشرق الجديدة، ط ١، بغداد، ٢٠٠٨م).

٢. ابن الأثير، محمد بن مكرم، ت: ٧١١هـ، **الكامل في التاريخ**، (١٠ ج)، تحقيق: عمر عبدالسلام، (دار الكتاب، ط ١، بيروت، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م).

٣. ابن الصلاح، عثمان بن عبد الرحمن، ت: ٦٤٣هـ، **شرح مشكل الوسيط**، (٤ ج)، تحقيق: عبدالمنعم خليفة، (دار كنوز إشبيليا، ط ١، السعودية، ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م).

٤. ابن العطار، علي بن ابراهيم، ت: ٧٢٤هـ، **الاعتقاد الخالص من الشك والانتقاد**، تحقيق: سعد الزويهري، (وزارة الأوقاف والشؤن الإسلامية، ط ١، قطر، ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م).

٥. ابن القيم الجوزية، محمد بن أيوب، ت:٧٥١هـ، **هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى**، تحقيق، محمد أحمد الحاج، (دار القلم، ط ١، جده، ١٣١٦هـ - ١٩٩٦م).

٦. ابن الملقن، عمر بن علي، ت: ٨٠٤هـ، **طبقات الأولياء**، تحقيق: نور الدين شريبه، (مكتبة الخانجي، ط ٢، القاهرة، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م).

٧. ابن باديس، عبدالحميد بن محمد، ت:١٣٥٩هـ، **تفسير بن باديس**، تحقيق: أحمد شمس الدين، (دار الكتب، ط ١، بيروت، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م).

٨. ابن خلدون، عبدالرحمن بن محمد، ت: ٨٠٨هـ، **تاريخ ابن خلدون**، تحقيق: خليل شحاذه، (دار الفكر، ط ٢، بيروت، ١٤٠٨هـ، - ١٩٨٨م).

٩. ابن خيثمة، أحمد بن زهير، ت: ٢٧٩هـ، **التاريخ الكبير**، تحقيق: صلاح فتحي، (٤ ج)، (دار الفاروق، ط ١، القاهرة، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م).

١٠. ابن سعد، محمد بن سعد، ت: ٢٣٠هـ، **الطبقات الكبرى**، تحقيق: زياد منصور، (مكتبة العلوم والحكم، ط ٢، المدينة المنورة، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م).

١١. الذهبي، محمد بن أحمد، ت: ٧٤٨هـ، **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام**، (٥٢ ج)، تحقيق: عمر عبدالسلام التدمري، (دار الكتاب العربي، ط ٢، ١٤٣١هـ - ١٩٩٣م).

١٢. ابن عابدين، محمد أمين، ت: ١٢٥٢هـ ، **رد المحتار على الدر المختار**، (٦ج)، (دار الفكر، ط ٢، بيروت، ١٣٨٦هـ - ١٩٦٦م).

١٣. ابن عجيبة، أحمد بن محمد، ت: ١٢٦٦هـ،**إيقاظ الهمم في شرح الحكم**، (دار المعارف، ط١، بيروت، ١٣٩١هـ - ١٩٧١م).

١٤. ابن فارس، أحمد بن فارس ، ت:٣٩٥هـ، **معجم مقاييس اللغة**،(٦ج) ، تحقيق: عبدالسلام هارون، (دار الفكر، ط ١، ب م، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩ م).

١٥. ابن فارس، أحمد بن فارس، ت٣٩٥هـ، **مجمل اللغة لابن فارس**، تحقيق: زهير عبد المحسن، (مؤسسة الرسالة ، ط٢، بيروت، ١٤٣١هـ -٢٠١٠م).

١٦. ابن فضل العمري، أحمد بن يحيى، ت: ٧٤٩هـ، **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار**،(٢٧ج)، (المجمع الثقافي، ط١، أبو ظبي، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م).

١٧. ابن فورك، محمد بن الحسن، ت: ٤٠٦هـ، **الإبانة عن طرق القاصدين**، (دار الكتب العلمية، ط ٢، بيروت، ١٣٣٠هـ - ٢٠١٩م).

١٨. ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب، ت: ٧٥١هـ، **إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان**،(٢ج) ، تحقيق محمد عزيز ،(دار علم الفوائد، ط ١، مكة المكرمة، ١٤٣٢ هـ - ٢٠١١ م).

١٩. ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر، ت: ٧٥١هـ، **مدارج السالكين**، (٢ج)، تحقيق: محمد البغدادي، (دار الكتاب العربي، ط ٣، بيروت، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م).

٢٠. ابن كثير، إسماعيل بن عمر، ت: ٧٧٤هـ، **تفسير القرآن العظيم**، (٩ج)، تحقيق: سامي سلامة، (دار طيبة، ط ٢، سوريا، د.ت).

٢١. ابن كثير، إسماعيل بن عمر، ت: ٧٧٤هـ، **البداية والنهاية**، (٢١ج)، تحقيق عبدالله التركي، (دار هجر، ط ١، السعودية، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م).

٢٢. ابن الملقن، عمر بن علي، ت: ٨٠٤هـ، **قواعد ابن الملقن**، (٢ج)، مصطفى محمود الأزهري، (دار ابن القيم، ط ١، الرياض، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م).

٢٣. ابن ماجه، محمد بن يزيد، ت: ٢٧٣هـ، **سنن ابن ماجه**، (٤ج)، تحقيق: محمد فؤاد، (دار إحياء الكتب العربية، د. ط، بيروت، د. ت).

٢٤. ابن ماجه، محمد بن يزيد، ت: ٢٧٣هـ، **سنن ابن ماجه**، (٢ج)، تحقيق: محمد فؤاد، (دار احياء الكتب العربية، د. ط، حلب، د. ت).

٢٥. ابن منظور، محمد بن مكرم، ت: ٧١١ هـ، **لسان العرب**،(١٥ ج)، (دار صادر، ط ٣، بيروت ، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م).

٢٦. أبو اليسر، محمد عابدين، **حكايا الصوفية**، (دار البشائر، ط ١، بيروت، ١٩٩٣م).

٢٧. أبو زهرة، محمد بن أحمد، **تاريخ المذاهب الإسلامية**، (دار الفكر العربي، ط ١، القاهرة، ٢٠٠٩م).

٢٨. أبو زهرة، محمد بن أحمد، **زهرة التفاسير**، (١٠ج)، (دار الفكر العربي، ط ١، بيروت، ٢٠١٠م).

٢٩. أبو عبيد، القاسم بن سلام، ت: ٢٢٤هـ، **غريب الحديث**، (٥ج)، تحقيق: حسين محمد، (الهيئة العامة لشؤون المطابع، ط ١، القاهرة، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م).

٣٠. أبي داود، سليمان بن الأشعث، ت: ٢٥٧هـ، **سنن أبي داود**، تحقيق: محمد محي الدين، (٤ج)، (المكتبة العصرية، د. ط، بيروت، د. ت).

٣١. أحمد حسن، **مصطلح الفكر الإسلامي**، (معهد الدراسات المصطلحية، ط ١، المغرب، ١٩٩٦م).

٣٢. أحمد سليمان، **موسوعة محاسن الإسلام ورد شبهات اللئام**، (١٢ج)، (دار الإيلاف، ط ١، مصر، ٢٠١٥م).

٣٣. أحمد مختار، **معجم اللغة العربية**،ت:١٤٢٤هـ، (٤ ج)، (عالم الكتب، ط ١، القاهرة،١٩٢٤هـ - ٢٠٠٨م).

٣٤. الأحمد، محمد علي، **سقوط الخلافة**، (دار الإسراء، ط ١، عمان، ٢٠٠٧م).

٣٥. الأحمد، محمد علي، **التاريخ الإسلامي مراحله وتكامله**، (دار الأكاديميون، ط ١، عمان، ٢٠٢١م).

٣٦. الأصمعي، عبد الملك بن قريب، ت: ٢١٦هـ، **الإبل**، تحقيق: حاتم الضامن، (دار البشائر، ط ١، دمشق، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م).

٣٧. الأزدي، علي بن الحسن، ت: ٣٠٩هـ ، **المنجد في اللغة**، تحقيق: أحمد مختار ،(عالم الكتب، ط١، القاهرة، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م).

٣٨. الأزهري، أحمد محمود، **قواصم الظهور على دار الغرور**، (دار ابن خزيمة، د. ط، د. م، ٢٠١١م).

٣٩. الأسفراييني، طاهر بن محمد،ت: ٤٧١هـ، **التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق**، تحقيق: كمال الحوت، (عالم الكتب، ط ١ بيروت، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م).

٤٠. الأشعري، علي بن اسماعيل، ت: ٣٢٤هـ، **رسالة إلى أهل الثغر بباب الأبواب**، تحقيق: عبدالله الجنيدي، (عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، ط ١، المدينة المنورة، ١٤٣١هـ - ١٩٩٢م).

٤١. الشعراوي، محمد متولي، ت: ١٤١٨هـ، **تفسير الشعراوي- الخواطر**، (٢٠ج)، (دار اخبار، ط١، مصر، ١٩٩٧م).

٤٢. الأشعري، علي بن إسماعيل، ت: ٣٢٤هـ، **مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين**، (٢ج) ، تحقيق: نعيم زرزور، (المكتبة العصرية، ط ١، د.م،١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥م).

٤٣. أحمد، أحمد بن محمد بن حنبل، ت: ٢٤١هـ، **مسند الإمام أحمد**، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، (مؤسسة الرسالة، ط ١، د.م، ١٤٢١هـ — ٢٠٠١م).

٤٤. البخاري، محمد بن إسماعيل، ت: ٢٥٦هـ، **صحيح البخاري**، (٩ج)، تحقيق محمد زهير، (دار طوق النجاة، ط ١، د.م، ١٤٢٢هـ — ٢٠٠م).

٤٥. مسلم، مسلم بن الحجاج، ت: ٢٦١هـ، **صحيح مسلم**، (٥ج)، (دار احياء الكتب العربية، ط ١، القاهرة، د. ت).

٤٦. البخاري، محمد بن إسماعيل، ت: ٢٥٦هـ، **صحيح البخاري**، (٩ج)، (دار طوق النجاة، ط ١، بيروت، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م).

٤٧. البزري، دلال محمد، **مداخلات وتعقبات، نشرة إسلام** ٢١ لندن، (المنبر الدولي للحوار الإسلامي، العدد ٢٤، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م).

٤٨. البغدادي، عبدالقادر بن طاهر، **الفرق بين الفرق**، (دار ابن حزم، ط١، بيروت، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م).

٤٩. بن زيد، عبدالرحمن، **السلفية وقضايا العصر**، (دار إشبيليا، ط١، الرياض، ١٩٩٨م).

٥٠. البهي، محمد عامر، **الفكر الإسلامي في تطوره**، (دار الفكر، ط ١، مصر،١٩٩٧م).

٥١. البهي، محمد عامر، **الفكر الإسلامي في تطوره**، (مكتبة وهبة، ط ١، القاهرة، ١٤٠١ هـ -١٩٨١ م).

٥٢. البوطي، محمد سعيد، **كبرى اليقينيات الكونية**، (دار الفكر، ط ٣٥، بيروت، ٢٠١٩م).
٥٣. البيضاوي، عبدالله بن عمر، ت: ٦٨٥هـ، **أنوار التنزيل وأسرار التنزيل**، تحقيق: محمد المرعشلي، (دار إحياء التراث، ط ١، بيروت، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م).
٥٤. البيهقي، أحمد بن الحسين، ت: ٤٥٨هـ، **السنن الكبرى**، (١٠ج) تحقيق: محمد عبدالقادر، (دار الكتب العلمية، ط ٣، بيروت، ١٤٢٤هـ — ٢٠٠٣م).
٥٥. البيهقي، أحمد بن الحسين، ت: ٤٥٨هـ، **المدخل إلى السنن الكبرى**، تحقيق: محمد الأعظمي، (دار الخلفاء، د. ط، الكويت، د. ت).
٥٦. التفتازاني، محمد حلمي، **مدخل إلى التصوف الإسلامي**، (دار الثقافة، ط ١، القاهرة، ٢٠٠٧م).
٥٧. التكريتي، محمد هادي، **اتجاهات فكرية معاصرة**، (دار المنهجية، ط١، عمان، ٢٠١٧م).
٥٨. التكريتي، محمد هادي، **مدخل لدراسة الفكر الإسلامي**، (دار غيداء، ط ١، عمان، ٢٠١٩م).
٥٩. التوحيدي، علي بن محمد، ت: ٤٠٠هـ، **البصائر والذخائر**، (١٠ ج)، تحقيق: وداد القاضي، (دار صادر، ط ١، بيروت، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م).
٦٠. التل، عمر سليم، **متصوفة بغداد**، (دار المأمون، ط ١، عمان، ٢٠٠٩م).
٦١. جمال الدين محمد، **أصول المجتمع الإسلامي**، (دار الكتاب اللبناني، ط ١، بيروت ،١٤١٢ هـ -١٩٩٢ م).
٦٢. جميل صليبا، **المعجم الفلسفي**، (٣ج)، (دار الكتاب، ط ١، بيروت، ١٩٨٢م).
٦٣. الجوهري، إسماعيل بن حماد،ت:٣٩٣هـ، **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**، (٦ ج) ، تحقيق: أحمد عبدالغفور العطار، (دار العلم، ط ٤، بيروت،١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م).
٦٤. الجويني، عبدالملك بن عبدالله، ت: ٤٧٨هـ، **نهاية المطلب في دراية المذهب**، تحقيق: عبدالعظيم الديب، (دار المنهاج، ط ١، د. م، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م).
٦٥. حازم علي، **أعلام وأفكار مالك بن نبي**، (دار الفكر، ط ٢، بيروت، ٢٠٠٢م).

٦٦. الحاكم، محمد بن عبدالله، ت: ٤٠٥هـ، **المستدرك على الصحيحين**، تحقيق: مصطفى عبدالقادر، (٤ ج)، (دار الكتب العلمية، ط ١، بيروت، ١٤١١هـ – ١٩٩٠م).

٦٧. الحسينان، خالد بن عبدالرحمن، **هكذا كان الصالحون**، (مركز الفجر للإعلام، ط١، مصر، ٢٠٠٩).

٦٨. الحمد، محمد إبراهيم، **سوء الخلق**، (دار أبن خزيمة، ط ٢، د. م، ٢٠١٠م).

٦٩. الحنبلي، عبد الرحمن بن أحمد بن رجب ، **جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم**، (٣ ج)، تحقيق محمد الأحمدي، (دار السلام، ط ٢، الكويت،١٤٢٤ هـ -٢٠٠٤ م).

٧٠. الحيدان، صالح بن محمد ، **وجوب العدل وتحريم الظلم على الناس**، (وزارة الشؤون الإسلامية، ط ١، الرياض، ١٤٣١هـ – ٢٠٢٠م).

٧١. حسين غباش، **معراج السالكين**، (دار الفارابي، ط ١، بيروت، ٢٠١٦م).

٧٢. الخالدي، عبدالسلام عمران، **الأقمار المشرقة لأهل الشريعة والطريقة والحقيقة**،(دار الكتب العلمية، ط ١، بيروت، ٢٠١٨م).

٧٣. الخالدي، عبدالسلام عمران، **رسائل النور الهادي**، (دار الكتب العلمية، ط ١، بيروت، ٢٠٠٤م).

٧٤. الخطيب البغدادي، أحمد بن علي، ت: ٤٦٣هـ، **تاريخ بغداد**، تحقيق: بشار معروف، (١٦ ج)، (دار الغرب، ط ١، بيروت، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠٢م).

٧٥. الدمشقي، عبد العزيز بن عبد السلام، ت: ٦٦٠هـ، **قواعد الأحكام في مصالح الأنام**، (٢ ج)، (دار الكتب العلمية، ط ١، بيروت، ١٤١٤هـ – ١٩٩١م).

٧٦. الدمشقي، عبدالرحمن، **الحضارة الإسلامية أسسها ووسائلها**، (دار القلم، ط ١، دمشق، ١٩٩٨م).

٧٧. الدنيوري، عبدالله بن مسلم، ت:٢٧٦هـ، **المعارف**، تحقيق: ثروت عكاشة، (الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط ٢، القاهرة، ١٤١٢هـ – ١٩٩٢م).

٧٨. ديكارت، توم سوريل، **مقدمة قصيرة جداً**، ترجمة أحمد الروبي، (مؤسسة هنداوي للتعليم، ط ١، القاهرة، ٢٠١٤م).

٧٩. الذهبي، محمد بن احمد، ت: ٧٤٨هـ، **سير أعلام النبلاء**، (٢٥ ج)، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، (مؤسسة الرسالة، ط ٣، د. م، ١٤٠٥هـ — ١٩٨٥م).

٨٠. الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد، ت: ٥٠٢هـ، **المفردات في غريب القرآن**، تحقيق: صفوان الداودي، (دار القلم، ط ١، دمشق، ١٤١٢هـ - ١٩٩١م).

٨١. الراوي، ابراهيم بن محمد، **السير والمساعي**، (دار التقوى، ط ١، دمشق، ٢٠٠٦م).

٨٢. الراوي، فؤاد محسن، **الفكر الإسلامي في مواجهة الفكر الغربي**، (دار المأمون، ط ١، عمان، ٢٠٠٩م).

٨٣. الرباط، خالد عزت، **الجامع لعلوم الإمام أحمد**، (دار الفلاح، ط ١، مصر، ٢٠٠٩م).

٨٤. رشدي محمد عيان، **أصول الدين الإسلامي**، (دار الإمام الأعظم، ط٢، بيروت، ٢٠١١م).

٨٥. الرفاعي، أحمد بن علي، ت: ٥٢١هـ، **حالة أهل الحقيقة مع الله**، (دار الربيع، ط ١، سوريا، ١٣٨٣هـ - ١٩٦٣م).

٨٦. الرفاعي، أحمد بن علي، ت: ٥٧٨هـ، **البرهان المؤيد**، (دار المشاريع، ط١، مصر،١٤٢٩هـ — ٢٠٠٨م).

٨٧. الرفاعي، محمد بن حسن، **الطريقة الرفاعية**، (دار المصطفى، ط ١، القاهرة، ١٩٨٥م).

٨٨. رفيق حبيب، **الوسطية الحضارية تحديات الفكرة والحركة**، (مكتبة مدبولي، ط ١، طرابلس، ٢٠١٠ هـ- ١٤٣١ م).

٨٩. الريسوني، علي بن أحمد، **فقه الدعوة الإسلامية**، (وزارة الأوقاف، ط ١، الرياض، ٢٠٠٩م).

٩٠. الزبيدي، أحمد بن محمد، ت: ١٢٠٥هـ، **تاج العروس من جواهر القاموس**، تحقيق: مجموعة من المحققين، (دار الهداية، ط ١، مصر، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م).

٩١. الزحيلي، وهبة مصطفى، **الفقه الإسلامي وأدلته**، (١٠ ج)، (دار الفكر، ط ٤، دمشق، ٢٠٠٩م).

٩٢. زكي الميلاد، **التعددية الحزبية في الفكر الإسلامي**، (مجلة الكلمة، بيروت، السنة ١، العدد٢، ١٩٩٤م).

٩٣. الزمخشري، محمود بن عمر، ت: ٥٨٣هـ، **ربيع الأنوار ونصوص الأخبار**، (٥ج)، (مؤسسة الأعلمي، ط ١، بيروت، ١٤١٢هـ - ١٩٩١م).

٩٤. زياد بن صالح، **واقعية التشريع الإسلامي وآثارها**، (جامعة الإمام محمد بن سعود، ط ١، السعودية، ٢٠٠٥م).

٩٥. السامرائي، نعمان عبد الرزاق، **النظام السياسي**، (دار التراث، ط١، بغداد، ٢٠١٠م).

٩٦. السامرائي، يونس إبراهيم، **السيد أحمد الرفاعي حياته وآثاره**، (مطبعة الرشاد، ط ١، بغداد، ١٩٨٠م).

٩٧. السامرائي، يونس ابراهيم، **الطرق الصوفية**، (دار المعارف، ط ١، بغداد، ٢٠٠٩م).

٩٨. السعدي، عبدالرحمن بن ناصر، ت ١٣٧٦هـ، **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، تحقيق، عبدالرحمن اللويحق، (مؤسسة الرسالة، ط ١، بيروت، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م).

٩٩. السلمي، محمد بن الحسين، ت: ٤١٢هـ، **درجات المعاملات**، تحقيق: سليمان إبراهيم، (دار الناشر، ط ١، الكويت، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م).

١٠٠. السمرقندي، نصر بن محمد، ت: ٣٧٣هـ، **بحر العلوم**، (٤ج)، (دار الكتب العلمية، ط ١، بيروت، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م).

١٠١. سيد قطب، **الإسلام ومشكلات الحضارة**، (دار الشروق، ط ٩، القاهرة، ١٩٨٨م).

١٠٢. سيد قطب، **خصائص التصور الإسلامي**، (دار الشروق، ط٧، مصر، ١٩٨٠م).

١٠٣. سيد قطب، **في ظلال القرآن**، (٦ج)، (دار العلوم، ط ٢،القاهرة، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م).

١٠٤. الشاطبي، ابراهيم موسى، ت: ٧٩٠هـ، **الاعتصام**، (دار ابن عفان، ط ١، السعودية،١٤١٢هـ - ١٩٩٢م).

١٠٥. الشامي، محمد بن يوسف، ت:٩٤٢هـ ، **سبل الهدى والرشاد**، (١٢ج)، تحقيق: عادل عبد الموجود، (دار الكتب العلمية، ط ١، بيروت، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م).

١٠٦. الشربيني، زكريا أحمد **سلوك الإنسان بين الجريمة والعدوان والإرهاب**، (دار الفكر العربي، ط ١، القاهرة، ٢٠٠٣م).

١٠٧. الشمري، جميلة عيادة **مفهوم التيارات الفكرية وعلاقته بالمصطلحات ذات الصلة،** (جامعة الإمام محمد بن سعود، ط١، السعودية، ٢٠١٢م).

١٠٨. الشنطوفي، علي بن يوسف، **بهجة الأسرار ومعدن الأنوار،** تحقيق: جمال الدين الكيلاني، (المنظمة المغربية للتربية والثقافة، ط ٢، المغرب، ٢٠١٣م).

١٠٩. الشنقيطي، محمد أمين، **الإعلام الإسلامي،** (دار الكتب، ط ١ الرياض، ١٩٩٨م).

١١٠. الشهرستاني، محمد عبد الكريم، ت: ٥٤٨هـ، **الملل والنحل،** ٣ج، تحقيق: أحمد فهمي، (دار الكتب العلمية، ط٢، بيروت، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م).

١١١. شوكت محمد، **الثقافة الإسلامية وتحديات العصر،** (دار المتنبي، ط١، بغداد، ٢٠١١م).

١١٢. الشيرازي، عبداللطيف **خصائص التفكير الإسلامي،** (مجلة حضارة الإسلام، ١٢/ ٦/ ٢٠٠٩م)، العدد الرابع.

١١٣. الشيرازي، محمد مهدي **حياتنا قبل نصف قرن،** (مركز الرسول الأعظم، ط١، بغداد، ١٩٩٨م).

١١٤. صابر، احمد ممدوح، **التطرف الاجتماعي وعلاقته بالأفكار اللاعقلانية.**(مجلة دراسات عربية في علم النفس مصر، مجلد ٨، عدد ٤(٢٠٠٩).

١١٥. الصابوني، محمد علي، **مختصر تفسير ابن كثير،** (٣ج)، (دار القرآن، ط ٧، بيروت، ١٩٨١م).

١١٦. الصفدي، صلاح الدين خليل، ت: ٧٦٤هـ، **الوافي بالوفيات،** (٣٠ج) (دار احياء التراث، ط ١، ٢٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م).

١١٧. صالح عظيمة، **التعددية بين الرؤية والواقع** .. نقد وتصويب ، (فصلية الجامعة الإسلامية ، لندن، الجامعة العالمية للعلوم الإسلامية، لندن، السنة ٢، العدد ٧، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م).

١١٨. الصرصري، سليمان عبد القوي، ت: ٧١٦هـ، **الانتصارات الإسلامية في كشف شبه النصرانية،** (٢ج)، تحقيق: سالم القرني، (مكتبة العبيكان، ط ١، الرياض، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م).

١١٩. الصفار، حسن موسى **التعددية والحرية في الإسلام،** (دار المنهل، ط٢، لبنان، ١٩٩٦م).

١٢٠. الطبري، محمد بن جرير، ت:٣١٠هـ، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، (٢٤ ج)، تحقيق: محمود محمد شاكر، (دار التربية والتراث، ط ١، مكة المكرمة، د. ت).

١٢١. الطوسي، عبدالله بن علي، ت: ٣٧٨هـ، **اللمع**، تحقيق: عبد الحليم محمود، (دار الكتب الحديثة، ط ١، مصر، ١٣٨٠هـ - ١٩٦٠م).

١٢٢. الظاهري، خالد سالم، **دور التربية الإسلامية في مواجهة الإرهاب**، (دار عالم الكتب، ط ١، السعودية، ٢٠٠٣م).

١٢٣. عامر حسن، **مدخل إلى الفكر السياسي القديم والوسيط**، (دار الفكر، ط ١، بنغازي، ٢٠٠٤م).

١٢٤. عبد الرحمن بدوي، **تاريخ التصوف الإسلامي**، (دار الشعاع، ط٣، بيروت، ٢٠٠٨).

١٢٥. عبد الغني، **معجم الغني**، (٣ج)، (دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، ٢٠١٣م).

١٢٦. عبد الوهاب خلاف، ت: ١٣٧٥هـ، **علم أصول الفقه**، (مكتبة الأزهر، ط ٨، القاهرة، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م).

١٢٧. عبدالعزيز انميرات، **مفهوم الفكر الإسلامي**، (جريدة العلم العدد ١٠، سنة ١٩٩٧م).

١٢٨. عبدالله عبد العزيز، **التصوف العراقي ومدارسه وأثره على المشرق**، (الجامعة العراقية، د. ط، بغداد، ٢٠١٠م).

١٢٩. عبدالوهاب علوب، معجم المصطلحات السياسية، (دار الكتب والوثائق، ط ١، القاهرة، ٢٠١١م).

١٣٠. عدد من المختصين، بإشراف الشيخ صالح عبدالله، **نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول**، (١٢ج)، (دار الوسيلة، ط ١، جدة، ٢٠١٠م).

١٣١. عزيز السيد جاسم، **متصوفة بغداد**، (دار الشؤون الثقافية، ط ١، بغداد، ٢٠١٢م).

١٣٢. العسقلاني، أحمد بن علي ، ت:٨٥٢هـ، **فتح الباري شرح صحيح البخاري**،(١٣ج)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، (دار المعرفة، ط ٢، بيروت، ١٤٣١ هـ -٢٠١٠ م).

١٣٣. عفيفي علي، مقال بعنوان **تاريخ تطور الفكر التربوي الإسلامي** ، مجلة البيان العدد ٣٠٢ شوال ١٤٣٣هـ.

١٣٤. عمر سليمان، **نحو ثقافة إسلامية**، (دار الفكر، ط١، دمشق، ٢٠٠٦م).

١٣٥. العمر، ناصر بن سليمان، **الوسطية في ضوء القرآن الكريم**، (وزارة الأوقاف السعودية، ط ١، الرياض ٢٠١٢م).

١٣٦. العمراني، يحيى بن أبي الخير، ت: ٥٥٨هـ، **الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار**،(٣ ج) تحقيق: سعود الخلف،(أضواء السلف، الرياض، ط١، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م).

١٣٧. العمراني، يحيى بن سالم، ت: ٥٥٨هـ، **البيان في مذهب الإمام الشافعي**، (١٣ ج)، تحقيق، قاسم النوري، (دار المنهاج، ط١، جدة، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م).

١٣٨. عوض، جابر سعيد، **مفهوم التعددية في الأدبيات المعاصرة**، بحث مقدم لندوة التعددية الحزبية والطائفية والعرقية في العالم العربي، الكويت، وزارة الأوقاف والشئووسن الإسلامية،١٩٩٣م.

١٣٩. العيسى، عبدالقادر بن عبدالله، **حقائق عن التصوف**، (دار العرفان، ط٢١، حلب،١٩٩٣م).

١٤٠. غالب بن علي، **فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام**، ٣ ج ، (المكتبة العصرية الذهبية، ط١، جدة، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م).

١٤١. غالب علي، **المذاهب الفكرية المعاصرة ودورها في المجتمعات**، (المكتبة، العصرية، ط ١، جدة، ٢٠٠٨م).

١٤٢. الغزالي، محمد بن محمد، ت: ٥٠٥هـ، **المنقذ من الضلال**، تحقيق: عبد الحليم محمود، (دار الكتب الحديثة، ط ١، د . ت).

١٤٣. الغزالي، محمد بن محمد، ت:٥٠٥هـ، **إحياء علوم الدين**، (٤ ج)، (دار المعرفة، ط ١، بيروت، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م).

١٤٤. الفخر الرازي، محمد بن عمر، ت:٦٠٦هـ، **التفسير الكبير**، (دار إحياء التراث العربي، ط ٣، بيروت،١٤٣١هـ - ٢٠١٠م).

١٤٥. الفيروز آبادي، محمد بن يعقوب، ت٨١٧هـ، **القاموس المحيط**، تحقيق: محمد نعيم ، (مؤسسة الرسالة، ط ٨، بيروت، ١٤٢٦هـ _ ٢٠٠٥م).

١٤٦. الفيومي، محمد ابراهيم، **تاريخ الفكر الديني الجاهلي**، (دار الفكر العربي، ط ٤، بيروت، ١٩٩٤م).

١٤٧. القاسمي، محمد بن سعيد، ت:١٣٣٢هـ، **محاسن التأويل**، (٩ ج)، تحقيق محمد باسل، (دار الكتب العلمية، ط ١، بيروت ١٤٣١ هـ -٢٠١٠ م).

١٤٨. القحطاني، سعيد محمد، **مقومات الداعية الناجح في ضوء الكتاب والسنة**، (مطبعة السفير، ط ١، الرياض).

١٤٩. القرضاوي، يوسف عبدالله، **الصحوة الإسلامية**، (دار الشروق، ط١، القاهرة، ٢٠٠١م).

١٥٠. القرضاوي، يوسف عبدالله، **فقه الوسطية الإسلامية والتجديد**، (دار الشروق، ط ١، قطر، ٢٠١٠م).

١٥١. القرطبي، محمد بن أحمد، ت: ٦٧١هـ، **الجامع لأحكام القرآن**، (٢٠ج)، تحقيق: أحمد البردوني، (دار الكتب المصرية، ط ٢، القاهرة، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م).

١٥٢. القشيري، عبدالكريم بن هوزان، ت: ٤٦٥هـ ، **الرسالة القشيرية**،(٢ج)، تحقيق: عبدالحليم محمود، (دار المعارف، ط ١، القاهرة، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م).

١٥٣. الكيالي، عبد الوهاب محمد، **الموسوعة السياسية**، (٧ج) ، تحقيق: مجموعة من الباحثين، (المؤسسة العربية العالمية، ط ٢، بغداد، ١٩٨٥م).

١٥٤. الكيلاني، رعد شمس الدين، **الفكر الإسلامي**، (دار الأندلس، ط ١، بغداد، ٢٠١٧م).

١٥٥. الكيلاني، عبدالقادر بن صالح، ت:٥٦١هـ ، **آداب السلوك**، تحقيق: محمد غسان، (دار السنابل، ط ١، دمشق ، ١٥١٦هـ - ١٩٩٥م).

١٥٦. الكيلاني، عبدالقادر بن موسى، ت: ٥٧١ هـ ، **فتوح الغيب**، (دار المصطفى، ط ١، مصر، ١٣٨٠هـ - ١٩٦٠م).

١٥٧. لطف الله ملا عبد العظيم خوجة، **موضوع التصوف**، سلسلة بحوث محكمة، (مطبعة صوفية حضرموت ، مكة المكرمة، ١٤٢٧هـ).

١٥٨. المازري، محمد بن علي، ت: ٥٣٦هـ، **المعلم بفوائد مسلم**، (٣ج)، تحقيق: محمد الشاذلي، (دار التونسية للنشر، ط ٢، الجزائر، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م).

١٥٩. مالك بن نبي، **شروط النهضة**،(دار الفكر، ط١، دمشق، ١٩٩٨م).

١٦٠. مالك بن نبي، **مذكرات شاهد للقرن** ، (دار الفكر المعاصر ، ط ١، بيروت ، ١٩٧٠م).

١٦١. مالك بن نبي، **وجهة العالم الإسلامي**، (مكتبة الأسد، ط ١، القاهرة، ٢٠١٢م).

١٦٢. متولي، تامر محمد، **منهج الشيخ محمد رضا في العقيدة**، (دار ماجد عسيري، ط ١، جدة، ٢٠٠٤م).

١٦٣. **مجلة الحضارة الإسلامية** ، السنة ١٥ ، العدد ١٩٧٤م.

١٦٤. مجمع اللغة العربية، **المجمع الوسيط**، (٣ج) ، (دار الدعوة، ط ٣، القاهرة، د.ت).

١٦٥. مجموعة من الباحثين، **موسوعة الفرق المنتسبة للإسلام**، (١٠ج)، (موقع الدرر السنية الشاملة، د. ط، د. م، ٢٠١١م).

١٦٦. مجموعة من العلماء، **بحوث ندوة أثر القرآن الكريم في تحقيق الوسطية ودفع الغلو**، (وزارة الشئوون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد. ط ٢، المملكة العربية السعودية، ٢٠٠٤م).

١٦٧. محروس محمد، **التعددية الدينية رؤية تأصيلية**، مجلة جامعة الطيبة للآداب والعلوم الإنسانية، العدد ١٢، س ١٤٣٨هـ.

١٦٨. محسن عبد الحميد، **المذهبية الإسلامية**، (دار التفسير، ط٣، أربيل، ٢٠١٨م).

١٦٩. محسن عبد الحميد، **تجديد الفكر الإسلامي**، (دار التفسير، ط ٢، أربيل،١٤٣٩هـ – ٢٠١٨م).

١٧٠. محسن عبد الحميد، **تقويم الفكر الإسلامي**، مجلة دعوة الحق ، العدد ٢٣٩ ، ذو القعدة ، ١٤٠٤هـ – ١٩٨٣م).

١٧١. محمد أسد، **الإسلام على مفترق الطرق**، (دار العلم للملايين، ط ١، المغرب، ١٤١٢ هـ –٢٠٠٠ م).

١٧٢. محمد العبدة، طارق عبد العليم، **الصوفية نشأتها وتطورها**، (د. د، ط ٤، د. ك، ١٤٤٢هـ – ٢٠٠١م).

١٧٣. محمد العربي، **المنطلقات الفكرية عند الإمام الفخر الرازي**، (دار الفكر، ط١، بيروت، ١٤١٣هـ – ١٩٩٢م).

١٧٤. محمد بن عاشور، **التعددية الإثنية**، (المركز العلمي للدراسات السياسية، ط ١، مصر، ٢٠٠٢م).

١٧٥. محمد عمارة، **التعددية الرؤية الإسلامية و التحديات الغربية** ، (فصلية الجامعة الإسلامية ، لندن ، الجامعة العالمية للعلوم الإسلامية ، السنة ١، العدد ٢، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م).

١٧٦. محمد فريد، **تاريخ الدولة العلية العثمانية**، تحقيق: إحسان حقي، (دار النفائس، ط ١٠، اسطنبول، ٢٠٠٦م).

١٧٧. محمد كريم، **وسطية أهل السنة بين الفرق**، (دار الراية، ط١، الكويت، ١٩٩٤م).

١٧٨. المناوي، عبد الرؤف بن علي، ت: ١٣١هـ، **التوقيف على مهمات التعاريف**، (عالم الكتب، ط ١، القاهرة، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م).

١٧٩. المحمدي، عبدالقادر موسى، **نشأة التصوف الإسلامي وتطوره في العراق**، (دار الشؤون الثقافية العامة، ط ١، بغداد، ٢٠١٣م).

١٨٠. محمود بلال، **الاقتصاد الإسلامي**، (مطبعة المدينة المنورة، ط ٢، الرياض، ١٩٧٦م).

١٨١. محمود رأفت، **مالك بن نبي وسبل نهضة العالم الإسلامي** ، نون بوست، بتاريخ ٣٠ سبتمبر / ٢٠١٥م).

١٨٢. مسكويه، أحمد بن محمد بن يعقوب، ت: ٤٢١هـ، **تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق**، (مكتبة الثقافة الدينية، ط ١، حلب، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م).

١٨٣. مقابلة شخصية ، مع السيد الشيخ مصطفى الرفاعي، أحد مرشدي الطريقة الرفاعية في العراق، بتاريخ ٢/٦/ ٢٠٢١، بخصوص دور التكايا والزوايا في المجتمع، مدينة تكريت في قرية السادة في منزله.

١٨٤. مقابلة شخصية، مع السيد بدر عبدالعزيز الرفاعي، نقيب السادة الرفاعية في العراق، بتاريخ ٢٧/٣/ ٢٠٢١، بخصوص الطريقة الرفاعية ودورها في المجتمع العراقي. مدينة تكريت، في رحاب التكية الرفاعية، في قرية السادة.

١٨٥. المقدسي، محمد بن مفلح، ت: ٧٦٣هـ ، **الآداب الشرعية والمنح المرعية**، (٣ ج)، (عالم الكتب، ط ١، د. م، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م).

١٨٦. المناوي، عبد الرؤوف بن علي ، ت: ١٠٣١هـ، **التوقيف على مهمات التعريف**، (مركز دار الكتب، ط ١، القاهرة،

١٨٧. المناوي، محمد بن علي، ت ١٠٣١هـ، **فيض القدير شرح الجامع الصغير**، (٦ج)، (المكتبة التجارية، ط ١، مصر، ١٣٥٧هـ - ١٩٣٧م).

١٨٨. النابلسي، عبد الغني بن اسماعيل، ت: ٩٨١هـ ، **الحديقة الندية في شرح الطريقة المحمدية والسيرة الأحمدية**، (٥ج)، (دار الكتب العلمية ،ط ١، بيروت، ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م).

١٨٩. نخبة من الباحثين السوفيات، **الموسوعة الفلسفية**، ترجمة سمير كرم، (دار الطليعة، ط ٦، بيروت، ١٩٨٧م).

١٩٠. الندوي، علي بن عبدالحي، **ماذا خسر العالم**، (مكتبة الإيمان، ط ١، مصر، ٢٠٠٦م).

١٩١. النشار، علي سامي، **نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام**، (٣ج)، (دار المعارف، ط ٩، بغداد، ١٩٩٥م).

١٩٢. النعيمي، إبراهيم نعمة، **السنة النبوية في مواجهة التحديات**، (دار الفرقان، ط ١، الأردن، ٢٠١٥م).

١٩٣. النووي، يحي بن شرف الدين، ت: ٦٧٦هـ ، **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج**، (١٨ ج)، (دار إحياء التراث العربي، ط ٢، بيروت، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م).

١٩٤. النيسابوري، ،محمد ابو عبد الله الحاكم ، ت: ٤٠٥هـ ، **المستدرك على الصحيحين**، (٤ج) ، تحقيق : عبد القادر عطا، (دار الكتب العلمية ، ط١ ، بيروت،١٤١١هـ - ١٩٩٠م).

١٩٥. الهاشمي، صالح بن حسين، ت ٦٦٨هـ، **تخجيل من حرف التوراة والإنجيل**،(٢ج)، تحقيق: محمود القدح، (مكتبة العبيكان، ط ١، الرياض، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م).

١٩٦. الهراس، عبد السلام محمد، **الإسلام دين الوسطية والفضائل والقيم الخالدة**، (دار المعرفة، ط ١، القاهرة،١٤٣١ هـ -٢٠١٠ م).

١٩٧. الواسطي، عبد الرحمن بن احمد، ت: ٧٠٤هـ، **ترياق المحبين**، (دار البهية، ط ١، مصر، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م).

١٩٨. الويسي، ياسين حسين، **التصوف في العراق ودوره في البناء الفكري**، (دار الزمان، ط ١، بغداد، ٢٠٠٩م).

١٩٩. اليعقوبي، محمد أبو الهدى، (منشور ضمن وقائع صوفية على الإنترنيت، بتاريخ ٢٤ مارس ٢٠١٢ م).

السيرة الذاتية

عمر راضي سالم الرهاوي، ولد في العراق محافظة صلاح الدين، في مدينة تكريت، أكمل الدراسة الابتدائية في مدرسة النظامية الابتدائية للبنين في مدينة تكريت، ثم أكمل الدراسة الثانوية في مدرسة السيد أحمد الرفاعي الإسلامية، وتخرج منها سنة ٢٠١٥م، وبعدها التحق بالدراسة الجامعية، فتخرج من جامعة تكريت، كلية العلوم الإسلامية، قسم العقيدة والفكر الإسلامي عام ٢٠١٩م.

ÖZGEÇMİŞ

Omar Radhi Salim Al-rahavî. İlkokulu Tikrit'te Nizamiye Erkek İlkokulu'unda tamamladı. Liseyi Seyyid Ahmed er-rifâ`î İslâmî lisesinde okudu, buradan 2015 yılında mezun oldu. Sonra üniversiteye başladı. Tikrit Üniversitesi İslamî İlimler Fakültesi İnanç ve İslam Düşüncesi Bölümü'nden 2019 yılında mezun oldu.